نموذج رقم (1)

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس (92-897هـ/711-1492م)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب: عماد علي دياب الجرو
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ: ١٦/٤/٢٠١٤م

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس من الفتح إلى السقوط

(92-897 هجرية = 711-1492 ميلادية)

إشراف
الأستاذ الدكتور: خالد يونس الخالدي

إعداد الطالب
عماد علي دياب الجرو

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين

1435هـ – 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2014/01/29 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **عماد علي دياب الجرو** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس من الفتح إلى السقوط (92-897هـ = 711-1492م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 28 ربيع الأول 1435هـ، الموافق 2014/01/29م الساعة الثامنة والنصف صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. خالد يونس الخالدي	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. غسان محمود وشاح	**مناقشاً داخلياً**	....
د. حسن إبراهيم المسحال	**مناقشاً خارجيًا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز



دعــاء

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَمكر بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمكرونَ وَيَمكر اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]

قال رسول الله (ﷺ):

﴿الحرب خدعة﴾[2]

(1) سورة الأنفال: ج9، الآية (30).

(2) البخاري: الجامع الصحيح، ج3، ص1102، حديث رقم 2866.

الإهـداء

- إلى صاحب الروح التي لا زالت تُحلِّق في سماء حياتي .. **أبي الغالي**
- إلى رمز الحنان وعنوان العطاء هبة الرحمن .. **أمي الحنونة**
- إلى من شددت بهم أزري وأشركتهم في أمري .. **إخواني وأخواتي الأعزاء**
- إلى قرة عيني ومهجة قلبي وأمل حياتي .. **زوجتي وأبنائي الأحباب**
- إلى مصدر قوتي وعزيمتي وبهم تطيب دنيتي .. **أبناء حماس والقسام الأماجد**
- إلى كل مجاهد وأسير وجريح وشهيد قَدم وضحَّى من أجل الوطن والدين

إلى كل أولئك وهؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع

سائلا المولى عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

فالله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الباحــث:

عمـــاد علـــي الجـــرو

شكر وعرفان

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، على أن وفَّقتنـــي وأعنتنـــي على إنجاز هذه الأُطروحة، وبعد:

انطلاقاً من قوله (ﷺ): **"من لم يشكر الناس لم يشـكر الله"**[1] أتقـدم بخـالص الشـكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل ومشرفي القدير **الأستاذ الدكتور/ خالد يونس الخالدي**، على مـا أولاه لهذا البحث من رعايةٍ فائقة واهتمام بالغ، والذي لم يَأْلُ جهـداً فـي إرشـادي وتـوجيهي ومساندتي فجزاه الله خيراً على طول صبره ومتابعته لتقويم عملي وتصحيحه.

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين تتلمذت علـى أيديهم في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية على جهدهم وعطائهم وعلمهـم وإرشـادهم، فبارك الله فيهم ونفع بعلمهم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني أو قدم لي عوناً وأخذ بيدي لإنجـاز هـذا العمل المتواضع، فلهم مني خالص الدعاء في ظهر الغيب لقوله (ﷺ): **"من أتى إلـيكم معروفـاً، فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه"**[2].

---

(1) الطبراني: المعجم الكبير، ج2، ص356، حديث رقم 2501.

(2) البغوي: شرح السنة، ج13، ص187، حديث رقم 3610.

الرموز والمختصرات

#	المختصر	الكلمة
1	ص	صفحة
2	ج	جزء
3	ق	قسم
4	ط	طبعة
5	ق.هـ	قبل الهجرة
6	هـ	هجري
7	م	ميلادي
8	ت	توفي
9	د.م	دون مكان نشر
10	د.ن	دون دار نشر
11	د.ت	دون تاريخ نشر
12	د.ط	دون طبعة

ملخص الرسالة باللغة العربية

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل فترةً هامةً من فترات التاريخ الإسلامي، وبقعة من أعز البقاع ألا وهي فترة حكم الإسلام للأندلس والتي تجاوزت الثمانية قرون قدم فيها المسلمون نماذجَ مشرقةً على شتى الصُّعد وفي كافة المجالات حتى كانوا كالشمس التي تغطي بنورها الأرض.. وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول أوجز مضمونها على النحو التالي:

- **الفصل الأول:** ركَّز على التعريف **بالخدع** لغوياً واصطلاحاً وذكر مظاهر **الخدع** المستخدمة في الحروب ثم بيان مشروعية **الخدع** من كتاب الله عز وجل ثم من أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله في غزواته ثم منهج الصحابة في السير على خطى الرسول القائد في معاركهم مع أعداء الإسلام وخُتم الفصل بأقوال علماء الإسلام في شتى العصور والأمصار وتأكيد ذلك بأدلة العقل السليم.
- **عالج الباحث في الفصل الثاني: الخدع** العسكرية للمسلمين في فترة الفتح وكيف تمكن اثنا عشر ألف مقاتل من السيطرة على دولة بكل ما تعنيه كلمة دولة وأن يقيموا للإسلام في تلك البقاع دولة ثم ما قام به الولاة من عمليات عسكرية ونشاط جهادي وراء جبال البرتات لتأمين حدود الأندلس ويظهر جلياً في هذا الفصل أثر **الحيل** و**الخدع** العسكرية في تحقيق الانتصار.
- **وفي الفصل الثالث:** تناول الباحث **الخدع** العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة والخلافة وكيف تمكن المسلمون من تثبيت وجودهم في الأندلس بعد فترة من الصراعات العرقية والإقليمية والقبلية التي نشبت في أكثر من مكان وزمان، حتى أصبح قادة أوروبا يخطبون ود المسلمين في الأندلس ويرسلون السفارات طلباً للخضوع والطاعة من المسلمين.
- **أما الفصل الرابع:** فقد خصصه الباحث للحديث عن دور الدولة العامرية وجهودها في تثبيت هيبة الإسلام في تلك البلاد والنواحي ودور دولة المرابطين في وقف نزيف الأراضي في يد النصارى ثم دولة الموحدين التي تمكنت من تأخير سقوط الأندلس في يد النصارى لقرون ثم حفاظ مملكة غرناطة على وجودها في وجه النصارى إلى أن سقطت الأندلس وانتهى الحكم الإسلامي فيها.

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين ناصر المؤمنين ومذل الكفرة والمنافقين، والصلاة والسلام علـــى قائد المجاهدين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وجاهد بجهـــاده إلى يوم الدين وبعد...

من يقرأ القرآن ويتدبر في آياته، ويقف على أقوال النبـــي (ﷺ) وأفعالـــه فـــي الجهـــاد والقتال، ويعي ويفهم دروس التاريخ يجد بلا شك أن استخدام أساليب ووســـائل **الحيـــل** و**المكـــر** و**الخداع** تعد من ركائز الفكر العسكري واستراتيجيات القتال، ومن أهم أساليب ووسائل الحـــرب والصراع.

فما من قائد عسكري يريد الانتصار على أعدائه بأسرع وقت وأقل الخســـائر إلا وجـــب عليه أن يجعل **للخدع** العسكرية شأن في خطته الحربية وأسلوب قتاله فقد قال حكيم: "**الحيلة** أبلغ من الوسيلة"[1].

إن استخدام أساليب ووسائل المكر والخداع تدلل على فطنة وحنكة القائـــد العســـكري، وتعبر عن معرفة ودراية بقدرات العدو وإمكانياته ونقاط قوته وضعفه وكـــذلك معرفـــة طبيعـــة مكان المعركة وجغرافيته، لأنها تشكل العناصر الأساسية التي تقوم عليهـــا فكـــرة واســـتراتيجية **المكر والخداع.**

إن المتتبع للتاريخ يجد أن كثيراً من المعارك حسمت بخدعة، وانتصرت الجيوش **بحيلة** بالرغم من قلة عددها وضعف إمكانياتها مقارنة بجيش عدوها الذي يتفوق عليها عـــدد وعـــدة، لذلك تجد قادة الجهاد قد برعوا في استخدام وسائل وأساليب **الحيل** و**المكر** و**الخداع** في معاركهم مع أعداء الإسلام من الكفار والصليبيين والمغول وغيرهم، حيث تمكنت العبقرية الإسلامية مـــن تدبير أنواع مختلفة من **الخدع** العسكرية التي تحطمـــت عليهـــا أحـــلام القياصـــرة والأبـــاطرة، وأحبطت **مكر** وكيد المنافقين والزنادقة وأفشلت مآرب وأهداف النصرانية واليهوديـــة؛ ومكنـــوا الأمة من الحفاظ على وجودها ودينها وسلامة أوطانها وبلدانها وحررت الأرض والإنسان مـــن الظلم والعدوان.

ولقد كان لهذه الخدع العسكرية التي استخدمها قادة الفتح الإسلامي دور بارز ومميـــز في التغلب على كثير من الجيوش بسهولة ويسر، على الرغم من قلة إمكانيـــات هـــذه الجيـــوش وندرة عددها، مما يزيد الإنسان قناعة بدور **الخدع** العسكرية في حسم المعركة بأســـرع وقـــت وأقل خسارة.

---

(1) الأبي: نثر الدرر، ج2، ص200.

لذلك لا بد من التعرف على هذه الخدع التي تزخر بها كتب التاريخ الإسلامي، ولا زالت متناثرة ومبعثرة في بطون المصادر التاريخية لتجميعها في كتاب واحد، حتى يتمكن العاملون لنصرة الدين وتحرير الأرض من الاستفادة منها وتوظيفها في شتى مجالات الحياة، سيما ونحن أمة تسعى لملء الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، ونحن شعب يعيش تحت نير الاحتلال الصهيوني، الذي يملك أقوى ترسانة عسكرية في المنطقة، فلا سبيل لكسر شوكته ودحره من أرضنا إلا من خلال معرفة نقاط ضعفه واستغلالها لتسديد الضربة القاضية لكيانه الهش وذلك باستخدام أساليب ووسائل **الحيل** و**الخدع** العسكرية.

أهمية البحث ومسوغاته:

تكمن أهمية هذه الدراسة "الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس" في أن الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ الأندلس لم تولِ هذا الموضوع عناية خاصة ومركزة، حيث أنها تأتي على ذكر معارك المسلمين في الأندلس دون أن تركز بشكل خاص على الأساليب والوسائل التي مكنت المسلمين من فتح الأندلس ثم الاستمرار فيها لثمانية قرون والتي كان **للخدع** العسكرية دور في هذا الإنجاز المبارك، فجاءت هذه الدراسة؛ لتتناول هذا الجهد العسكري الجبار بالبحث الجاد والنظر العميق لاستظهار جميع **الحيل** و**الخدع** التي يمكن رصدها وتحقيقها.

وقد دعا الباحث إلى اختيار هذا البحث مجموعة من الأسباب أهمها:

1- يتصدر هذه الأسباب الرغبة في دراسة هذه الحقبة من تاريخ الإسلام حيث أن حب الأندلس كان دائماً يدفعني للقراءة عنها لما فيها من العظات والعبر.
2- ندرة الدراسات التي تتحدث عن موضوع **الخدع** العسكرية للمسلمين في الأندلس.
3- إلقاء الضَّوْء على العبقرية العسكرية لقادة الجهاد في الأندلس منذ لحظة فتحهم لذلك البلد العزيز إلى سقوطه على يد أعدائنا.
4- أخذ العبرة والموعظة من **خدع** المسلمين العسكرية في الأندلس، ومحاولة توظيفها واستثمارها في واقعنا الجهادي مع عدونا المغتصب لأرضنا.
5- التاريخ الأندلسي مليء بالأحداث العسكرية سواء معارك الهجوم أو الصد والدفاع، لذلك لا بد من التعرف على معاركهم سواء على صعيد الهجوم أو الدفاع.
6- المتأمل في معارك المسلمين في الأندلس يكتشف أن قادة الجهاد اعتمدوا على **الخدع** العسكرية في معاركهم، وذلك بسبب تفوق العدو عليهم في العدد والعتاد، لذلك لا بد من توثيق تلك **الخدع** و**الحيل** العسكرية وجمعها في دراسة واحدة يستفيد منها المعنيون.
7- العرفان بالجميل وفضل القادة العسكريين أصحاب الفضل بعد الله عز وجل في فتح الأندلس والحفاظ عليها أكثر من ثمانية قرون.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1- الوقوف على مدى مشروعية **الخدع** العسكرية في الإسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والأئمة والأدلة العقلية.

2- معرفة دور وأثر **الخدع** و**الحيل** العسكرية في معارك المسلمين في الأندلس.

3- بيان وتوضيح أنواع **الحيل** و**الخدع** العسكرية وهل يمكن توظيفها في كل زمان ومكان.

4- محاولة جمع ما تفرق من **الحيل** و**الخدع** العسكرية في المصادر التاريخية.

5- إظهار النتائج الإيجابية التي تعود على القائد وجيشه جَرَّاء استخدام **الحيل** و**الخدع** العسكرية في المعركة.

حدود البحث:

يتم تناول هذا البحث ضمن الحدود الآتية:

- **الحدود الموضوعية:**

يقتصر البحث على دراسة **الخدع** العسكرية للمسلمين في الأندلس، بدءاً **بالخدع** في معارك الفتح، ومروراً **بالخدع** في معارك السيطرة والسيادة، وانتهاءً **بالخدع** العسكرية التي دبرها المسلمون للبقاء حتى سقطت الأندلس.

- **الحدود الزمانية:**

يتناول البحث حقبة زمنية تمتد لثمانية قرون من عام **(92-897هـ = 711-1492م)**. حيث شملت المدة التي بدأت بفتح الأندلس حتى السقوط أي أنها شملت زمن الفتح وحقبة الإمارة، وعهد الخلافة، والدولة العامرية، ودولة المرابطين، ودولة الموحدين، ودولة بني مرين، ومملكة غرناطة.

- **الحدود المكانية:**

شملت الحدود المكانية للبحث مساحة الأرض التي جرت عليها معارك بين المسلمين وأعدائهم النصارى في بلاد الأندلس (أسبانيا والبرتغال حالياً) وأجزاء من بلاد الفرنجة (فرنسا حالياً).

الدراسات السابقة:

بعد المراجعة والبحث في رسائل الماجستير والدكتوراه اتضح أن الموضوع -في حدود علم الطالب- لم يطرح من قبل ولم تتناوله دراسة علمية متخصصة، لكن يمكن الاستفادة من رسالة ماجستير غير منشورة، للباحث جمال أبو ريدة، والتي تناولت **الخدع** العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة منهج البحث التاريخي، وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها، للوصول إلى تعميمات مقبولة في تناوله **للخدع** العسكرية للمسلمين في الأندلس.

صعوبات البحث:

واجهت الباحث بعض الصعوبات والمشاكل أثناء البحث ومن هذه الصعوبات:

1- انقطاع التيار الكهربائي بشكل يومي ولساعات طويلة، بسبب الحصار الظالم على قطاع غزة، الأمر الذي استدعى انقطاع الباحث عن الدراسة والبحث في أوقات كانت مخصصة لذلك، وتمكن الباحث من التغلب على ذلك بإيجاد مصادر بديلة للطاقة والإنارة والبحث في أوقات النهار وجعل ساعات الليل للراحة.
2- التزامات الحياة وعبء العمل وضغط الظروف التي واجهتها فترة كتابة البحث الأمر الذي أعاقني فترات عن الكتابة، ولكن تمكن الباحث من التغلب على ذلك بتخصيص أوقات للبحث والدراسة لا يتخلى عنها تحت أي ظرف.
3- عدم توفر الدراسات العسكرية المتخصصة في هذا الجانب في مكتبات القطاع، الأمر الذي دفعني لجلب عدد من الكتب من جمهورية مصر العربية.
4- تناثر المعلومات بين ثنايا وسطور المصادر والمراجع وحاجتها إلى وقت طويل وجهد كبير لجمعها وتحقيقها وشرحها وصياغتها، ولكن تمكن الباحث من التغلب على ذلك من خلال عملية البحث الالكتروني من خلال مكتبة الجامع الكبير.

تقسيمات البحث:

قسم الباحث البحث إلى: مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، والتوصيات، وملخص عام للبحث، وقد تضمنت **المقدمة** أهمية البحث ومسوغاته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والصعوبات التي واجهت الباحث، وتقسيمات الدراسة، وتناول **الفصل الأول** حقيقة **الخدع** العسكرية وأدلة مشروعيتها من القرآن والسنة النبوية وأفعال الصحابة الكرام وأقوال العلماء الميامين وأدلة العقل السليم تحت عنوان "حقيقة **الخدع** العسكرية وأدلة مشروعيتها".

أما **الفصل الثاني** فقد سلط الضوء على **الخدع** العسكرية للمسلمين في فترة الفتح وزمن الولاة تحت عنوان "**الخدع** العسكرية للمسلمين من الفتح حتى نهاية عهد الولاة".

وعالج **الفصل الثالث الخدع** العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة الأول والثاني والثالث **(**مرحلة إعلان الخلافة**)**، تحت عنوان: "**الخدع** العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة".

وأبرز **الفصل الرابع** والأخير **الخدع** العسكرية في زمن الدولة العامرية، ودولة المرابطين، ودولة الموحدين، ودولة بني مرين، ومملكة غرناطة، تحت عنوان: "**الخدع** العسكرية للمسلمين من الدولة العامرية حتى سقوط غرناطة".

وختم الباحث دراسته بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها وكذلك التوصيات التي يوصي بها، فضلاً عن مجموعة من الملاحق المتعلقة بالبحث، هذا إلى جانب قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث أثناء إعداده للبحث، وفهرس بالأماكن والأعلام، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وفي الختام: أدعو الله العظيم في عليائه، أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث حتى ينتفع به طلبة العلم وأهل الجهاد والمقاومة، فقد بذلت فيه كل جهد مستطاع؛ ليخرج بهذا الشكل، فما كان من نقص فمن نفسي والشيطان، وما كان من صواب فلله الفضل والمِنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفصل الأول

حقيقة الخدع العسكرية وأدلة مشروعيتها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم الخدع.
- المبحث الثاني: مشروعية الخدع العسكرية من القرآن والسنة.
- المبحث الثالث: موقف الصحابة والعلماء والعقل من الخدع العسكرية.

المبحث الأول

مفهـــوم الخدعة

أولاً- الخدعة في اللغة والاصطلاح:

(أ) الخدعة في اللغة:

كلمة **الخدعة** وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي كلمة عربية من الفعل "**خَدَع**" وأصل هذه المادة يدل على إخفاء الشيء، وبه سميت الخزانة مخَدعاً، وأخدعت الشيء إذا أخفيته"[1].

يقول صاحب كتاب سبيل الهدى والرشاد: "أصل **الخدع**: إظهار أمر وإضمار ما تخفيه"[2].

وقد ورد هذا الأصل في اللغة بمعان منها:

1- **الخدعة**: بمعنى المنع يقال: **خَدَع** الرجل، **يَخدع خَدوعاً**، إذا أمسك بعد ما كان يعطي.

2- **الخدعة**: بمعنى **الحيلة** و**المكر**.

3- **الخدعة**: بمعنى الاختبار والمراوغة ومن أمثال العرب: "**أخدع** من خبت حَرشْتَه" وهو من قبيل قولك **خَدع** مني فلان، إذا توارى ولم يظهر[3].

ويقال الخادع: الفاسد من الطعام وغيره، والانخداع الرضا **بالخدع**، والتخادع التشبه بالمخدوع، و**الخدعة** الرجل المخدوع[4].

وقد ورد في السنة بصيغ مختلفة قوله (ﷺ): "الحرب **خدعة**"[5] وتقرأ لفظة **خدعة** على ثلاث ألفاظ[6] وهناك من قرأها بأربع ألفاظ وخمس[7] مما جعل لها معانٍ متعددة:

---

(1) انظر: الفراهيدي: العين، ج1، ص115؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ج1، ص111؛ ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص112.

(2) الصالحي: ج1، ص418.

(3) الشيباني: الجيم، ج1، ص231؛ ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص112.

(4) الفراهيدي: العين، ج1، ص115؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ج1، ص111.

(5) البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص64، حديث رقم 3030.

(6) انظر: الفراهيدي: العين، ج1، ص115؛ الأزهري: تهذيب اللغة، ص111؛ الخطابي: غريب الحديث، ج2، ص166؛ ابن الجزري: النهاية في غريب الحديث، ج2، ص14.

(7) النحوي: المخصص، ج1، ص283؛ الخزاعي: تخريج الدلالات، ج1، ص481؛ ابن حجر: فــتح البـــاري، ج6، ص158؛ السفاريني: غذاء الألباب، ج1، ص100.

1- **خَدْعَة**: بفتح الخاء وسكون الدال، وهو أفصح الروايات وأصحها في الحديث، وهو اسم المرة الواحدة من **الخداع**، ومعناه أن المقاتل إذا **خُدع** مرة واحدة كان هلاكه ولم تقل عثرته، فكأنه نبّه على أخذ الحذر من مثل ذلك.

2- **خُدْعَة**: بضم الخاء وسكون الدال، وهو الاسم من **الخداع**، بمعنى **تخدع** أهلها ومباشريها، وهي منطق العامة وأشهر الألفاظ.

3- **خُدعَة**: بضم الخاء وفتح الدال، نسب الفعل إليها وتستخدم للدلالة على الكثرة، أي أن الحرب **تخدع** الرجال ومن اطمأن إليها ولا تمنى أحداً ولا تفي دوماً.

4- **خَدعَة**: بفتح الخاء وفتح الدال، وهو جامع خادع، أي أهلها بهذه الصفة، فحذف أهلها وأقام الحرب مقامهم وهو شبيه قوله تعالى: ﴿اسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1] فقد ذكر المكان وأراد المكين (أي ساكن المكان).

5- **خدْعَة**: بكسر الخاء وسكون الدال، أراد به **المكر**وه من حيث لا يعلم والاسم الخديعة وهو لفظ مكي ومحمد عبد الواحد.

وعليه يتبين لنا أن هذه اللفظة مع اختصارها كثيرة المعنى، وهذا الأسلوب اتبعه النبي(ﷺ) في كثير من المواضع.

(ب) الخدعة في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي **للخدعة** عن المعنى اللُغوي كثيراً، فقد عرض أهل العلم **الخدعة** بتعريفات منها:

1- إظهار خلاف ما يخفيه الإنسان[2] وهذا نظير قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخدعونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3] أي يخفون الكفر ويظهرون الإسلام ولكن الله يعلم حقيقتهم.

2- إظهار خير يتوصل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر[4].

3- الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافه ليحصل مقصود المخادع[5].

---

(1) سورة يوسف، ج13، آية 82.

(2) الرازي: مختار الصحاح، ص72.

(3) سورة البقرة، ج1، آية 9.

(4) البقاعي: نظم الدرر، ج1، ص43.

(5) ابن القيم: إغاثة اللهفان، ج1، ص584.

4- علم وفن وتخطيط لتنفيذ مجموعة من الإجراءات المنسقة المخالفة للحقيقة، وإقناع العدو وحلفائه بضخامة الإمكانات والتجهيزات والممارسات الشديدة التي ستنفذ ضده، مما يقوده إلى اتخاذ قرارات غير صحيحة، تؤدي إلى تهيئة ظروف مناسبة لتحقيق أهداف الجيش والدولة(1).

5- الأعمال التي ترمي إلى تضليل العدو أو التغرير به، على أن لا تكون منافية للشرف والأخلاق(2).

6- إرادة إصابة **المكر**وه لغيره من حيث لا يعلم؛ لإظهار الجميل وإضمار ضده(3).

7- أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من **المكر**وه لتنزله عما هو بصدده(4).

8- فن التمويه والاستتار عن الحقيقة؛ لتضليل العدو وصرفه عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية للمعركة(5).

مما سبق من تعريفات يمكن تعريف الخدعة العسكرية بأنها: علم عسكري يقتضي التخطيط للتغرير بالعدو وتضليله والإيقاع به لتحقيق مصلحة راجحة وإبعاد مضرة واضحة بأقل الخسائر والجهد.

ثانياً- الألفاظ ذات الصلة:

1- الحيلة:

أ. الحيلة في اللغة:

الحَوْلُ، والحيل، والحِوَلُ، والحيلة، والحَوِيلُ، والمُحالَةُ، والاحْتِيَالُ، والتَّحوُّل والتَحيل، والحيل، والحِوَلُ: جمع حيلة، ورجل حُوَلٌ: شديد الإحتيال(6).

يقول الرازي: **الحيلة** اسم من الاحتيال، وهي مشتقة من التحول، وهي من ذوات الواو فإنها من التحول من حَالَ يحوُلُ وإنما انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها(7).

يقول القرطبي: **الحيلة** لفظ عام لأنواع الأسباب(8).

---

(1) أبو ريدة: **الخدع** العسكرية، ص9.

(2) الدغمي: التجسس وأحكامه، ص225.

(3) الخادمي: بريقة محمودية، ج4، ص267.

(4) السفاريني: غذاء الألباب، ج1، ص100.

(5) هيكل: الجهاد والقتال، ج2، ص129.

(6) المرسي: المحكم، ج4، ص6؛ ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص186.

(7) ابن القيم: إعلام الموقعين، ج3، ص240؛ الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص68-69.

(8) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص347.

الحيلة: الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف(1)، وهي تقليب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود(2) وقد وردت في القرآن والسنة بألفاظ مختلفة منها حَول، ومِحَال، وصرفا(3).

ب. الحيلة في الاصطلاح:

عرفها ابن القيم: "نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال ثم غلب عليها بالعُرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة"(4) وعرفها أيضاً فقال: "**تَحيل** الإنسان بفعل مباح للتخلص من ظلم غيره وأذاه"(5).

عرفها النسفي: "**الحيلة** ما يتلطف به لدفع **المكر**وه أو لجلب المحبوب"(6).

عرفها صاحب كتاب التعريفات فقال: "**الحيلة** هي ما يحول المرء عن ما يكره إلى ما يحب"(7).

يمكن الخلوص إلى تعريف الحيلة بأنها: أسلوب أو طريقة تستخدم لجلب نفع أو دفع ضر منها ما هو جائز عرفاً وشرعاً وما هو محظور(*).

2-التغرير:

أ. التغرير في اللغة:

غر: غره يغره غراً وغروراً، فهو مغرور وغرير: **خدعه** وأطعمه بالباطل، فالمصدر الغرارة، والغرور الذي يغرك(8)، وقيل الغرور: **الخدع** والترجيه بالباطل(9): وقيل هو

---

(1) النووي: تهذيب الأسماء، ج3، ص71.

(2) المقري: المصباح المنير، ج1، ص157؛ البغدادي: خزانة الأدب، ج6، ص140.

(3) الأنباري: الزاهر، ج1، ص6، 146.

(4) ابن القيم: إعلام الموقعين، ج3، ص240.

(5) ابن القيم: الطرق الحكيمة، ج1، ص50.

(6) طلبة الطلبة، ج1، ص341.

(7) الجرجاني: ج1، ص127.

(*) أسهب الفقهاء والأصوليون في الحديث عن الحيل الشرعية والغير شرعية وأفردوا لذلك كتب وأبواب لمزيد من المعلومات انظر: ابن القيم: أعلام الموقعين، ج3، ص165 وما بعدها.

(8) ابن ادريس: المحيط في اللغة، ج4، ص511؛ ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص11-12.

(9) ابن عطية: المحرر الوجيز، ج1، ص550.

الأخبار بخلاف الواقع[1] وهذا قبيل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[2].

الغَرور بالفتح ما يتغرغر به من الأدوية؛ وبالضم ما اعتريه من متاع الدنيا بالكسر نقصان لبن الناقة فغره يغره غروراً بالضم تعني **خدعة**، يقال ما غرك بفلان أي كيف **خدعك** واجترأت عليه[3].

وقد وردت هذه اللفظة بألفاظ متنوعة وللدلالة على أكثر من معنى منها قوله تعالى ﴿فَدلاهُمَا بِغُرُور﴾[4] وقوله (ﷺ) "المؤمنُ غرٌ كريم"[5].

ب. التغرير في الاصطلاح:

عرفه القرطبي: "ما رأيت له ظاهراً تحبه وفي باطنه **مكر**وه أو مجهول"[6].

عرفه العسكري: "حمل النفس على الغرر والبؤس والشدة"[7].

عرفه الجرجاني: "سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع وهو مجهول العاقبة"[8].

عرفه الزركشي: "الإقبال على القتال والانغماس في الأعداء"[9].

ويمكن الخلوص إلى تعريف التغرير بــ: إيهام وتظليل العدو بضخامة العدد والعتاد والمقدرة على النكاية به، وتحقيق الغلبة والفوز عليه وذلك بدفع عدد من الأبطال الشجعان بين صفوفه.

ذهب أهل العلم إلى: "أن المخاطرة بالنفس مشروعة في إعزاز الدين، لذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعة، فمن خشي على نفسه سقط عنه الوجوب وبقي الاستحباب، ومن قال بأن التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق وجانب الصواب"[10].

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص77.
(2) سورة طه، ج16، آية 120.
(3) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص197.
(4) سورة الأعراف، ج8، آية 22.
(5) الحاكم: المستدرك، ج1، ص104، حديث رقم 130.
(6) الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص302.
(7) جمهرة الأمثال، ج1، ص280.
(8) التعريفات، ج1، ص208.
(9) شرح الزركشي، ج3، ص182.
(10) السبكي: طبقات الشافعية، ج8، ص228.

3- التدبير:

أ. التدبير في اللغة:

النظر في عاقبة الأمر، أو النظر في ما تؤول إليه الأمور[1]، التدبير أن يتدبر الرجل أمره، ويدبره وينظر في عواقبه، والتدبر التفكير[2]، والعقل آلة التدبير، وهو **المكر** في عُرف العامة[3].

سُئِل أعرابي: أي الأشياء أدل على عقل العاقل، قال حسن التدبير، فالتدبير مجال اختبار العَقل[4].

ب. التدبير في الاصطلاح:

عرف الجرجاني التدبير: "إجراء الأمور على علم العواقب وهي لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً"[5] وعرفها أيضاً فقال: "التدبير النظر في العواقب بمعرفة الخير"[6].

وقيل التدبير هو "تقويم الأمر بما يترتب عليه صلاح العاقبة"[7].

قال ابن عبد ربه[8]: "إن الله جمع حسن تدبير الحرب في آيتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[9].

وضع صاحب كتاب بدائع السلك عدة أمور لإحكام التدبير منها[10]:

1- التدبير قوام الملك وحافظ وجوده وهذا من قبيل الفعل الممتدح به تعالى في حفظ نظام الكون بمجمله، قال تعالى: ﴿يُدبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[11]، وقال أيضاً: ﴿يُدبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ﴾[12].

---

(1) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص83؛ الزبيدي: تاج العروس، ج11، ص265.
(2) ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص273؛ الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص83.
(3) القلقشندي: مآثر الأناقة، ج1، ص32.
(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص102.
(5) التعريفات، ج1، ص76.
(6) الجرجاني: التعريفات، ج1، ص77.
(7) العسكري، الفرق، ج1، ص210.
(8) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص96.
(9) سورة الأنفال، ج10، آية 45-46.
(10) ابن الأزرق، ج1، ص333-334.
(11) سورة الرعد، ج13، الآية 2.
(12) سورة السجدة، ج21، الآية 5.

2- كل ما هو من الخيرات المؤكدة يُثبتها التدبير الذي يوجب بقاء النعمة ويثبت الحكم والقيادة.
3- لا غنى للقائد عن التدبير حتى بعد استقامة الأمور وانتهاء المعركة.
4- لا يأخذ التدبير إلا من ذوي الخبرة والتجربة العارفين بما تحسن به العاقبة، وترضى به الاستقامة التي لا بعد فيها عن المنهج القويم.
5- شدة المبالغة والخوف والتحفظ والتحرز عند القيام بصناعة التدبير؛ ليكن خوفك من تدبيرك على عدوك، أكثر من تدبير عدوك عليك.

ونخلص إلى تعريف التدبير: جمع المعلومات عن العدو وإمكانياته لتقدير الموقف وترتيب الخطط العسكرية والاستراتيجيات القتالية بما يضمن تحقيق النصر والغلبة على العدو.

4- الكيد:

أ. الكيد في اللغة:

الكَيْدُ من المكيدة، وقد كاده يكيده مكيدة؛ والكيد: الاحتيال بغير ما يبدي[(1)]، وهو أيضاً، التدبير بباطل أو حق[(2)] وقالوا الكيد: المعالجة فكل شيء تعالجه فأنت تكيده[(3)]. وقالوا الكيد: الاحتيال، والاجتهاد، والحرب؛ يقال غزا فلان فلم يلق كيداً أي حرباً[(4)].

ب. الكيد في الاصطلاح:

عرفه الجصاص: "الكيد هو السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال لإيقاع الضرر"[(5)].
عرفه السيوطي: "الكيد إرادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به وهو الاحتيال"[(6)].
عرفه الجُرجَاني: "الكيد إرادة مضرة الغير الخفية"[(7)].
قال ابن القيم: "الكيد الذي شرعه الله للمظلوم أن يكيد به ظالمه **ويخدعه** به، إما للتوصل إلى أخذ حقه منه أو عقوبة له أو لكف شره وعدوانه"[(8)].

---

(1) الفراهيدي: العين، ج5، ص396، 370.
(2) الأزهري: تهذيب اللغة، ج10، ص179.
(3) ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص149.
(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص297؛ ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص383.
(5) أحكام القرآن، ج3، ص182.
(6) معجم مقاليد العلوم، ج1، ص207.
(7) التعريفات، ج1، ص241.
(8) إعلام الموقعين، ج3، ص239.

قال العسكري: الكيد: التدبير على العدو وإرادة إهلاكه، ويطلق على **الحيل** التي يفعلها أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم، ويكون الكيد بعد تدبر وفكر وهو أقوى من **المكر**"[1].

قال الأزهري: الكيد في الحرب حلال[2].. قال الحَراني: الكيد إعمال **الخدعة** في الاحتيال في هدم بناء باطن مثل التدين والتخلق[3].

ويمكن تعريف الكيد: هو إرادة الظفر بالعدو والنكاية به أو دفع شره بعد عميق تفكير وتدبر باستخدام وسائل التخفي والتمويه والتضليل والخداع.

هذا وقد جاء ذكر الكيد في القرآن الكريم في أكثر من موضع[4].

5- المكر:

أ. المكر في اللغة:

أصل **المكر الخداع**، و**المكر**: الخديعة والاحتيال[5]، قال الفراهيدي: احتيال في خفية، واحتيال بغير ما يضمر، واحتيال بغير ما يبدي[6]؛ وهو اسم فاعل من **مكر يمكر مكراً**، وقد عده بعض العلماء في أسماء الله وكان يدعو به النبي (ﷺ) "اللهم **امكر** لي ولا **تمكر** عليَّ"[7].

وقال الرازي: أصل **المكر** في اللغة، السعي بالفساد في خفية ومداجاة[8].

ب. المكر في الاصطلاح:

المكر نوعان[9]: **مكر** محمود وهو ما يتحرى به أمر جميل وعلى ذلك قوله تعالى ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْن﴾[10] **ومكر** مذموم وهو ما يتحرى به فعل قبيح نحو قوله تعالى ﴿وَلَا يَحِيْقُ المكر السَّيِءُ إِلا بِأَهْلِه﴾[11].

(1) الفرق، ج1، ص285.
(2) تهذيب اللغة، ج10، ص135.
(3) البقاعي: نظم الدرر، ج2، ص97.
(4) من هذه المواضع: سورة يوسف، آية 76؛ سورة الفيل، آية 2.
(5) ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص183.
(6) العين، ج5، ص370.
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص99.
(8) الرازي: التفسير الكبير، ج8، ص58.
(9) الزبيدي: تاج العروس، ج4، ص147.
(10) سورة آل عمران، ج3، آية 54.
(11) سورة فاطر، ج22، آية 43.

عرف الحَراني **المكر** فقال: "هو إعمال الخديعة والاحتيال في هدم بناء ظاهر كالدنيا وهو محسوس"[1].

ابن عطية عرف **المكر**: "هو ما يتمرس بالإنسان ويسعى عليه عَلِمَ بذلك أم لم يعلم"[2].

قال ابن الأثير: "**مكر** الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وهو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة"[3].

قال السمعاني: **المكر** من العبد الخبث و**الخداع** والاغتيال؛ ومن الله تعالى أن يأخذ بغتة من حيث لا يعلم، لذلك لا يسند **المكر** إلى الله إلا من ناحية إيصال الجزاء إلى العاصي[4]، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر **المكر** في أكثر من موضع[5].

مما سبق يمكن تعريف المكر: استخدام أساليب التضليل والتمويه والاحتيال لاستدراج العدو لتحقيق نصر عليه دون أن يشعر بذلك والعمل على طمأنته بإظهار ما يحب أن يرى من خصمه.

6- التورية والتعريض:

أ. التورية في اللغة:

التورية الستر، يقال: وريت الخبر أوريه تورية، بمعنى إذا سترته وأظهرت غيره، وهو مأخوذ من وراء الإنسان بمعنى جعله وراءه حتى لا يظهر"[6].

وقال القرطبي: التورية هو التعريض بالشيء والكتمان لغيره ومنها مأخوذة التوراة لذلك كان أكثر التوراة معاريض وتلويحات[7].

وتعتبر التورية من معاريض الكلام، والتعريض ضد التصريح[8].

ب. التورية في الاصطلاح:

عرفها الكلبي فقال: تدبير غوامض الحرب بما يوهم العدو الإعراض عنه أو النكول حتى توجد فيه الفرصة[9].

---

(1) البقاعي: نظم الدرر، ج2، ص97.

(2) الوجيز، ج3، ص319.

(3) ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص183.

(4) تفسير السمعاني، ج1، ص323.

(5) من هذه المواضع: سورة يونس، آية 21؛ سورة الرعد، آية 42؛ سورة إبراهيم، آية 46.

(6) الهروي: غريب الحديث، ج1، ص198.

(7) الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص5.

(8) الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص178.

(9) القوانين الفقهية: ج1، ص104.

عرفها النووي فقال: "هي أن يوهم غير مراده فيقصد شيئاً ويتكلم بما يفهم منه غيره"[1].
الجرجاني عرفها فقال: "التورية هي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره"[2].
المناوي عرفها فقال: "التورية قصد مخالفة اللفظ بما لا يتبادر من معناه، وعرفها أيضاً فقال: التورية أن تطلق لفظاً ظاهراً في معنى وتريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ بخلاف الظاهر"[3].

ويمكن الخلوص إلى تعريف التورية أسلوب يقصد به المتكلم خلاف ما يبطن؛ ليحقق غايته وهدفه.

وعليه أجاز العلماء استخدام التورية والتعريض في الحرب وقالوا: على القائد أن لا يبين جهة إغارته وإغارة سراياه حتى لا يشيع ذلك فيحذرهم العدو[4].

ولا تعتبر التورية من الكذب، وذلك لاستخدام النبي (ﷺ) هذا الأسلوب في كثير من معاركه وغزواته على نحو ما سنذكر في المبحث القادم[5].

وهناك من ذهب إلى أن التورية تستخدم فقط عند الحاجة مثل: الإكراه والتخلص من عدو ونحوه، أما استخدام التورية في التعامل مع الناس وبدون حاجة أو وجه حق فهذا مما لا يرغبه العلماء[6].

7- الذريعة:

أ. الذريعة في اللغة:

الوسيلة، وسد الذرائع أي قطع الأسباب[7]، وعند الفقهاء قاعدة سد الذرائع[8].

ب. الذريعة في الاصطلاح:

الأصوليون يعرفون الذريعة: هي الوسيلة المؤدية إلى الشيء سواء كان مصلحة أم مفسدة[9].

---

(1) تهذيب الأسماء، ج3، ص364.

(2) التعريفات، ج1، ص97.

(3) التوقيف، ج1، ص214.

(4) النووي: شرح صحيح مسلم، ج3، ص45.

(5) انظر: المبحث الثاني من الفصل الأول من الرسالة ص33 وما بعدها.

(6) العيني: عون المعبود، ج1، ص213-214.

(7) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص96؛ الرازي: مختار الصحاح، ج1، ص226.

(8) القرافي: أنوار البروق، ج2، ص59؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص59.

(9) السلمي: أصول الفقه، ص211.

أما الفقهاء فيعرفونها: هي المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور[1].

والذريعة و**الحيلة** يوجد بينهما تشابه كبير، غير أن الفرق بينهما أن الذريعة لا يلزم أن تكون مقصودة، أما **الحيلة** فلا بد أن تكون مقصودة وهي في العقود خاصة، بينما الذريعة تعم العقود وغيرها وتشمل الأفعال وغيرها[2].

ومن شواهد سد الذرائع في عصر النبوة: إحجام النبي (ﷺ) عن قتل حاطب ابن أبي بلتعة[3] على محاولته إخبار قريش بمسير النبي (ﷺ) في فتح مكة وذلك لأنه شهد بدراً[4].

وكذلك إحجامه عن قتل المنافقين مع أن خطرهم على الإسلام أشد من خطر اليهود والنصارى وذلك حتى لا يقال أن محمداً يقتل أصحابه؛ ويكون مدعاة لتشويه صورة الإسلام بين الشعوب والقبائل[5].

ويمكن الخلوص إلى تعريف الذريعة: استخدام وسائل وأساليب الهدف منها تحقيق الظفر والغلبة على العدو دون قتال أو بأقل الخسائر والجهد.

وختاماً.. هناك ألفاظ متعددة تقارب الخدعة في مفهومها اللغوي، كالغدر، والغبن، والخيانة، والغش، والتدليس، والتزوير، لكنها تفارق الخدعة فيما اخترناه في الاصطلاح من ألفاظ ذات صلة، وذلك لأنها تدل على وسائل غير مباحة في الخدعة، أو تهدم أصلاً واجباً في الشرع.

وقد جمع أسامة بن منقد جزءاً من هذه الألفاظ في وصفه للحرب فقال: "الحرب جسمها الشجاعة، وقلبها التدبير، وعُدتها الحذر، وجناحها الطاعة، ولسانها المكيدة، وقائدها الرفق، وسائقها الصبر، وأولى الناس بها أبعدهم في **الحيل** وأنفذهم في المخاطرة"[6].

ثالثاً- مظاهر الخدع العسكرية:

إن الناظر إلى باب **الخدع** العسكرية يجد باباً واسعاً، تتعدد فيه الأساليب، وتتنوع فيه المكائد و**الحيل**، وقد بين العلماء أن **الخدع** العسكرية كثيرة وأكبر من أن تعد أو تحصى

(1) الباجي: إحكام الفصول، ص689.

(2) دداش: منع الحيل، مجلة الشريعة، عدد 20، ص298.

(3) حاطب بن أبي بَلْتَعة: لخمي حليف بن اسد، صحابي جليل شهد بدراً، توفى في خلافة عثمان بن عفان، سنة 30هـ، وعمره خمس وستون سنة. للمزيد: ابن حجر: الإصابة، ج2، ص5.

(4) الواقدي: المغازي، ج2، ص239.

(5) الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص62.

(6) لباب الأدب، ج1، ص120.

والحاضر فيها أقوى على تحديدها من الغائب البعيد عنها(1)، **وقد بين العارفون بأمور القتال عدد من هذه المظاهر سنذكرها على سبيل الإيجاز للاستفادة:**

1- سئل بعض أهل التمرس في الحرب أي المكايد أحزم؟ قالوا: نشر العيون، ونشر الغلبة واستطلاع الأخبار، وإظهار السرور، وتفتيش الطرق، والاحتراس من البطانة من غير إبعاد لمن يُستنصح ولا اطمئنان لمن يستغش وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره(2).

كذلك قالوا: من **الحيل** في الحرب بثُّ الجواسيس في معسكر العدو لجلب أخبارهم واستمالة قلوب رؤسائهم وأهل الشجاعة منهم فيغريهم ويمنِّيهم فإنْ رأى منهم وجهاً عاجلهم بالهدايا وأن يكتب على السهام أخبار مزورة ويلقيها بين صفوفهم(3)، واليوم ينوب عن ذلك الإذاعات والقنوات التلفزيونية والفضائية وصفحات الإنترنت.

ابن جماعة يقول: يستحسن بث الجواسيس والطلائع قبل الحرب وبعدها للاطلاع على أخبار العدو، وأن يكون له عيون داخل معسكراتهم؛ ليطلعوه على أخبارهم أولاً بأول وأن ينشئ إليهم كتباً وأخباراً مزورة(4).

2- على القائد أن يخفي العلامة التي هو معروف بها فإن عدوه قد يستعمل **حيلته** وألوان خيله ورايته، وألا يلزم خيمته في الليل والنهار وعليه تبديل زيه وخيمته حتى لا يتمكن منه عدوه، وعليه ألا يمشي في عدد قليل من جنده خارج معسكره لأن قتله ينهي المعركة ويهزم جيشه ويشتت قوته(5) فمن أعظم وسائل الكيد في المعارك قتل القائد قبل المعركة أو مع لحظاتها الأولى.

وعلى القائد إذ احتال على عدوه بأنواع **الحيل** أن يأخذ حذره واحتراسه من كل ما يظن أن يبلغه من عدوه فقد قيل "احترس من تدبيركَ على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك فَرُبَّ هالك بما دبر وساقط في البئر التي حفر وجريح بالسلاح الذي شهر"(6).

3- من أعظم **الخدع** في الحروب الكمين لأن الفارس إذا التفت وراءه فوجد الجند يصبح همه خلاص نفسه(7) فقيل: لا يدوم إقبال مقاتل على خصمه إلا إذا آمن من ورائه فما أكثر الجيوش التي هزمت بالكمائن(8)!.

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص113.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص113.

(3) الأبشيهي: المستطرف، ج1، ص464.

(4) تحرير الأحكام، ج1، ص159.

(5) الابشيهي: المستطرف، ج1، ص469.

(6) الشيرزي: المنهج المسلوك، ج1، ص548.

(7) الابشيهي: المستطرف، ج1، ص466.

(8) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص164.

4- تولية بعض قيادات العدو الخارجين على الدولة وذلك لضرب بعضهم ببعض كذلك أن يتحدث بإسم زعماء العدو وينشر على ألسنتهم أخباراً؛ وذلك ليضعف عزيمتهم ويُوهن قوتهم كذلك بنشر أن خصمه طلب الصلح والسلام ويشيع أنه قيد دراسة ذلك ويعد بالوفاء وإمكانية قبول ذلك(1).

5- تأخير الحرب إلى آخر النهار أو أبعد من ذلك حيث كان أحب أوقات اللقاء إلى النبي (ﷺ) إذا غابت الشمس، وإذا وقعت الحرب خلال النهار يجتهد في جعل الشمس في أعين عدوه والريح في وجهه(2)، فقد قيل: الليل أرجح لصاحب الكيد منه لصاحب الحراسة خاصة في الليالي الباردة، ومن الليالي المفضلة **للخدع** هي الليالي المظلمة الدامسة أو المطيرة أو ليالي الريح العاصفة؛ لأن فيها يختبئ الحراس وتتثاقل المقاتلة، ويتناعس أكثر أهل البأس والشدة ويبتعد من كان يعمل للرياء والسمعة ويتكل بعضهم على بعض(3). يقول ابن منكلي: "أعلم أن جُلَّ المدائن إنما أخذت وفتحت إما عنوة ولعجز أهلها عن ضبطها، وإما **بالحيلة** لِضعف رأي أهلها وغفلة قوامها وحفظتها"(4).

وختاماً مع ما ذكرنا من مظاهر الخدع؛ فإنه يوجد غيرها كثير في ثنايا البحث فلا بد للمقاتل أن يستحضر أن المكيدة والحيلة والخدعة من أهم وأنفع ما يعتمد عليه في الحروب فهذه وصية الأولين للآخرين والسابقين للاَّحقين فالحيلة أبلغ من الوسيلة(5).

---

(1) ابن الأزرق: بدائع السلك، ص162-163.

(2) ابن الأزرق: بدائع السلك، ص164.

(3) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص403-404.

(4) الحيل في الحروب، ص402.

(5) الأبي: نثر الدرر، ج1، ص200.

المبحث الثاني

مشروعية الخدع العسكرية من القرآن والسنة

أولاً- القرآن الكريم:

تواترت نصوص الكتاب العزيز على مشروعية استخدام **الخدع** و**الحيل** وغيرها من وسائل التضليل للعدو طالما لا يوجد فيها نقض عهد أو خيانة أمانة[1] **ومن هذه النصوص**:

أ. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[2].

وجه الدلالة: أن الله يعاقب المنافقين بنفس الذنب فالجزاء من جنس العمل، الذي كانوا عليه في الدنيا وهو خديعتهم واحتيالهم على الناس بأنهم مؤمنين وعلى الخير وهم يبطنون الكفر والسوء، فخداع الله لهم هو عقوبتهم ومجازاتهم على ما فعلوا[3]، فكان **الخداع** متمثل في أن الله تعالى يعطي لهذه الأمة يوم القيامة لكل إنسان سواء كان مؤمن أو منافق نوراً يمشي به، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاؤا إلى الصراط انطفأ نور كل منافق وبقي نور المؤمنين وهنا ينادي المنافقون على المؤمنين ليأخذوا شيئاً من نورهم وهنا أيضاً تقع خديعة أخرى[4] قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[5]، قال الحسن البصري "هذه خديعة الله[6] للمنافقين"[7].

وعليه جاز لنا أن **نخدع** المنافقين والكافرين من أجل أن يظهر الدين وينجلي ليل الظالمين والمشركين.

ب. **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي﴾[8].

وجه الدلالة: إنه من غير الممكن أن يكون رسول لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات، دون أن يكون لله تعالى مُوَحِّد وبه عارف ومن كل معبود سواه بريء، ولكن ما كان من إبراهيم

---

(1) للمزيد: ابن حجر: فتح الباري، ج6، ص158.

(2) سورة النساء، ج5، الآية (142).

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص422.

(4) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج2، ص127؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص245.

(5) سورة الحديد، ج27، الآية (13).

(6) الخداع، والمكر، والكيد، من الله هو فقط على سبيل المشاكلة اللفظية إذ لا يليق بالله ذلك.

(7) الطبري: جامع البيان، ج5، ص334.

(8) سورة الأنعام، ج7، الآية (76).

عليه السلام استدراج لبني قومه الذين كانوا يُعظِّمون النجوم والكواكب من أجل أن يبين لهم خطأهم وجهلهم في تعظيم من لا يستحق التعظيم لأنه يغيب ويأتي، وبذلك يقيم عليهم الحجة ويظهر لهم نقص وبطلان ما يعظموا[1].

وعليه يتبين لنا جواز استدراج العدو بشتى الوسائل من أجل تحقيق الفوز والغلبة عليه مادياً ومعنوياً.

ت. **قوله تعالى:** ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [2].

وجه الدلالة: في غزوة بدر خرج النبي (ﷺ) بثلاثمائة مقاتل ويزيد قليلاً وقريش بقرابة الألف مقاتل، فأراد الله عز وجل أن يطمئن المسلمين ويهدأ من روعهم وينزع من صدورهم الرهبة والخوف من أعدائهم، فرأى النبي (ﷺ) في منامه الكفار أقلة، وهو على غير ما كان في الحقيقة من التفوق العددي لكفار قريش على المسلمين وذلك ليتم الله أمر القتال ويحقق النصر للمسلمين على أعدائهم، فكانت الرؤيا حافزاً للمسلمين على القتال وعدم التراجع أمام القوم، يقول ابن عباس: سلَّم الله القوم من الفشل والتنازع بما أرى نبيه (ﷺ) في منامه، حتى قويت قلوبهم واجترأوا على حرب عدوهم[3].

ث. **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[4].

وجه الدلالة: أن الله تعالى جعل المؤمنين يرون الكفار أقلة حتى يشجعهم على قتالهم فلا يجبُنون عن الحرب، يقول ابن مسعود: قلت لإنسان كان جانبي يوم بدر: أتراهم سبعين؟ فقال: هم نحو المائة، فأسرنا رجلاً فقلنا له: كم كنتم؟ فقال: كنا ألفاً[5].

كذلك الحال مع الكفار قلل الله عز وجل المسلمين في أعينهم في بداية المعركة حتى قال أبو جهل في ذلك اليوم: إنما هم أكلة جزور خذوهم وأربطوهم بالحبال ولكن مع اشتداد المعركة أصبح المشركون يرون المسلمين مثليهم، وذلك ليتم الله الأمر ويصبغ نعمه على المسلمين ويعز الدِّين ويهزم المشركين[6].

مما سبق يتبيَّن لنا جواز تضليل العدو واستدراجه للقتال لتحقيق النصر عليه.

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص25.

(2) سورة الأنفال، ج10، آية 43.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص22؛ الطبري: جامع البيان، ج10، ص12.

(4) سورة الأنفال، ج10، آية 44.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص23.

(6) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج2، ص535؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص23؛ الطبري: جامع البيان، ج10، ص13.

ج. **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[1].

وجه الدلالة: هذا من الكيد الذي يسَّره الله عز وجل ليوسف عليه السلام، حيث كان في دين يعقوب أن السارق يستعبد، وعند المصريين أن السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق، فعلم يوسف أن إخوته لثقتهم ببراءتهم سيطالبون بتنفيذ الحكم المعمول في دين يعقوب، فتحيل يوسف لذلك واستسهل الأمر على ما فيه من رمى أبرياء بالسرقة وإدخال الهم على يعقوب عليه السلام وعلى إخوانه، ولكن علمه بما سيتحقق من الصلاح في آجل أمرهم وبوحي من الله هو الذي دفعه لذلك وهذا يقويه قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[2]

فكان هذا حسن تدبير من الله تعالى لنبيه يوسف حيث استطاع أن يبقي أخاه عنده بهذه **الحيلة**[3]، وما كان ليوسف عليه السلام أن يقوم بهذا الفعل الذي في ظاهره الشر دون أن يتأكد أنه يحمل في باطنه الخير والفرج عليه وعلى إخوته وأبيهم يعقوب عليه السلام؛ كذلك ما كان ليوسف عليه السلام أن ينزل أخاه على حكم ملك مصر فيوقع على أخيه العقوبة والعذاب، ولكن لتكتمل **حيلته** وتتحقق إرادته وجب عليه أن يمضي على أخيه حكم يعقوب عليه السلام[4].

مما سبق يتضح أن الوصول إلى الأهداف والأغراض بالحيل جائز شرعاً ولكن من العلماء من ذهب إلى الجواز ولكن بشرط عدم مخالفة الأصول ومنهم من ذهب إلى الجواز وإنْ خالفت الأصول[5] ونرجح الثاني مع الأعداء وفي ساحات القتال والأول مع المسلمين وفي المعاملات.

ح. **قال تعالى:** ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[6].

وجه الدلالة: قوم ضعفاء كان لهم سفينة تعمل في البحر، وكان ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة، فأراد الخضرْ عليه السلام أن يعيب السفينة بالخرق حتى لا يأخذها ذلك الملك واحتجاج موسى عليه السلام جاء ظناً منه أنه خرقها ليغرق أهلها، ولكن الخضر عليه السلام أوضح له

---

(1) سورة يوسف، ج13، آية (70).

(2) سورة يوسف، ج13، آية (76).

(3) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج3، ص263.

(4) الطبري: تاريخ الطبري، ج1، ص213.

(5) ابن العربي: أحكام القرآن، ج3، ص69؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص236.

(6) سورة الكهف، ج16، آية (79).

أن الملك لا يأخذ إلا السفينة الصالحة أما التي فيها عيب فلا يأخذها، وبذلك بقيت السفينة لأصحابها الضعفاء الذين لا يقدرون على رد الظلم والعدوان؛ فحافظ الخضر عليه السلام على السفينة بهذه **الحيلة** والخديعة التي انطلت على الملك[1].

يتبين مما سبق جواز الحفاظ على الأرواح والممتلكات بالحيل والخدع لما فيها من تضليل للخصم.

خ. **قال تعالى:** ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[2].

وجه الدلالة: أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يقيم الحجة على قومه بأنهم يعبدون أصناماً لا تضر ولا تنفع، فقام بتحطيم الأصنام وأبقى على الصنم الكبير ووضع في رقبته الفأس، وحينما سأل القوم عمن فعل ذلك بأصنامهم "ألهتهم" فقالوا: إن إبراهيم كان يذكرها بالسوء فربما هو من فعل ذلك، فجاؤوا بإبراهيم وسألوه عمن فعل ذلك بأصنامهم، فرد عليهم بقوله: أن الذي فعل ذلك هو كبيرهم غضب من أن يعبد معه هؤلاء الصغار وهو أكبر منها فكسَّرها، وها هو يضع الفأس في رقبته فاسألوه واسألوا الأصنام التي كُسِّرت، فردوا عليه: إنك تعلم أنها أصنام لا ترد ولا تتكلم، وهنا وصل إبراهيم إلى مراده ونجحت خطته في تضليل القوم وخداعهم ووقعوا في الشَّرَك الذي نصبه لهم إبراهيم، حينما أقروا بأنفسهم أنها حجارة لا تتكلم، ولكنه الكِبْر والعناد والعتو[3].

وقيل أن إبراهيم استخدم التورية في تضليل القوم وذلك بالإشارة إلى أصبعه الكبير عندما قال لهم أن الذي فعل ذلك كبيرهم هذا[4]؛ وهذا يخالف ما قاله (ﷺ): "إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله، قوله بل فعلهم كبيرهم هذا وقوله إني سقيم وقوله لسارة أختي"[5] تعتبر هذه من معاريض الكلام التي تستخدم للدفاع عن الحق والدين[6].

وعليه يتضح أن استخدام معاريض الكلام لإحقاق الحق وإبطال الباطل لا شيء فيه بل هو أمر محبب ومرغب فيه.

د. **قال تعالى:** ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[7].

وجه الدلالة: كان إبراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم، وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يتركوا أحداً، فعندما طلبوا من إبراهيم الخروج معهم نظر إلى النجوم فأوهمهم أنه رأى فيها

---

(1) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج3، ص353؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص34.
(2) سورة الأنبياء، ج17، الآية (63).
(3) الطبري: جامع البيان، ج17، ص41-42.
(4) الجزائري: أيسر التفاسير، ص871.
(5) العسقلاني: تحفة الأشراف، ج1، ص343، حديث رقم 14475.
(6) السبتي: تنزيه الأنبياء، ج1، ص92.
(7) سورة الصافات، ج23، الآيتان (88-89).

أنه سيمرض بالطاعون وعصَّب رأسه كإشارة لبدء المرض، فهربوا منه إلى عيدهم ولم يتخلف غيره[1].

اختلف العلماء حول جواز الكذب في بعض المواطن، فجوَّزه بعضهم في الحرب والمكيدة والتقية وإرضاء الزوجة والصلح بين المتخاصمين؛ وهناك من ذهب إلى عدم جواز الكذب الصريح ولكن يجوز بالتعريض والتورية[2].

يتبين لنا جواز الكذب على الأعداء لتحقيق مصلحة للمسلمين أو دفع ضرر عنهم.

ذ. **قال الله تعالى:** ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾[3].

وجه الدلالة: أن الشيطان تهيَّأ لامرأة أيوب على هيئة الناصح الأمين فقال لها: إن زوجك لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضرر ورجع إليه ماله وولده، وعندما عادت أخبرت أيوب عليه السلام فقال لها: لقيك عدو الله فلقنك هذا الكلام ويلك إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته وإن لم يأتها بشيء طردته وأغلقت بابها عنه؛ لما أعطانا الله المال والولد آمنا به وإذا قبض الذي له منا نكفر به ونبدل غيره، فإن شافاني الله من مرضى هذا لأجلدنك مئة جلدة[4]، فعندما شفي من مرضه عز عليه أن يضرب زوجته التي صبرت عليه ثمانية عشر عاماً وفي الوقت نفسه لا يريد أن ينقض يمينه ويرجع عما قال، فقال له الله عز وجل خذ حزمة بقدر ما حلف عليه فيضرب به زوجته وبهذا يكون قد أبر أيوب عليه السلام بيمينه وخفف الله عن المرأة وهذا من رحمة الله[5].

هذا السلوك من أيوب عليه السلام يعتبر من القواعد التي يُستَند عليها في جواز **الحيل** والعمل على إيجاد المخارج والمبررات للتخفيف عن الناس، ومن ذلك إذا تمكن القائد أن يحسم المعركة **بالحيلة والخديعة** والالتفاف، دون أن يكلف جيشه إراقة الدماء ومشقة القتال فليفعل وعليه قالوا: "رب **حيلة** أنفع من قبيلة"[6]، "ورب **حيلة** أجرأ من قوة"[7].

يتضح مما سبق أن استخدام الحيل والخدع وغيرها من الوسائل للتغلب على العدو ورفع ظلمه وإعلاء كلمة التوحيد سواء وافق ذلك الأصول أو لم يوافقها جائز في شرعنا وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب.

---

(1) الطبري: جامع البيان، ج23، ص70؛ ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج4، ص478.

(2) الشيباني: شرح كتاب السير الكبير، ج1، ص119؛ العيني: عمدة القاري، ج14، ص276.

(3) سورة ص، ج23، الآية (44).

(4) الطبري: جامع البيان، ج23، ص168؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص212.

(5) الطبري: جامع البيان، ج23، ص169؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص213–214.

(6) ابن النحاس: مشارع الأشواق، ص388.

(7) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص299.

ثانياً- السنة النبوية:

تعددت أقوال وأفعال النبي (ﷺ) في التدليل على مشروعية **الخدع** العسكرية في الإسلام، مما لا غنى عنه للقائد في ميدان الحرب والقتال.

(أ) أقوال النبي (ﷺ):

- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي (ﷺ): "**الحرب خدعة**"(1).

قال ابن العربي: **الخداع** في الحرب يقع بالتعريض والكمين، ونحو ذلك، وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة(2).

قال ابن المنير: "معنى الحرب **خدعة** أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة وذلك لحظر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير الخطر"(3).

- عن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله (ﷺ): "مالي أراكم تتهافتون في الكذب، تهافت الفراش في النار؟ كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب **خدعة**، أو يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما، أو يكذب على امرأته ليرضيها"(4).

قال النووي: فيه إباحة حقيقة الكذب في الحرب، لكن الاقتصار على التعريض أفضل(5).

- عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) وهو يقول: "ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً وينمّي خيراً"(6).

قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس من الكذب إلا في ثلاث الإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها(7).

- عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله (ﷺ): "إذا أحدث أحدكم في صلاته فليأخذ بأنفه ولينصرف وليتوضأ"(8).

يقول أبو بكر الصيرفي: كل من أفتى من أئمة المسلمين بالأخذ **بالحيل** إنما أخذه من هذا الحديث(9).

---

(1) البخاري: الجامع الصحيح، ج3، ص1102، حديث رقم: 2866.
(2) ابن حجر: فتح الباري، ج6، ص158.
(3) ابن حجر: فتح الباري، ج6، ص158.
(4) البيهقي: شعب الإيمان، ج4، ص204، حديث رقم: 4798.
(5) العيني: عمدة القارئ، ج14، ص275.
(6) البخاري: الجامع الصحيح، ج2، ص958، حديث رقم: 2546.
(7) البخاري: الأدب المفرد، ج1، ص139.
(8) العسقلاني: تحفة الأشراف، ج12، ص174، حديث رقم 17043.
(9) الحاكم: المستدرك، ج1، ص294.

يقول الخطابي: إنما أمره أن يأخذ بأنفه ليوهم القوم أن به رعافاً وفي هذا باب من الأخذ ... بالتورية[1].

- عن أبي سعيد الخدري قال: "أن رسول الله (ﷺ) استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله (ﷺ) أكل تمر خيبر هكذا قال لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال رسول الله (ﷺ) لا تفعل بع الجميع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً"[2].

ذكر القرطبي هذا الحديث للدلالة على إجازة **الحيلة** في التوصل إلى المباح وما فيه الغبطة والصلاح واستخراج الحقوق[3].

كذلك استدل به الجصاص على جواز **الحيلة** في التوصل إلى المباح واستخراج الحقوق لأن النبي (ﷺ) علم عامل خيبر كيف يحتال إلى أخذ التمر الذي يريد[4].

- عن كعب بن مالك قال: "كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك سافر رسول الله في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً فجلا للمسلمين أمرهم وأخبرهم بذلك ليتأهبوا أهبة عدوهم وأخبرهم بالوجه الذي يريد"[5].

المراد أنه كان (ﷺ) إذا أراد أمراً فلا يظهره، كأن يريد أن يغزو جهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب، ويتجهز للسفر فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب[6] وهذا ليس فيه تغيير للقول وإنما فيه ستر مقصده حتى لا يأخذ العدو حذره، وهو من أساليب **الخداع** والتضليل للعدو.

- قال ابن اسحاق: "لما خرج رسول الله (ﷺ) إلى بدر التقى بشيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما لديه من علم عن الفريقين فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم؟ فقال رسول الله (ﷺ): إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال الشيخ: خبرت أن قريش خرجت من مكة وقت كذا، فإن كان الذي خبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا، الموضع الذي به قريش، وخبرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي خبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا، الموضع الذي به رسول الله، ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله: نحن من ماء، ثم انصرف، فجعل الشيخ يقول: من ماء العراق أو ماء كذا"[7].

---

(1) البغوي: شرح السنة، ج3، ص279.
(2) البخاري: الجامع الصحيح، ج2، ص808، حديث رقم: 2180.
(3) الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص217.
(4) ابن العربي: أحكام القرآن، ج3، ص70؛ الجصاص: أحكام القرآن، ج4، ص392.
(5) أبي شيبة: المسند، ج1، ص335، حديث رقم: 491.
(6) ابن حجر: فتح الباري، ج6، ص159.
(7) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص83.

أوهم النبي (ﷺ) الرجل أنه من بلد بها ماء وكان يقصد النبي (ﷺ) أن الله خلقه من ماء لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾[1] فاستخدم التعريض في الكلام، **ليخدع** الرجل ويجعله يبوح بما يعرف ويتحدث بصراحة مع النبي (ﷺ) وحتى لا يصل الخبر لقريش فتكون المفاجأة والمباغتة لهم في المعركة، حيث استخدم النبي (ﷺ) أسلوب التعريض في الحديث في أكثر من موضع وهو مما يستدل به على جواز **الحيل** الشرعية[2].

- من أقوال المصطفى (ﷺ) يتبين لنا جواز العمل **بالحيل** و**الخدع** والتمويه والتورية في ساحات القتال والتعامل مع الأعداء وهو منهج كثير من أهل العلم الذين أفردوا أبواباً في كتبهم تحت اسم (باب في الحرب **خدعَة**[3])، وجواز **الخداع** في الحرب[4] وغيرها من المسميات[5].

(ب) أفعال النبي (ﷺ):

كان النبي (ﷺ) يأخذ بأسباب النصر في غزواته مع أعدائه ويستخدم أساليب ووسائل **الخدع** العسكرية، المتعددة والمتلونة، وسنذكر بعض من استخداماته **للخدع** والمكائد العسكرية للاستدلال على جوازها.

1- بث الجواسيس في معسكر العدو:

قال ابن الأزرق: من أهم ما يبدأ به قبل المعركة بث العيون في معسكر العدو وبلاده للتعرف على أحوالهم وما لديهم من العدة والعتاد وما لهم من المكائد و**الحيل**، ويعملوا على نشر الإشاعات القاتلة بينهم ويخذلونهم عند اللقاء[6].

فنجد النبي (ﷺ) يوم الخندق[7] أرسل حذيفة بن اليمان[8] إلى معسكر الأعداء ليأتيه بخبر القوم فأتاه بخبر رحيلهم[9]، ويجب الانتباه عند إرسال من يأتي بالأخبار أن يكون فطيناً نبيهاً حكيماً.

---

(1) سورة الفرقان، ج19، الآية (54).

(2) للمزيد انظر: هلال: ولاية الله والطريق إليها، ج1، ص361.

(3) انظر: الدارمي: سنن الدارمي، ج2، ص289.

(4) مسلم: صحيح مسلم، ج3، ص1361.

(5) البخاري: الجامع الصحيح، ج3، ص1102.

(6) بدائع السلك، ج1، ص162.

(7) غزوة الخندق: وسميت بالأحزاب لتحزب المشركين على قتال المسلمين، وعرفت بالخندق نسبة للخندق الذي تم حفره لمنع دخول المشركين إلى المدينة، كانت غزوة الخندق في شوال 5هـ/627م انتهت بهزيمة المشركين واندحارهم عن المدينة. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص170؛ البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص32.

(8) حذيفة بن اليمان: من كبار الصحابة، وأمين سر النبي ﷺ، والده من شهداء أحد، روى عن النبي ﷺ قرابة مئة وثلاث وعشرين حديثاً، وشهد فتوح العراق. انظر: ابن حجر: الإصابة، ج2، ص44.

(9) ابن حزم: جوامع السيرة، ج1، ص191.

كذلك إرساله (ﷺ) لنُعيم بن مسعود[1] ليوقع بين قريش وبنو قريظة وذلك حينما أسلم نعيم ابن مسعود قال: "مرني بما شئت، فقال له؛ رسول الله (ﷺ): "وماذا عسى أن تفعل وأنت رجل واحد؟ فلو ذهبت فخذلت بين القوم فإن الحرب **خدعة**، فذهب فخذل بين قريش وبين بني قريظة، حتى اختلفت كلمتهم"[2]. يقول ابن رشد معلقاً على هذه الحادثة فيقول: "ما فعله نُعيم بن مسعود من الكذب المباح على أعداء الله"[3].

وعليه بقدر ما يستطيع القائد من أن يستخدم العيون والجواسيس في صفوف أعدائه، بقدر ما يستطيع أن يضع خطط واستراتيجيات قتال ناجحة يستطيع من خلالها الانتصار على أعدائه.

2- مصالحة طائفة من العدو ليفرِّق جمعهم وقوتهم:

اعتبر ابن الأزرق من المكائد الحربية موالاة طائفة من العدو ومصالحتهم متى استطاع القائد وذلك **خدعة** منه ليعرف أخبار أعدائه ويفرق جمعهم ويتسبب في خلافهم وتشتيت رأيهم[4].

فنجد أن النبي (ﷺ) استخدم هذا الأسلوب في غزوة الخندق، حيث أرسل النبي (ﷺ) إلى عيينة ابن حصن بن بدر[5] وقال له: "أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر الأنصار أترجع بمن معك من قومك وتخذل بين الأحزاب؟ فأرسل عيينة إن جعلت لي النصف فعلت، ولكن الأنصار لم يقبلوا بذلك وقالوا ليس لهم عندنا إلا السيف وذلك لأنهم في الجاهلية لم يكونوا يعطونهم حبة من ثمارهم فكيف وهم قد أعزهم الله بالإسلام[6].

وعليه فالصلح مع طائفة من العدو واحدة من الوسائل التي يدفع بها مضرة الأعداء وقيل: "إذا كثر أعداؤك فصالح بعضهم وأطمع بعضهم بصلحك واستقبل بعضهم بحربك"[7].

3- إيهام العدو بكثرة المسلمين:

ثبت من فعله (ﷺ) في فتح مكة[8]، أنه لما أصبح على مشارف مكة أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعلهم في كتائب، فعندما رأت قريش المشهد فزعوا وهالهم ما رأوه، وكان لهذا الفعل بالغ الأثر في تحطيم معنويات قريش ودفعهم إلى الاستسلام دون قتال[9].

(1) نُعيم بن مسعود بن عامر النخعي: صحابي جليل من أصحاب الرأي والعقل، قدم المدينة يوم الأحزاب وأسلم بين يدي النبي ﷺ وكتم إسلامه ثم عاد إلى الأحزاب فأوقع بينهم حتى تفرقوا، توفي في خلافة عثمان 30هـ/650م. الزركلي: الأعلام، ج8، ص41.

(2) ابن حزم: جوامع السيرة، ج1، ص190.

(3) المقدمات والممهدات، ج2، ص412.

(4) بدائع السلك، ج1، ص163.

(5) عيينة بن حصن بن بدر: من بني فزارة، كان يوم الخندق رأس المشركين من غطفان، أسلم بعد الخندق. الصنعاني: المصنف، ج5، ص367.

(6) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص73.

(7) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص163.

(8) مكة: بيت الله الحرام سميت مكة لأنها تملك الجبارين وقيل لازدحام الناس بها وقيل مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت وهي تقع بين جبلين من أرض الحجاز، ومن أسمائها: البيت العتيق، وأم القرى، وبكة لأنها تَبُك أعناق الكافرين. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص181، 182.

(9) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص135؛ الصالحي: سبيل الهدى والرشاد، ج5، ص214.

لذلك يتبين لنا أهمية خداع العدو وتضليله وحسم المعركة بأقل الخسائر وهذا يدلنا على الأسلوب النفسي الذي استخدمه النبي (ﷺ) في غزواته مع أعدائه وأهمية هذه الوسيلة في تحقيق الانتصار، لذلك لا بد من تسخير وسائل التكنولوجيا الحديثة من تلفاز وإذاعة وشبكة عنكبوتية في تحطيم الروح المعنوية لأعدائنا في أي معركة مع هذا العدو.

4- التعمية على الأعداء وإخفاء الأخبار عنهم:

من المكائد الحربية كما ذهب ابن الأزرق: تعمية الأخبار على العدو وإغلاق أبواب العلم والأخبار دونه حتى لا يأخذ حذره وتتم مفاجأته[1].

فنجد النبي (ﷺ) استخدم هذا الأسلوب كما يذكر ابن سعد: أن النبي (ﷺ) لما تجهز لفتح مكة أخفى أمره ولم يخبر الجيش بوجهته وأخذ بالطرق الضيقة بين الجبال وكان من دعائه "اللهم خذ أبصارهم فلا يروني إلا بغتة"[2].

وعليه نجد أهمية مباغتة العدو وتحقيق عنصر المفاجأة في القتال الأمر الذي يترتب عليه إرباك صفوف العدو وتحقيق الفوز عليه ويتبين لنا أهمية استخدام القاعدة العامة لكل العاملين لخدمة الدين وهي الاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان والسرية[3].

5- التورية على الأعداء:

أسلوب قتال اعتمده النبي (ﷺ) في غالب غزواته وهو بأن يوهم العدو أنه يريد غيرهم وذلك حتى لا يأخذ العدو حذره ويتأهب لملاقاته، **من أمثلة ذلك:**

في غزوة بني لحيان[4] التي غزاها النبي (ﷺ) رداً على غدرهم بأصحابه القراء عند ماء الرجيع، فأظهر أنه يريد الشام؛ ليصيب من القوم غرة، فتوجه إلى أقصى الشمال باتجاه الشام ثم قفل راجعاً إلى منازل بني لحيان لكنهم تنبهوا إلى الأمر وهربوا إلى رؤوس الجبال[5].

كذلك ما كان من إرساله (ﷺ) لسرية إلى بطن إضم[6] قبيل فتح مكة ليظن الناس أنه متوجه إلى تلك الناحية عند خروجه إلى فتح مكة[7].

---

(1) بدائع السلك، ج1، ص162.

(2) الطبقات الكبرى، ج2، ص134.

(3) الطبراني: المعجم الكبير، ج20، ص94، حديث رقم 183.

(4) بنو لحيان: هم حي من هذيل غزاهم النبي ﷺ في ربيع الأول 6هـ/627م. الواقدي: المغازي، ج2، ص36.

(5) الواقدي: المغازي، ج2، ص36؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج4، ص241.

(6) بطن إضم: موقع بين ذي خشب وذي المروة بينهما وبين المدينة ثلاثة أيام سار إليها أبي قتادة بن ربعي الأنصاري في 3 رمضان سنة 8هـ. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص133.

(7) الواقدي: المغازي، ج2، ص238؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص133.

وبناءً عليه يتبين لنا أهمية تضليل العدو بهذا الأسلوب وهو من الأمور المحببة في الحرب والقتال لما فيه تحقيق النصر بأقل الأثمان.

6- إعمال الجهد في صفوف الأعداء:

من **الخدع** العسكرية التي عدها صاحب كتاب (بدائع السلك): إعمال الجهد في صفوف الأعداء[1] وعند تتبع غزوات النبي (ﷺ) نجد أن هذا الأسلوب اتبعه النبي (ﷺ) واستخدم **الحيلة** والخديعة لتنفيذه مثال ذلك، "عندما خرج لملاقاة قريش في بدر[2] فنزل عند أدنى ماء من بدر، فقال له الحُباب بن المنذر[3]: يا رسول الله أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال (ﷺ): بل الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله(ﷺ): لقد أشرت بالرأي، ونزل جبريل مؤيداً رأي الحُباب، ثم قام النبي (ﷺ) وصحابته بتنفيذ رأي الحُباب على عجل[4].

بهذه **الخدعة** تمكن النبي (ﷺ) أن يحرم قريش من الماء، مما أدى إلى إرهاقهم وإضعاف قوتهم الأمر الذي دفع بكثير منهم لأن يلقوا أنفسهم في صفوف المسلمين لينالوا شيئاً من الماء فكان مصيرهم القتل[5].

مما سبق يتبين أن على القائد أن يستغل ميدان المعركة لصالح جيشه وذلك بالتعرف على المكان وطبيعته وما يتوفر فيه من سواتر وموانع وموارد ليعمل على تحييدها لصالح خطته واستراتيجيته.

7- استخدام وسائل قتالية جديدة:

يقول محمود شيت خطاب: "أن سر انتصار القادة العظام حديثاً أنهم طبقوا أسلوباً جديداً في القتال غير معروف أو قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة"[6].

---

(1) ابن الأزرق، ج1، ص164.

(2) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة اسفل وادي الصفراء قريب من ساحل البحر الأحمر مسافة يوم، وبه سميت غزوة بدر التي وقعت بين كفار قريش والنبي ﷺ في (17 رمضان 2هـ/ 13 مارس 624م)، وانتهت بهزيمة قريش وانتصار الإسلام. للمزيد انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص11؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص357.

(3) الحُباب بن المنذر: أنصاري من الخزرج شهد بدراً وكان يكنى أبا عمر ويعد من أصحاب الرأي حيث كان له موقف ورأى في سقيفة بني ساعدة. انظر: ابن حجر: الإصابة، ج2، ص10، 413.

(4) الواقدي: المغازي، ج1، ص65؛ ابن الأثير: الكامل، ج2، ص19.

(5) ما من أحد من المشركين تقدم ليشرب من الماء إلا قتل باستثناء حكيم بن حزام الذي نجا من القتل وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج2، ص21.

(6) الرسول القائد، ص117.

ولا أخال هؤلاء القادة إلا أنهم تعلموا فنون القتال من مدرسة محمد (ﷺ)، حيث نجده عندما تحزب المشركون على دولته فيما يعرف بغزوة الأحزاب، وقدم سلمان الفارسي(1) اقتراحه بحفر خندق في الجهة الشمالية المكشوفة؛ وذلك ليعيق دخول الكفار إلى المدينة، استجاب الرسول (ﷺ) لهذا الاقتراح وبدأ بتنفيذه مباشرة، حيث قسّم المسافة بين الصحابة كل عشرة منهم أربعين ذراعاً، وتمكنوا من إنجازه في ستة أيام(2) ليقف الخندق في وجه جيش الكافرين ويمنعهم من دخول المدينة واستطاع النبي (ﷺ) بهذه **الخدعة** أن يفاجئ الكفار ويحمي المدينة والمسلمين من خطر الكافرين، ويعلق (محمود شيت خطاب) على ذلك فيقول: لقد كان الخندق مفاجأة كبيرة للمشركين، فلم يكن العرب تعرف هذا الأسلوب في القتال، كما أنها لم تكن تعرف طرق مواجهته والتغلب عليه، لذلك بقي القتال هادئاً طول فترة الحصار باستثناء محاولات قليلة لاقتحامه باءت بالفشل"(3).

وعليه يتبين لنا سعي النبي (ﷺ) الدائم للأخذ بالأسباب في سلمه وحربه مع أنه مؤيد من عند الله تعالى، وذلك لأنه معلم ومشرع للأمة فنجده يستخدم أساليب ووسائل قتال قد يُخطئ بها أحياناً وينزل عند رأي جنده إذا كان فيه مصلحة ورجحان عقل ورأي وهذا كله لنعمل بسنته ومنهجه لأن فيه الفوز.

(1) سلمان الفارسي: أبو عبد الله، يعرف بسلمان الخير، سئل عن نسبه فقال أنا سلمان بن الإسلام، وقال الرسول عليه السلام: سلمان منا آل البيت، أصله من فارس من مدينة أصفهان، كان مولى للنبي ﷺ. ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص487.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص67؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص70.

(3) الرسول القائد، ص235.

المبحث الثالث

موقف الصحابة والعلماء من الخدع العسكرية

أولاً- استخدام الصحابة رضوان الله عليهم للخدع العسكرية:

استخدم صحابة رسول الله (ﷺ) **الخدع** و**الحيل** في معاركهم وفتوحاتهم، حتى أنهم استخدموها في حياتهم اليومية، فمثلاً: أبو بكر الصديق(1) رضي الله عنه في الهجرة حينما كان يسأله أحد عن النبي(ﷺ) يقول: "هادٍ يدلني على الطريق"(2)، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد أن يوزع الحُلَل اليمنية بين الناس، فكان من بين هذه الحُلَل واحدة رديئة كلما أعطاها لأحد ردها لردائتها فطواها وجعلها تحت مجلسه وأخرج طرفها ووضع الحلل أمامه وأخذ يقسم بين الناس، "فدخل عليه الزبير بن العوام(3) وهو على تلك الحال فأخذ ينظر إلى تلك الحلة، فقال: ما هذه الحلة فقال: عمر دعها عنك قال: أعطينها قال: إنك لا ترضاها قال بلى قد رضيتها فلما توثق منه واشترط عليه ألا يردها رمى بها إليه فلما نظر إليها وجدها رديئة قال: لا أريدها قال عمر: هيهات قد فرغت منها فأجازها عليه ولم يقبلها"(4) ولكن استخدام الصحابة رضوان الله عليهم **للحيل** و**الخدع** في الحروب والمعارك أوسع بكثير لذا سنذكر **بعض النماذج للاستدلال على جواز استخدام الحيل**(5):

(أ) عمرو بن العاص(6):

عندما توجه عمرو بن العاص إلى حصار غزة(7) أرسل إليه حاكمها: "أن أرسل إليَّ رجلاً من أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال: ما لهذا أحدٌ غيري؟ قال: فخرج حتى دخل على

---

(1) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن أبي قُحافة، خليفة رسول الله ﷺ وأول من أسلم من الرجال، ورفيقه في الهجرة ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، توفي 22 جمادي الأولى سنة 13 هـ. للمزيد انظر: ابن حجر: الإصابة، ج4، ص174 وما بعدها.

(2) ابن القيم: الطرق الحكيمة، ج1، ص51.

(3) الزبير بن العوام: حواري النبي ﷺ، كنيته أبا عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وابن أخ خديجة بنت خويلد زوج النبي عليه السلام، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل اثنتي عشرة سنة، وقيل ثماني سنين، كان رابع أو خامس من أسلم بدعوة النبي ﷺ، وكان ممن هاجر إلى الحبشة ثم المدينة، وأول من سل سيفاً في سبيل الله، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، قتله ابن جرموز في 10 جمادي الأولى من سنة 36هـ الموافق 4 نوفمبر 656 ميلادية. ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص298.

(4) ابن القيم: الطرق الحكيمة، ج1، ص51-52.

(5) للمزيد حول **خدع** الصحابة العسكرية: انظر: أبو ريدة: "**الخدع** العسكرية"، ص62 وما بعدها.

(6) عمرو بن العاص: فاتح مصر وأميرها، أسلم قبل الفتح في صفر سنة 8هـ، وكان يعرف بأرطبون العرب لشدة **مكره** ودهائه توفى في صفر سنة 43هـ على الأرجح عن عمر يناهز التسعين عاماً. للمزيد: انظر: ابن حجر: الإصابة، ج4، ص650 وما بعدها.

(7) غزة: مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر المتوسط آخر المدن الفلسطينية من ناحية مصر وبها مات جد النبيﷺ هاشم بن عبد مناف وبها قبره لذا يقال لها غزة هاشم. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص202.

العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله فقال العلج: هل في أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسل عن هواني عليهم، إلا أنهم بعثوني إليك وعرضوني لا يدرون ما تصنع بي، فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب: إذا مر بك فاضرب عنقه، وخذ ما معه، فخرج عمرو، فمر برجل من نصارى العرب فعرفه فقال: يا عمرو، إنك أحسنت الدخول فأحسن الخروج فرجع فقال له الملك: ما ردك؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجده يسع بني عمي، فأردت أن أجيئك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، وتكسوهم هذه الكسوة، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد، قال: صدقت، فاعجل بهم، وبعث إلى البواب أن خَلِّ سبيله، فخرج عمرو وهو يلتفت حتى إذا أَمِنَ قال: لا عدت لمثلها أبداً"[1].

مما سبق يتضح كيف استخدم عمرو الحيلة ليدخل الحصن بنفسه ويقف على تحصيناته وإمكانيات الخصم؛ ليتمكن من وضع خطط صحيحة كذلك لولا الحيلة والخدعة التي استخدمها عمرو بعد أن أوهم عدوه بأنه سيعود بعشرة من المسلمين، لما تمكن عمرو من أن ينجي نفسه، ومن هنا يتبين لنا أهمية استخدام الخدع والحيل في الحروب والتي لا غنى عنها لمن أراد أن ينتصر.

(ب) خالد بن الوليد[2]:

توجه خالد بن الوليد بجيشه لفتح مدينة دمشق سنة 13 هـ/634م[3] وقيل سنة 14هـ/635م[4]، ولكن المدينة امتنعت على المسلمين، فحاصرها خالد حصاراً شديداً[5]، حتى جاء فصل الشتاء واشتد البرد على الجند فضعفت همتهم، وقدر الله عز وجل أن وُلد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي، فصنع طعاماً لأهل المدينة وسقاهم بعده شراباً حتى تعبوا فناموا عن مواقفهم واشتغلوا عن أماكنهم وفطن لذلك خالد بن الوليد وطلب من الرصد والعيون أن يأتيه بتقرير عاجل عن حال المدينة وعلم أنه لا يقاتل على سور المدينة أحد، أعد سلاليم من حبال وطلب من رجاله أن يقفوا عند الباب. وقال: لهم إذا سمعتم

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص115؛ الآبي: نثر الدرر، ج4، ص86-87.

(2) خالد بن الوليد: القرشي المخزومي أبو سليمان، سيف الله المسلول، خالته ميمونة بنت الحارث زوج النبيﷺ وأمه لبابة الصغرى بنت الحارث، وهو أحد أشراف قريش وكان على خيلها في الجاهلية، أسلم قبيل فتح مكة سنة 7هـ/628م تنسب له عدد من الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين توفى على فراشه في المدينة وقيل في حمص سنة 21هـ/642م. للمزيد: انظر: ابن حجر: الإصابة، ج2، ص255.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص359.

(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص110.

(5) اختلفت الروايات في مدة الحصار فقيل سبعين يوماً وقيل أربعة شهور وقيل ستة شهور وقيل أربعة عشر شهراً. ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص20؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص119.

تكبيرنا فوق السور فأصعدوا إلينا، ثم ذهب هو وعدد من رجاله فقطعوا الخندق ونصبوا تلك السلالم وصعدوا السور ولما استووا عليه رفعوا أصواتهم بالتكبير وبدأ الجيش بالصعود على هذه السلالم ثم نزل خالد إلى البوابين فقتلوهم وفتحوا الأبواب عنوة فدخل الجيش المدينة من بابها الشرقي، ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور لا يعرفون ما الأمر، فقام أصحاب خالد بقتل كل من وصل إليهم من حامية المدينة ودخل خالد وجيشه المدينة عُنوة[1].

مما سبق يتضح أن مدينة دمشق لم تفتح إلا بالحيلة والخديعة حيث امتنعت على المسلمين شهور عديدة، حيث استخدم خالد أكثر من خدعة في ذلك بدء من تحديد ساعة دخول المدينة واستغلال فرصة الوليمة، مروراً بتجهيز السلالم والتكبير لإرباك العدو وانتهاء بتجهيز الجيش عند باب المدينة ليدخلوا مباشرة عند فتح الأبواب.

(ت) قتل كعب بن الأشرف[2]:

بعد غزوة بدر أخذ كعب بن الأشرف يُحَرِّض على المسلمين وينال من أعراضهم ويتحدث في نسائهم حتى أذاهم فقال رسول الله (ﷺ): من لي بابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة[3]: أنا له يا رسول الله، أنا أقتله قال فافعل إن قدرت على ذلك، وطلب محمد بن سلمة من النبي رخصة في أن يتحدث كلاماً ينافي الواقع، فقال له رسول الله: أنتم في حل من ذلك، فانطلق محمد بن سلمة ومعه سلكان بن سلامة[4] سنة 3هـ/624م إلى حصن كعب ابن الأشرف في جوف الليل فنادى عليه سلكان لينزل ليعطيهم قرض الصدقة وكان سلكان قد حدثه بأمر أصحابه قبل أن يأتيه، فنزل كعب مسرعاً فاستقبله محمد بن سلمة وسلكان وأصحابهما[5] وانطلقوا يتحدثون وأخذوا يتماشون حتى اطمأن لهم كعب فهجموا عليه

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص110 وما بعدها.

(2) كعب بن الأشرف: رجل من طيئ وهو أحد بني نبهان أمه يهودية من بني النضير. ابن اسحاق: السيرة، ج3، ص297.

(3) محمد بن مسلمة: أنصاري من الأوس، ولد قبل البعثة باثنين وعشرين سنة، روى عن النبي ﷺ الحديث، توفي في المدينة سنة 46هـ/666م وهو بن سبع وسبعين سنة. ابن حجر: الإصابة، ج6، ص33 وما بعدها.

(4) سلكان بن سلامة: أبو نائلة الأنصاري من الأوس، شهد أحد وغيرها وثبت ذكره في قتل كعب بن الأشرف وهو أخوه في الرضاعة. كان شاعراً من الرماه. ابن حجر: الإصابة، ج6، ص409.

(5) شارك في عملية قتل كعب بن الأشرف، عبادة بن بشر، وأبو عيسى بن جبر، محمد بن سعد بن عبادة، الحارث بن أوس بن معاذ الذي أصيب بضربة سيف في الحادثة ولكن النبي ﷺ تفل على الجرح فبرأ. انظر: ابن حجر: الإصابة، ج7، ص409.

بسيوفهم وقتلوه، ثم ذهبوا إلى رسول الله يبشرونه بمقتل كعب بن الاشرف فدب الرعب في قلوب يهود من هذه الحادثة[1].

مما سبق يتبين لنا كيف استخدم صحابة رسول الله **المكر** و**الحيلة** والخديعة ليوقعوا بعدو الله كعب، حيث ما كان لهم أن يقتلوه بغير ذلك ونجد أن النبي (ﷺ) آذن لهم بالكذب بل أن يقولوا في حقه كلاماً سيئاً ليضللوا كعب كذلك اختيار سلكان أخ كعب في الرضاعة ليكون أحد منفذي العملية وذلك ليتمكنوا من أن يمرروا **حيلتهم** عليه.

(ث) قتل أبي رافع سلام بن أبي حقيق[2]:

استأذنت الخزرج رسول الله (ﷺ) في قتل سلام بن أبي حقيق، وذلك لقيامه بتحريض الأحزاب على المسلمين، فأذن لهم، فخرج خمسة رجال من بني سلمة[3] لتنفيذ المهمة وجعل عليهم النبي(ﷺ) عبد الله بن عتيك[4]، وصل الخمسة إلى حصن خيبر[5] وقد غربت الشمس، فقال عبد الله: اجلسوا مكانكم فإني سأتوجه لأحتال على البواب، لعلي أدخل الحصن، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، دخل عبد الله وكمن بالقرب من منزل أبي رافع، وعندما انصرف من كان يسمرون عنده، ذهب إليه عبد الله، فوجده بين عياله وفي بيت مظلم، لا يعرف أين هو من البيت، فنادى عبد الله: على أبي رافع، فقال أبو رافع: من هذا؟ فاتجه عبدالله ناحية الصوت وقام بضربه بالسيف حتى تأكد من مقتله[6]، ثم جلس عند باب الحصن حتى سمع نعي أبي رافع فذهب إلى أصحابه وأخبرهم بمقتل أبي رافع ثم ذهبا إلى النبي (ﷺ) فأخبروه بمقتل أبي رافع، فهلل النبي (ﷺ) وكبر وقال: أفلحت الوجوه، فقالوا: أفلح وجهك،

(1) انظر تفاصيل القصة كاملة: ابن هشام: السيرة النبوية، ج3، ص318 وما بعدها.

(2) أبو رافع سلام بن حقيق اليهودي: من بني النضير قتل في حصن خيبر في شهر رمضان 6هـ، عمل حفلاً عظيماً جمع فيه عدد من رؤوس الشرك من العرب واليهود ليحرضهم على قتال النبي ﷺ. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص91.

(3) الرجال الخمسة هم: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، والأسود الخزاعي، ومسعود بن سنان وجميعهم من الخزرج من قبيلة بني سلمة الأنصارية. ابن سعد: الطبقات، ج2، ص91.

(4) عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود: شهد بدراً وأحداً، استشهد في اليمامة سنة 12هـ في خلافة أبي بكر وروى عن رسول الله ﷺ عدداً من الأحاديث. ابن حجر: الإصابة، ج4، ص168.

(5) خيبر: مكان قريب من المدينة شبيه بولاية لها سبعة حصون، وأبي رافع قتل في واحدة من هذه الحصون يسمى القموص، افتتح النبي ﷺ هذه الحصون في سنة 7هـ وقيل 8هـ. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج2، ص409.

(6) ابن سعد يذكر: أن الذي قتل أبا رافع هو عبد الله بن أنيس وليس عبد الله بن عتيك ويذكر قصة مختلفة. للمزيد: الطبقات الكبرى، ج2، ص91.

وكان عبد الله قد كسرت قدمه أثناء خروجه من بيت أبي رافع فقال له رسول الله: أبسط رجلك فطببها له وأصبح كأنه لم يشتكِ منها قط[1].

إذاً هذا نموذج آخر لقيام الصحابة رضوان الله عليهم بممارسة **الخدع** و**الحيل** في تعاملهم مع أعدائهم وما كان لهم ليظفروا بأعداء الله المتمترسين في حصونهم بغير هذه الأساليب، فرأينا كيف احتال عبد الله على بواب الحصن ليدخل الحصن حينما أوهمه بأنه يقضي حاجته، فدعاه للإسراع حتى يدخل قبل أن يغلق الباب، ثم أوهم أبا رافع بأنه أحد أصدقائه حينما نادى عليه ليحدد مكانه وسط عياله وفي تلك العتمة، وهي **حيلة** وحسن تدبير من عبد الله، كذلك تحديد وقت دخول الحصن قبيل إغلاقه وتأخير العملية إلى الليل **خدعة** أخرى لنجاح العملية.

بهذه **الحيل** تمكن عبد الله من القضاء على أبي رافع بشجاعة وبسالة نادرة وخطورة واضحة من أجل دين الله عز وجل، وأحدث توازن في ميزان التنافس مع الأوس، حيث كانت الأوس والخزرج تتنافسان في نصرة دين الله، فلا تصنع الأوس خيراً للإسلام، إلا وقالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذا الفضل علينا، ولا ينتهون حتى يفعلوا مثله وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت: الأوس مثل ذلك، فعندما قتلت الأوس كعب بن الأشرف تذاكرت الخزرج من في العداوة لرسول الله كابن الأشرف فذكروا ابن الحقيق فخرجوا لقتله[2].

(ج) قتل أسير بن زارم[3]:

بعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت اليهود عليها أسير بن زارم، الذي بدأ يحرض على قتال المسلمين فور توليته على خيبر، فسار إلى غطفان[4] وغيرهم يدعوهم لحرب النبي(ﷺ)، فأرسل عبد الله بن رواحة[5] في ثلاثة نفر في شهر رمضان سنة 6هـ[6] سراً ليجمع معلومات عن الرجل ففعل ثم عاد إلى النبي (ﷺ)، فأرسل النبي عليه السلام ثلاثين رجلاً جعل عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير بن زارم فقالوا: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال: نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا: نعم إن رسول الله (ﷺ)

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص55-56.

(2) ابن كثير: السيرة النبوية، ج3، ص261.

(3) أسير بن زارم: يهودي من بني النضير كان يسكن في حصون خيبر، بعد مقتل أبو رافع عرضت اليهود على سلام بن شكيم رئاسة خيبر فرفضها وقبلها أسير بن زارم. الواقدي: المغازي، ج1، ص13.

(4) غطفان: قبيلة في نجد من أرض الجزيرة العربية تنسب إلى غطفان بن حزام وأصلهم من البصرة. بن دريد: الاشتقاق، ج1، ص275-276.

(5) عبد الله بن رواحة: الخزرجي الأنصاري يكنى أبا محمد أو أبو رواحة، كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً، استشهد في مؤتة، ذكر بالاسم في أكثر من حديث من أحاديث النبي ﷺ. للمزيد: ابن حجر: الإصابة، ج4، ص82 وما بعدها.

(6) ذكر الواقدي أن حادثة القتل كانت في شوال سنة 6هـ. المغازي، ج1، ص64.

بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين، وعندما وصلا مكان بعيد عن الحصن ندم أسير على خروجه وشعر بالخطر فأراد أن يعود؛ عندها قام كل واحد من المسلمين بقتل رديفه ولم يسلم سوى رجل عجوز استسلم فوراً فلم يقتله المسلمون لكبر سنه واستسلامه، وكان الذي قتل أسير بن زارم عبد الله بن أنيس[1]، ثم عادا إلى النبي (ﷺ) وأخبراه بما كان فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين[2].

يتضح لنا **الخدع** التي مارسها صحابة رسول الله (ﷺ) ليقتلا أسير بن زارم في جمعهم للمعلومات عن الرجل التي أوضحت طمع الرجل ورغبته في تحقيق مكاسب شخصية ثم استدراجه إلى خارج خيبر بعدما لعبوا له على الوتر الذي يحب وهو إغراءه بالمال وغيره من الخيرات وعندما أصبحوا في مكان بعيد عن الحصن قتلوه هو ومن معه.

(ح) نُعيم بن مسعود:

ذكر الواقدي: أن نُعيم بن مسعود أسلم يوم الخندق وكتم إيمانه عن قومه وغيرهم، ثم جاء إلى النبي (ﷺ) فعندما شاهده النبي (ﷺ) قال له: "ما جاء بك يا نُعيم؟" قال: "إني جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت يا رسول الله، فوالله ما تأمرني بشيء إلا مضيت له"، قال (ﷺ): "ما استطعت أن تخذل الناس فاخذل"، قال يا رسول الله: "أفعل ولكن إئذن لي" قال عليه السلام: "قل ما بدا لك فأنت في حل" فذهب نُعيم بن مسعود إلى بني قريظة[3] وبدأ يثير في نفوسهم الخوف والذعر مما أعده لهم رسول الله وأن قريش[4] سيارة فإذا ما انقضت الحرب عادوا إلى أموالهم وأبنائهم وبقوا هم يواجهون مصيرهم مع المسلمين وليس لهم عندها إلا السيف فقال لهم اطلبوا من قريش وغطفان أن يعطوكم رهينة من أشرافهم، ثم ذهب إلى قريش وغطفان وأخبرهم أن بني قريظة نقضوا حلفهم وعادوا إلى حلفهم مع المسلمين وحتى يصوبوا خطأهم سيطلبوا منكم رهينة سبعين من أشرافكم

(1) عبد الله بن أنيس: كان من أهل الصفة، أعطاه النبي ﷺ مخصرته (عصاه أو عكازه) ليلقاه بها يوم القيامة، وهو من جهينة سكان البادية، وقد كلفه النبي ﷺ بقتل خالد بن نبيح من هذيل. للمزيد: الأصبهاني: حلية الأولياء، ج2، ص5.

(2) الواقدي: المغازي، ج2، ص63-64؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص92.

(3) بنو قريظة: قوم من اليهود سكنوا المدينة وأجلاهم عنها النبي عليه السلام بعد خيانتهم يوم الأحزاب فقتل رجالهم وسبى نسائهم نزولاً على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه. للمزيد: اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص292.

(4) قريش: قبيلة عربية سكنت مكة من بلاد الحجاز، سميت بذلك نسبة إلى قريش ابن بدر بن يخلد بن النضر، حيث كان دليل بنو كنانة في تجارتهم فكانوا يقولوا أقبلت عير قريش فسميت قريش بذلك. الزبيري: نسب قريش، ج1، ص12.

وأبنائكم؛ ليعطوهم للمسلمين ليذبحوهم، فدبَّ الخلاف بينهم وكانت هذه **الخدعة** من نُعيم سبب تفرقهم وتفرق كلمتهم وانهزامهم إلى جانب ما أرسله الله عليهم من الرياح الشديدة[1].

من هذه القصة يتبين لنا أن النبي (ﷺ) أباح لنُعيم أن يقول ما يشاء من أجل أن يوقع بين الأحزاب وقد نجح في ذلك مما يدلل بشكل قاطع أن **الخدعة** و**الحيلة** تعمل في الجيوش أكثر مما تعمله السيوف حيث كان **لخدعة** و**حيلة** نُعيم بن مسعود أثر كبير في انفضاض الأحزاب من حول المدينة بعدما بلغت القلوب الحناجر.

(خ) علي بن أبي طالب[2]:

يوم الخندق قدمت قريش لتقتحم مدينة رسول الله (ﷺ) فحال بينهم الخندق الذي حفره المسلمون ليمنعوا دخولهم فقالوا: "إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها" فحاول عدد من فرسان قريش اقتحام الخندق فنجح عدد يسير منهم كان من بينهم عمرو بن عبد ود[3] الذي نادى في المسلمين ليخرج أحدهم لقتاله، فخرج إليه علي بن أبي طالب، فاستخدم معه **الحيلة** و**الخدعة** فقال له: "يا عمرو ما برزت لأقاتل اثنين" فالتفت عمرو بن ود ليتحقق من الأمر، فوثب عليه علي بن أبي طالب وضربه ضربة قضت عليه، فقال له عمرو: "لقد خَدعتني" قال له علي: "إن الحرب **خدعة**" هذا دليل آخر على استخدام صحابة رسول الله (ﷺ) **الخدع** في قتالهم سواء كانوا مجتمعين أو منفردين، فعمرو بن ود ما كان لعلي أن يقتله وهو ابن السادسة عشر دون **خدعة** وهو الذي كانت تخشاه الرجال بل إن النساء كانت تخوف أبناءها بعمرو بن ود[4].

ختاماً: إن الصحابة رضوان الله عليهم استخدموا الحيل والخدع في الحرب والسلم مما لا يدع مجالاً للشك على جواز استعمالها بشتى الطرق والوسائل طالما أن الأمر فيه مصلحة وخير للإسلام والمسلمين وليس فيه اغتصاب لحقوق الآخرين.

---

(1) المغازي، ج1، ص409؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص69.

(2) علي بن أبي طالب: أبو الحسن، كان مولده في 23 ق.هـ/600م، أول من أسلم من الصبيان، ابن عم رسول الله ﷺ، وربيبه، وزوج ابنته، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، بات في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ليعمي على قريش خروج النبي ﷺ، قتل في 17 رمضان سنة 40هـ/661م. ابن حجر: الإصابة، ج4، ص564 وما بعدها.

(3) عمرو بن عبد ود: عمرو بن ود بن أبي قيس بن نضر بن نضر بن مالك بن عامر، كان فارس قريش في الجاهلية بل فارس كنانة. ابن دريد: الاشتقاق، ج1، ص110.

(4) ابن قدامة: المغني، ج9، ص177؛ المدائني: شرح نهج البلاغة، ج13، ص158.

ثانياً- موقف العلماء من الخدع العسكرية:

العلماء هم ورثة الأنبياء لذلك رأيهم وموقفهم مهم جداً في تحديد مشروعية أي قضية بالقدر الذي يدعم فيها العلماء قضية ما بقدر ما يلتف حولها الناس لذا سنسلّط الضَّوء على موقف عدد من العلماء والحكماء والمؤرخين وأهل الرأي من **الخدع** و**الحيل** العسكرية واستخدامها مع العدو سلماً وحرباً.

- قال القاضي أبو بكر بن العربي: **الخداع** في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك، وعلى القائد استعمال الرأي و**المكر** في الحرب لأن الاحتياج إليها أكبر من الشجاعة ولا غنى عنها في ميدان السلم والحرب مع الأعداء[(1)].
- قال ابن المنير: الحرب الجيدة لصاحبها، الكاملة في مقصودها إنما تكون بالمخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة، وبالإمكان حصول النصر مع المخادعة بغير خطر ومشقة[(2)].
- قال الخطابي: معنى الحرب **خَدعة** أنها مرة واحدة فإذا **خُدع** المقاتل مرة واحدة لم تَقل عَثرتُه وفيه تحريض للمسلمين على **الخداع** ولو مرة واحدة، وفيه تحذير وانتباه من **مكر** الكافرين وعدم السماح لهم **بخديعة** المسلمين ولو مرة واحدة لما فيه من المفسدة[(3)].
- قال المهلب: معنى الحرب **خدعة** أي جواز التجسس على المشركين وطلب هزيمتهم والسماح بالاغتيال في الحرب وتضليل العدو بالقول وفيه الأخذ بالشدة في الحرب والتعرض لأكبر عدد من المشركين وإلقاء النفس للتهلكة في سبيل الله[(4)]. وقال لبنيه: "عليكم **بالحيلة** والمكيدة في الحرب فإنها أبلغ من النجدة[(5)].
- قال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب والقتال بشتى الطرق والوسائل وكيف أمكن **الخداع** إلا أن يكون فيه إبطال عهد أو أمان ولا بأس من الكذب في الحرب[(6)].
- قال ابن تيمية: "القوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحرب والمخادعة و**المكر** و**الحيلة** فإن الحرب **خدعة**"[(7)].

---

(1) ابن حجر: فتح الباري، ج6، ص158.

(2) الصالحي: سبيل الهدى، ج10، ص418.

(3) ابن حجر: فتح الباري، ج8، ص57.

(4) ابن البطال: شرح صحيح البخاري، ج5، ص183.

(5) النووي: شرح صحيح مسلم، ج12، ص45.

(6) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص113.

(7) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج8، ص253.

- قال سليمان بن عبد الملك: زيادة منطق على عقل **خدعة**، وزيادة عقل على منطق هجنة[1] وأحسن من ذاك ما زين بعضه بعضاً"[2].
- يقول القرطبي: لا يوجد ما يمنع التوصل إلى الأهداف والغايات **بالحيل**[3].
- ذكر ابن عبد ربه: أن مالك النخعي[4] كان إذا خرج إلى قتال نادي في الناس ثم حمد الله وأثنى عليه ثم يقول: أيها الناس إني سأسير في هذا الطريق إن شاء الله ثم نجلس في مكان كذا ونسير بعدها من طريق كذا، فيتفرق الجواسيس عنه بذلك ثم يسير بجيشه في طريق آخر ولا يفعل شيء مما قاله للناس، وكان يفعل ذلك كلما ارتحل من مكان إلى آخر حتى سمته الروم الثعلب[5].
- قال السخاوي: "إذا لم تَغلِب فأخلب"[6] بمعنى إذا لم تتمكن من الانتصار وهزيمة أعدائك فعليك **بالحيلة** و**الخداع** لتحقيق النصر.
- يقول أبو الفتح الأبشيهي: ما من عاقل إلا وعليه استخدام **الخداع** في الحرب، فينبغي للقائد العاقل أن يكون عنده روغان الثعالب، ويقول أيضاً: إذا نزل القضاء بساحة القوم فاعلم أنه الفشل في **الحيلة** والخديعة، كما أنه اعتبر أن جزء من الإعداد المقصود في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[7] قال: الإعداد يشتمل على **الحيلة** و**المكر** و**الخداع**[8]، لذلك نجد هارون الرشيد[9] يقول: "الحرب حرب

---

(1) سليمان بن عبد الملك: ولد في دمشق، ولي الخلافة بعد أبيه الوليد سنة 96هـ لمدة سنتين وثمانية أشهر، بنى المسجد الأبيض في مدينة الرملة من فلسطين، جهز جيشاً بقيادة أخيه مسلمة لفتح القسطنطينية، شهد عهده العديد من الفتوحات. الزركلي: الأعلام، ج3، ص130.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص96.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص236.

(4) مالك النخعي: من مدحج من كهلان، أحد التابعين، ولاّه علي بن أبي طالب مصر ويقال أنه صحابي، سُمِّي بالأشتر بعدما شترت عينه في أحد معاركه مع الروم. الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص225؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص279.

(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص117.

(6) المقاصد الحسنة، ج1، ص305.

(7) سورة الأنفال، ج10، من الآية (60).

(8) المستطرف، ج1، ص463-464.

(9) هارون الرشيد: خامس الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170هـ، كان يحج سنة ويغزو سنة، استمرت ولايته 23 سنة وشهران، كان شجاعاً حكيماً كريماً، حازماً توفى 193هـ/809م. الزركلي: الأعلام، ج8، ص62.

حيلة لا حرب سيف"[1] فكأنه يقول بإمكان القائد أن يحسم المعركة **بالحيلة** و**الخداع** و**المكر** ودون قتال، وإذا نشبت المعركة فإنه أيضاً يستطيع أن يحسمها بأقل الخسائر والجهد **بالمكر** والخديعة و**الحيلة** وإن قل عدده وضعفت عدته والتاريخ خير شاهد.

- الزركشي يقول: "المماكرة في الحرب أنفع من المكابرة والمكاثرة"[2] أي أن الخديعة و**المكر** في الحرب أكثر نفعاً وجلباً للنصر من كثرة العدد أو الإصرار على القتال فربما حققت نصراً وفوزاً **بالمكر** دون قتال.
- قال ابن المناصف: يجب على الجند امتثال أمر القائد والإمام والأمير، ولا يجوز مخالفته في شيء مما وافق سنه في عمل أو تدبير أو **حيلة** أو مكيدة أو ما شابه ذلك سواء علم وجه ما أمر به أو نهى عنه أو لم يعلم عليه السمع والطاعة فقط[3]. وما قصده ابن المناصف أن الأمير أو القائد أو الإمام قد يدعو جنده لفعل خارج عن المألوف كالكذب مثلاً فهنا يجب عليهم الاستجابة طالما أنه في إطار **الحيلة** والخديعة للأعداء وليس ضرورياً أن يفهم الجندي مراد قائده فعليه الاستجابة فقط.
- يقول ابن جماعة: ينبغي أن يجعل القائد **الحيل** في حصول الظفر أولاً، ويجعل القتال آخر ما يرتكبه في نيل النصر والفوز، فإن **الحيل** في الحروب وجودة الرأي أفضل بكثير من القتال لأن الرأي و**الحيلة** أصل والقتال والسيف فرع ثم قال[4]:

الـــرأي قبـــل شـــجاعة الشـــجعان ... هـــو أول وهـــي المحـــل الثـــاني[5]

إذاً يذهب ابن جماعة إلى استخدام **المكر** والخديعة قبل القتال لتحقيق الفوز والنصر ويعتبر أن ذلك هو الأساس، لأن سلامة الجند والحفاظ على أرواحهم وعدم التفريط بها كونهم المخزون الاستراتيجي والعمود الفقري للدولة أفضل بكثير من إهدار هذه القوة في القتال لأنه فرع، فإذا استطاع القائد أن يحقق هدفه وغايته دون قتال فليفعل فليست الغاية إراقة الدماء.

- يقول ابن القيم: "العجز كل العجز يكمن في ترك **الحيلة**"[6] فابن القيم يعتبر أن القائد الذي لا يملك **الحيلة** و**الخداع** هو من أضعف الناس وأكثرهم عجزاً لتحقيق ما يصبو إليه، فهو توجيه

(1) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص593.
(2) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص192.
(3) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص52.
(4) تحرير الأحكام، ج1، ص160.
(5) بيت الشعر من نظم المتنبي. انظر: الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ج1، ص296.
(6) إعلام الموقعين، ج3، ص242.

رشيد من عالم حكيم لكل قائد عظيم بأن يحافظ على حيازة **الحيل** وتكون سلاحه البتار في مواجهة الطغيان.

- لذلك نجد أن كثير من أهل العلم اعتبروا أن من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الملوك والقواد "تدبير وإبرام الأمور بعد الاحتيال فيها ووضع الأصول لها"[1].
- يقول أسامة بن منقد: "أضعف **حيل** الحرب اللقاء، وصرعة اللين أشد استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة"[2] فيعتبر ابن منقد أن اللقاء والمواجهة من أفشل **الحيل** لأن **الحيلة** تكون قبل اللقاء وعلى حين غفلة من المقصود بها.
- يقول ابن رشد القرطبي: يجب على القائد والمقاتل أن يستعملوا في حربهم مع أعدائهم ما أمكن من **المكر** والخديعة والكذب للتخذيل بين المشركين وقصد وجه من وجوه الخير للمسلمين.

  فهذه دعوة صريحة من ابن رشد للقائد والجندي على السواء أن يجتهدوا في استخدام **الحيل** والخديعة و**المكر** وحتى الكذب لما فيه خير لأمة الإسلام وشر لأعداء الدين[3].
- يقول الدغمي: لا بد من القيام بأعمال ترمي إلى تضليل العدو والتغرير به بشرط عدم مخالفتها للشرف والأخلاق، لأن ذلك من **الخداع** الحربي، الذي يكون فيه إيهام العدو بالتراجع عنه أو النكول ثم شن غارة سريعة عليه للتمكن منه والغلبة عليه[4].

مما سبق يتضح لنا أن العلماء والحكماء وأصحاب الرأي هم مع الأخذ بالحيل والخدع العسكرية بل يعتبرونها هي الأصل والقتال فرع بل يعتبرون الأخذ بها واحد من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائد والأمير والملك وذلك حتى يحافظ على ماله ودولته وجيشه.

ثالثاً- موقف العقل من الخدع العسكرية:

الحرب أحد ثوابت التاريخ لم تتغير أو تقل مع الحضارة والديمقراطية، فمن بين السنوات التي عاشها الإنسان على الأرض من التاريخ المسجل لا تكاد تجد إلا سنوات قليلة بغير حرب، واعتبروا أن الحرب هي الشكل النهائي للمنافسة بل هي الحكم الأخير في التفسير العسكري[5].

---

(1) الشيرازي: المنهج المسلوك، ج1، ص546.

(2) لباب الأدب، ج1، ص16.

(3) البيان والتحصيل، ج3، ص84.

(4) التجسس: ص255.

(5) ديورانت: دروس التاريخ، ص155، 158.

طالما أن الحرب هي الحكم الأخير في صراع الشعوب والأمم هل يمكن أن يصدر هذا الحكم بدون دماء وقتل؟ الجواب: نعم **بالخدعة** و**الحيلة** والمكيدة لأن الحكماء قالوا: "القوة موجودة الذات و**الحيلة** موجودة الأثر وأن القوة أداة **الحيلة**، لذلك لزم إيثار **الحيلة** وتقديمها والعناية بمعرفتها واستعمالها"[1].

فالناظر إلى حال الحروب في كل وقت وحين وما يترتب عليها من قتل ودمار وخراب، يرى بدون أدنى شك ضرورة إيجاد طرق أخرى لحل المشكلات، ومن هنا يقف العقل بكل أركانه مع استخدام **الخدع** و**الحيل** لتلافي الوقوع في الحرب والخسائر وذلك لتقليل الخسائر في المال والأرواح يقول المقدسي: "أن الجهاد منه ما هو مطلوب بالقلب والدعوة والحجة والبيان والرأي والتدبير والبدن فيجب بغاية ما يمكنه الإنسان فالحرب **خدعة**"[2] فنجده قد وضع البدن آخر شيء وقدم عليه التدبير والرأي و**الحيلة**.

فمصلحة الدولة مع عدم إهدار قوتها المالية والبشرية وهذا لا يكون إلا **بالحيلة** و**الخدعة** لأن الحرب مباح فيها كل شيء، فوجب علينا أن نعلم أن الحاجة إلى **الحيلة** عند رجحان العدو في القوة لازمة لا محالة، ولا غناء عنها عند استواء قوتنا مع العدو لندرك الغلبة بسببها، ولا غنى لنا عن **الحيلة** عند رجحان القوة عندنا حتى لا يحل بنا نقص في **الحيلة** فيقاومنا عدونا **بالحيلة** فيرجح علينا بها ويحقق الظفر فرب **حيلة** أجرأ من قوة، فالواجب الجمع بين القوة و**الحيلة** وعدم التفريط بأي منهما[3]. وقيل نفاذ الرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب[4]، لذلك فإن العقل يرجح ويميل ويقف إلى جانب **الخدع** و**الحيل** في الحروب لأن فيها تحقيق مصلحة راجحة وهي تغني عن القرب والبعد وبدونها قد تعطل القوة.

يقول أبو العباس القرطبي: إن في كلام النبوة دعوة للمحاربين باستعمال **الخداع** في الحرب ولو مرة واحدة لأن الحرب تتراءى لأخف الناس بالصورة المستحسنة ثم تتجلى عن صورة مستقبحة[5].

يقول الشيرازي: "الحوادث النازلة نوعان: أحدهما لا **حيلة** فيه فيدفع بالصبر الدائم والإعراض عنه، والثاني يكمن فيه **الحيلة** فدفعه بالصبر إلى حين نفوذ **الحيلة**"[6] ويبين أن

---

(1) بن منكلي: الحيل في الحروب، ص300.

(2) الفروع، ج6، ص180.

(3) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص299.

(4) العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، ص66.

(5) الحسيني: طرح التثريب، ج7، ص206.

(6) المنهج المسلوك، ج1، ص312.

استخدام **الحيلة** يجب أن يكون قبل نزول الأمر وإنفاذه، لأن الأمور إذا نزلت أصبح لا فائدة من **الحيلة** والخديعة[1].

قال حكيم: "حقيقة الشجاعة ثبات الجأش وذهاب الرعب وزوال هيبة الخصم أو استصغاره عند لقائه ولا بد أن يتقدم هذا رأي ثاقب ونظر صائب و**حيلة** في التدبير وخداع في الممارسة"[2] فلا غنى للشجاع عن الدهاء و**المكر** والخديعة وإلا لا تنفعه شجاعته.

قال حكيم: "احزم الملوك من غلب جده هزله، وقهر رأيه هواه، وعبر عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن خطته، ولا غضبه عن كيده و**مكره**[3].

قال حكيم: "ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخر **حيلة،** فإن النفقة في كل شيء إنما هي من الأموال والنفقة في الحروب، إنما هي من الأنفس، فإذا كان **للحيل** محمودة عاقبه فذلك بسعادة الملك إذا ربح ماله وحقن دماء جيوشه، وإن أعيت **الحيل** والمكايد كانت المحاربة وراء ذلك، فأسعد الملوك من غلب عدوه **بالحيلة** و**المكر** والخديعة"[4].

لذلك لا بد من التفكير أولاً في غلبة العدو **بالمكر** والخديعة فهي أفضل بكثير للدولة لأن فيها حفاظ على المال والأرواح، فقالوا: **الحيلة** والرأي أكثر نفعاً من القتال، لذلك صاحب الرأي وإن كان شيخاً كبيراً يقتل فهذا دُريد بن الصمة[5] كان شيخاً كبيراً وكان صاحب رأي ومكيدة فقتل فلم ينكر النبي (ﷺ) قتله، لأن الرأي في الحرب أبلغ من القتال وهو الأصل وعنه يصدر القتال[6].

قال حكيم: إذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه منك، وإذا طلبته بالمكيدة فلا يعظمن أمره عندك وإن كان عظيماً"[7] بمعنى أنه مع المكيدة و**الحيلة** و**الخدعة** لا يعظم جيش وقال آخر: "أضعف **الحيلة** خير من أقوى الشدة"[8].

---

(1) الشيرازي: المنهج المسلوك، ج1، ص545.

(2) الشيرازي: المنهج المسلوك، ج1، ص64.

(3) العسكري: ديوان المعاني، ج2، ص90.

(4) الجاحظ: التاج، ج1، ص38.

(5) دُريد بن الصمة: من بني جشم شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً قتل يوم حُنَين وهو ابن مئة وستين سنة، فقد أشار على قومه أن يرفعوا إلى الجبال النساء والأطفال وأن يلقى الرجال عدوهم بسيوفهم على متون الخيل، فلم يقبلوا رأيه فانهزموا. الواقدي: المغازي، ج2، ص303؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص104 وما بعدها.

(6) الشيرازي: المهذب، ج2، ص233.

(7) ابن النحاس: تهذيب مشارع الأشواق، ص388.

(8) الماوردي: تسهيل النظر، ج1، ص227.

الفصل الثانــي

الخدع العسكرية للمسلمين من الفتح حتى نهاية عهد الولاة

92-138هـ # 711-755م

ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الخدع العسكرية للمسلمين في الوصول إلى أرض الأندلس.
- المبحث الثاني: الخدع العسكرية لقوات طارق بن زياد.
- المبحث الثالث: الخدع العسكرية لقوات موسى بن نصير.
- المبحث الرابع: الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الولاة.

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في الوصول إلى أرض الأندلس [1]

تُعد حقبة الحكم الأموي الذي امتد واحداً وتسعين عاماً من أهم حقب الحكم الإسلامي التي شهدت عمليات فتح للبلاد، حيث انتشرت جيوش الفاتحين في العصر الأموي على ثلاث جبهات في وقت واحد[2]، وامتدت الدولة الإسلامية في عهدهم إلى مسافات ومساحات كبيرة من الصين شرقاً إلى جنوب فرنسا غرباً وأشرقت شمس الإسلام على كثير من بقاع الأرض كالمغرب وبلاد ما وراء النهر والسند والأندلس[3].

وبرز في هذه الفتوحات قادة مسلمون عظام ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن يظهر الدين الإسلامي ويندحر الظالمون وعلى رأس هؤلاء القادة موسى بن نصير[4]، وطارق ابن زياد[5]، وطريف بن مالك[6] الذين ينسب إليهم فتح الأندلس، وإدخال الإسلام إلى أوروبا.

---

(1) الأندلس: أطلق العرب هذا الاسم على شبه جزيرة واقعة في غرب أوروبا، تشمل (أسبانيا والبرتغال)، أطلق عليها الروم قديماً اسم أشبانية، وسُميت شبه جزيرة لإحاطة الماء بها من ثلاث جهات: الشرق، والغرب، والجنوب، وهي تقابل بر العدوة من بلاد المغرب. للمزيد: المراكشي: المعجب، ج1، ص320؛ القلقشندي: صُبح الأعشى، ج5، ص205؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص32.

(2) هذه الجبهات هي:

أ. جبهة الروم: التي شملت آسيا الصغرى والقسطنطينية وبعض الجزر في البحر الأبيض المتوسط.

ب. جبهة الشمال الأفريقي: امتدت حتى المحيط ثم العبور إلى الأندلس.

ج. الجبهة الشرقية: امتدت من العراق شرقاً ثم تفرعت إلى مسارين شمالاً باتجاه بلاد ما وراء النهر وجنوباً إلى بلاد السند. للمزيد انظر: شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، ص112-113.

(3) خفاجي، شرف: معارك فاصلة، ص5.

(4) موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي بالولاء ولد 19هـ/640م كان شجاعاً عاقلاً كريماً تقياً لم يهزم له جيش قط ولي العديد من البقاع كان آخرها إفريقيا الشمالية وما ورائها من الغرب، توفي في مكة عام 97هـ/715م. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص14؛ الزركلي: الإعلام، م7، ص330.

(5) طارق بن زياد: الليثي بالولاء، فاتح الأندلس، اختلف في أصله ولكن الراجح أنه بربري من قبيلة نفزة، ولد عام 50هـ/670م، وتوفي عام 102هـ/720م بعد أعمال بطولية وجليلة في خدمة الإسلام والمسلمين. الذهبي: سير أعلام، ج4، ص500؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص140؛ الزركلي: الأعلام، م3، ص217؛ سوادي: طارق بن زياد، ص17 وما بعدها.

(6) طريف بن مالك: اختلف في نسبه فقيل إنه من قبيلة معافر العربية أو من قبيلة نخع اليمانية وقيل إنه بربري من موالي موسى بن نصير يكنى بأبي زرعة كان حازماً بارعاً في فنون الحرب والقتال وله دور كبير في فتوح بلاد المغرب والأندلس. المقري: نفح الطيب، ج1، ص233؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص35؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص150.

(1) الخدع العسكرية في سرية طريف بن مالك الاستطلاعية:

أتم المسلمون فتح بلاد المغرب ولم يبقَ أمامهم لإتمام فتح إفريقيا وتطهيرها ممن تبقى من أعداء الإسلام سوى مدينة سبتة[(1)] التي أفشلت كل محاولة من قبل المسلمين للسيطرة عليها وذلك لمناعتها ودهاء وحسن إدارة حاكمها الكونت يوليان[(2)(3)].

الأمر الذي جعل طارق بن زياد يجتهد في كسب مودته وتوطيد العلاقة معه وكما يقول ابن عبد الحكم: "راسل طارق يوليان ولاطفه حتى تهاديا"[(4)].

وقد أظهر طارق كفاءةً ودبلوماسية عالية في جعل يوليان يسعى بنفسه للاتِّصال بالمسلمين[(5)] ويعرض عليهم تسليم مدينته، ويدعوهم إلى فتح الأندلس[(6)].

استجاب طارق بن زياد لمبادرة حاكم سبتة يوليان، وأرسل إلى قائده موسى بن نصير يخبره بمبادرة يوليان، وبناءً عليه قام موسى بن نصير بمراسلة الخليفة الأموي في دمشق الوليد بن عبد الملك[(7)] يخبره بمبادرة يوليان ويستأذنه في فتح الأندلس، فكتب إليه الوليد بن عبد

(1) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب وهي تقابل جزيرة الأندلس على طرف مضيق جبل طارق ويقابلها من بلاد المغرب طنجة. للمزيد ينظر، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص182.

(2) يوليان: حاكم مدينة سبتة من قبل الروم وكانت تربطه بحاكم الأندلس لذريق علاقة موالاة ويُقال أنه كان تاجراً من العجم. للمزيد انظر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص33؛ المراكشي: المعجب، ص33.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص15، ابن الأثير: أسد الغابة، ج4، ص42، عنان: دولة الإسلام، ج1، ص38.

(4) فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص34.

(5) تختلف الروايات في أمر الاتصال بين يوليان والمسلمينَ فيُقال: أن الاتصال كان بالمراسلة، وقيل بالمقابلة الشخصية، وقيل أن اللقاء كان في سبتة، وقيل أنهما اجتمعا في سفينة في البحر. انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص140، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص345، عنان: دولة الإسلام، ج1، ص39.

(6) تختلف الروايات في السبب الذي دفع حاكم سبتة لأن يقدم مبادرته بمساعدة المسلمين في فتح الأندلس وبعضها تنسج قصص خيالية لذلك ولكن الراجح أن السبب يكمن في انتقام يوليان من لذريق حاكم الأندلس، من جهة، ومن جهة أخرى أراد أن يخفف الضغط عن مدينته التي أيقن سقوطها في يد المسلمين. للمزيد انظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص34؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص267؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص34، المقري: نفح الطيب، ج1، ص241؛ سوادي: طارق بن زياد، ص31 وما بعدها.

(7) الوليد بن عبد الملك: ولد سنة 48هـ/668م ولي الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك بن مروان سنة 86هـ وفي عهده امتدت الدولة الإسلامية حتى الصين شرقاً وإليه ينسب بناء المسجد الأقصى توفي في دمشق عام 96هـ/715م، انظر: القضاعي: عيون المعارف، ص35 وما بعدها؛ ابن كثير: التبر المسبوك، ص38.

الملك أن يختبرها بالسرايا(1) ويحذره من الزج بالمسلمين في بحر شديد الأهوال فرد عليه موسى بأنه ليس بحراً وإنما مجازاً ضيقاً يتبين للناظر ما وراءه، فكتب إليه "وإنْ كان فلا بد من اختباره بالسرايا"(2).

استجاب موسى بن نصير لنصح الخليفة وتوجيهاته في اختيار جبهة القتال الجديدة بالسرايا، فأرسل سريةً قُوامها خمسمائة مقاتل منهم أربعمائة من المشاة ومائة من الفرسان وجعل عليهم طريف بن مالك، حيث انطلقت القوة المقاتلة المستطلعة لبلاد الأندلس من سبتة على أربع سفن قدمها لهم حاكم سبتة يوليان فعبروا البحر إلى جزيرةٍ صغيرةٍ تُسمى (لاس بالوماس las Palomas)، والتي أصبحت تعرف باسم جزيرة طريف(3) نسبةً للقائد المسلم طريف بن مالك الذي كان أول من دخل الأندلس مقاتلاً يشق للمسلمين طريق الجهاد(4) بإرشاد ومساعدة (يوليان) وتوغلت الحملة في الجزيرة الخضراء(5) في رمضان سنة 91هـ يوليو 710م، فأصابت كثير من الغنائم وشهدت الكثير من دلائل خصب الجزيرة وثروتها، ثم عادت في أمن وسلام، تخبر قائد المسلمين في أفريقيا بنتائج المهمة التي تعتبر استطلاعية، فاستبشر بالخير والنصر، وبدأ يجهز جيش الإسلام للفتح(6).

يتضح مما سبق أهمية استغلال الفرص في المعارك وعدم إضاعة أي فرصة تتوفر؛ لأنها قد لا تتكرر، وكذلك عدم إهدار القوة العسكرية فيما لا طائل منه وعلى القائد أن يلجأ إلى طرق ووسائل أخرى في حال عدم جدوى الوسيلة الحربية المستخدمة في تحقيق النصر، وهذا

---

(1) وهو ما يعرف في الفكر العسكري الاستطلاع بالقوة، وذلك من خلال استخدام قوة محددة للاشتباك مع العدو لجمع المعلومات عنه في أرض المعركة "مواقعه، أسلحته، أسلوب قتاله وغيرها"، بركات: فن الحرب، ص207.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص267؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص127؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص253.

(3) جزيرة طريف: تقع جنوب الأندلس على البحر المتوسط في آخر المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربيها بالمحيط. للمزيد انظر: الحمودي: نزهة الشتاق، ج2، ص539؛ ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ج1، ص32؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص229.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص229، طه: تاريخ العرب، ص28.

(5) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة في الأندلس تقع على البحر تقابلها من جهة الغرب سبتة ومن الشرق شدونة ومن الجنوب قرطبة وهي ليست جزيرة وهي من أرشق المدن الأندلسية وأطيبها وأجمعها لخير البَر والبحر وهي القرية التي أبت أن تضيّف الخضر وموسى عليهما السلام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص136؛ ابن حبان: تفسير البحر المحيط، ج6، ص136؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص213.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص267؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص24؛ الحميري: الروض العطار، ج1، ص35؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص229.

يتضح من المرونة العسكرية والتغيير في الخطط الذي مارسه طارق عندما استعصت عليه سبتة.

- **الخدع العسكرية المستخدمة في سرية طريف تظهر في الآتي:**

1- ملاطفة طارق بن زياد لحاكم سبتة (يوليان) **خدعة** أراد بها طارق أن يستفيد من إمكانيات وقدرات (يوليان) في تحقيق رغبته في فتح الأندلس.

2- إيحاء طارق لحاكم سبتة أن طموحه متجه نحو الأندلس، ومحاولاته لإخضاع سبتة فقط لتأمين تحركاته نحو الأندلس، **حيلة** استخدمها طارق؛ ليجعل الرجل يجتهد في الحفاظ على مدينته ويبادر في مساعدة طارق في الوصول إلى الأندلس(1).

3- الاتِّصال بالخليفة حِكمةٌ: هَدفَ منها موسى بن نصير تأجيج حماسة الجند وإظهار مشروع فتح الأندلس بأنه من المشاريع التي يجب أن تقف خلفها كل مكونات الدولة وهو يحظى بمباركة الخليفة الأموي في دمشق.

4- اكتشاف جبهة القتال الجديدة بسرية طريف بن مالك، مهارة سعى من خلالها القائد طمأنة نفوس مقاتليه وثبات أقدامهم في ساحة المعركة لا سيما وأن القوة المستطلعة عادت محملة بكثير من الغنائم والأموال.

كذلك فيه اطمئنان من جانب القائد على الكفاءة القتالية لجنوده ومقدرتهم على خوض معركة عسكرية في بلاد لم يألفوها ويخوضوا غِمارَ بحرٍ شديد الأهوال.

5- استخدام سفن أسبانية: **خدعة** عسكريةٌ الهدف منها تضليل العدو ومباغته زماناً ومكاناً ويُعد هذا الأسلوب من أهم وسائل التمويه في العمليات القتالية.

6- وجود أَدِلَّاء ومرشدين من السكان الأصليين لمنطقة الغزو: أسلوب قتال الهدف منه تعريف الجيش بطرق ومسالك ودروب المنطقة وكشف لعورات العدو.

7- انطلاق الحملة من سبتة: فيه تعزيز للثقة بين المسلمين ويوليان ويعطيه فرصة أكبر لتقديم العون والمساعدة والقيام على متطلبات القوة المستطلعة.

---

(1) خلال تواجد طارق بن زياد في طنجة، كان يسعى لتحقيق هدفين الأول: إخضاع مدينة سبتة لاستكمال دخول المغرب تحت راية الإسلام، والثاني التطلع لاجتياز البحر لفتح الأندلس، ولكن تطور الأوضاع لصالح هدفه الثاني جعله يغضُّ الطَّرْف عن الهدف الأول، وذلك لتحقيق أمنيته وطموحه بفتح الأندلس، وحينها تلقائياً ستخضع سبتة. سوادي: طارق بن زياد، ص13، 39.

(2) الخدع العسكرية للمسلمين في الوصول إلى أرض الأندلس:

نجاح سرية طريف بن مالك[1] في تحقيق أهدافها، حفز قائد المسلمين في الشمال الإفريقي موسى بن نصير على الإسراع في تجهيز الجيش الذي يفتح الأندلس لينشر الإسلام ويضع أسس العدالة والتسامح هناك[2]، جمع موسى بن نصير لتنفيذ هذه المهمة العظيمة والمشروع الكبير سبعة آلاف مقاتل جُلُّهم من البربر، وجعل على مقدمتهم طارق بن زياد الذي طلب من حاكم سبتة (يُوليان) قبل أن ينطلق بجيشه إلى بلاد الأندلس أن يبرهن عملياً على صِدْقِ نيته وانحيازه للمسلمين ضد أبناء مِلَّته، وذلك بعملٍ عسكري يقوم به في بلادهم، فقام (يوليان) عقب سنة 90هـ/709م بالإغارة على الجزيرة الخضراء وَقَتَلَ وسَبَى وأقام بها أياماً ثم عاد سالماً غانماً، فاطمئنّ له طارق وأَنِس به[3].

ويقول ابن عبد الحكم: أن طارقَ طلب من (يوليان) رهينةً؛ ليستوثقَ منه أكثر "فبعث له بابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما"[4].

انطلق طارق بن زياد بجيشه من مدينة سبتة عابراً البحر على أربع سُفُنٍ قدمها حاكم سبتة (يوليان) حيث كانت السفن تنطلق ليلاً ثم تعود نهاراً؛ لتحمل من بقي من الجيش وكان طارق آخر من ركب البحر من الجيش ثم لحق به يوليان والتجار الذين معه[5].

أتم طارق بن زياد بمساعدة يوليان في 5 رجب سنة 92هـ/27 أبريل 711م عملية نقل الجند إلى بقعة صخرية من أرض الأندلس تقابل سبتة كانت تُعرف بجبل (كالبي "Calpe")[6] الذي عُرِف فيما بعد بجبل طارق أو جبل الفتح[7].

---

(1) يذهب بعض المؤرخين أن بعد سرية طريف كانت سرية أخرى لشيخ من البربر يُكَنَّى بأبي زرعة والبعض الآخر يقول إنها السرية نفسها وأن طريف كان يدعى بأبي زرعة وهذا ما نرجحه. المقري: نفح الطيب، ج1، ص253-254.

(2) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص35؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص24.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص253.

(4) فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص345؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص153.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص140.

(6) جبل كالبي: وهو الجبل الذي فتحت منه الأندلس وأول بقعة وطأتها أقدام الفاتحين المسلمين للأندلس، والذي يعرف بجبل الفتح أو جبل طارق وهو يظهر في البحر من سبتة وهو آخر معابر الأندلس وعبارة عن جزيرة. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج1، ص262؛ الأصطرخي: المسالك والممالك، ج1، ص17؛ المغربي: الجغرافيا، ص34؛ سوادي: طارق بن زياد، ص66.

(7) هناك خلاف بين المؤرخين على الشهر الذي عبر فيه طارق إلى الأندلس فيذكروا أن العبور كان في شعبان ولكن الأرجح أنه في رجب، انظر ابن الأثير: الكامل، ج4، ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص19؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص74.

بدأ طارق بتحصين المكان وإقامة سور من الحجارة والطين حول الجبل[1] وذلك لحماية جيشه ويكون قاعدةً عسكرية متقدمة للانطلاق باتجاه المدن الأندلسية، ولا سيما وأن المكان الذي نزل به يعتبر أقرب الأماكن لخطوطه الخلفية مما سيُؤَمِّنُ وصول الإمدادات والمؤن للجيش، كما يوضح ذلك الحميري "أيسر المراسي للجواز وأقربها من بر العـدوة ويحاذيـه مرسـى مدينـة سبتة"[2].

يَتَبيَّن مما سبق أهمية التمويه العملياتي[3] الذي قام به طارق في عملية نقل الجند إلى جبل طارق؛ ليحقق المفاجأة لعدوه زماناً ومكاناً، ويتضح هذا من الرسالة التي بعثها أحد أتباع لذريق[4] يقول له "إنه قد وقع أرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا، أم من الأرض نبعوا"[5].
هذا وتظهر كفاءةُ ومهارةُ طارق بن زياد العسكرية في عملية نقل الجيش إلى جبل الفتح فـي النقاط التالية:

1- طَلَبُ طارق بن زياد من حاكم سبتة القيام بشن غارة ضد أبناء مِلّته: وسيلةٌ عمليةٌ يختبر من خلالها طارق حُسن نيته ويُحطِّم الشكوك والظنون التي كانت تحوم حول الرجـل، حتـى لا يوقع جيشه فيما لا يُحْمَدُ عُقْباه ويغرِّر بهم في متاهات بلاد لم يعرفـوا طرقهـا ودروبهـا، وزيادة في الاطمئنان طلب منه أن يضع ابنتيه رهينةً عند المسلمين حتى لا يفكر في الخيانة أو التراجع عن رغبته في مساعدة المسلمين.
2- الانطلاقُ من مدينة سبتة: **خدعـة** قَصَد منها طارق تضليل العدو حتى لا ينكشف أمرُ الجيش وتبقى تحركاتُه طي الكِتمان، كذلك الانطلاق من أرض مواليه للخصم فيه تمويه وتكون معه تحركات الجيش بعيدة عن رصد وعيون العدو.
كذلك فيه تخفيف على الجيش لقرب سبتة من أرض العدو والنقطة التي سيتمركز بها جـيش المسلمين.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب،ج1،ص142؛ اللواتي: تحفة النظار،ج2، ص823؛ ابن خلدون:تاريخ، ج4، ص150.
(2) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص223.
(3) التمويه العملياتي: يقصد به أسلوب قتال وهو نوع من أنواع التأمين القتالي وهو عبارة عن مجموعـة مـن الإجراءات القتالية المنظمة والموجهة لضمان عنصر المفاجأة للعدو.. بركات: فن الحرب، ص127.
(4) لذريق: أو رذريق أو ردريك أو الأورينوق كلها أسماء موجودة في المصادر لآخر ملـوك القـوط الـذين حكموا الأندلس ولم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب في القوط وإنما استولى على المُلك عن طريق الغصب والانتزاع من أبناء غيطشة . الطبري: التاريخ، ج4، ص11؛ ابن عذاري: البيـان المغـرب، ج1، ص139؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص257.
(5) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص227.

3- استخدام سفن أسبانية[1] في عملية نقل الجيش وكذلك سفن التجار لنقل الخيل وعتاد الجيش[2]: فيه تضليل للعدو حتى لا ينكشف أمر الجيش ويظنّ العدو أن المراكب تنقل ما اعتادت على نقله في السابق.

4- عمليةُ نَقْلِ الجيشِ كانت تتم في الليل ثم يَكْمُن الجيشُ نهاراً[3]: **خدعة** الهدف منها السِّرِّية والكتمان لتحقيق المفاجأة للعدو، فلو تمت العملية نهاراً لرصدها الأعداء وربما قضوا عليها قبل أن تصل إلى الساحل، أو انفردوا بمن وصل وهذا يدلنا على مبدأ المباغتة التي اعتمده طارق في القتال.

5- انتظارُ طارق في سبتة حتى تمت عملية نقل الجيش إلى الأرض الأسبانية: حُسْنُ تدبيرٍ أراد به أن يطمئنَّ على جواز كامل الجيش بسلام، ولمعالجة أي طارئ أو خلل قد يحدث أثناء عملية نقل الجيش.

6- بقاءُ (يوليان) في سبتة دون الإبحار مع المسلمين، ثم التحاقه بهم مع عدد من التجار **خدعة** القصد منها عدم لفت أنظار أبناء قومه لحقيقة تعاونه مع المسلمين.

7- اختيار المكان الذي نزل به الجيش حُسْنُ تدبير من القائد طارق بن زياد في اختياره المكان الملائم الذي يتحصَّن به جيشه لحين اكتمال وصول الجيش، فوجودهم في ذلك الجبل يعطيهم المقدرة على الدفاع عن أنفسهم.

8- تحصينُ طارق بن زياد للمكان الذي نزل فيه: يُدلِّل على كفاءة طارق العسكرية، فقبل التفكير في قتال عدوه فَكّر في الحفاظ على جيشه الذي هو دعامة نشر الإسلام في تلك البلاد فكانت الخطوة الأولى بعد العبور لأرض الأندلس إنشاء القاعدة العسكرية التي تحمي الجيوش وتُؤَمِّنُ وصول الإمدادات والمُؤَن له وتوفِّر له اتصال مع خطوطه الخلفية وتُشَكِّل خطوط محتملة للتراجع.

9- اختيار الوقت المناسب: خدعة وفطنة وحسن تدبير من طارق حيث اختار لعملياته العسكرية شهر أبريل، وذلك حتى يكون معه مُتَّسع من الوقت للانتهاء من عملياته في مناخ معتدل، بعيد عن البرودة الشديدة والرياح والأمطار والثلوج التي تعيق حركة الجيش الإسلامي، الذي لم يكن معتاداً على المناخ الأوروبي.

(1) بعض المؤرخين يشكك في أن عملية نقل الجيش تمت فقط بالسفن الأسبانية المقدمة من حاكم سبتة ويخضع المسألة لبعض الحسابات المادية البعيدة عن الواقع وهذا رأي لا نميل إليه لأنه لو استخدمت سفن إسلامية في عملية نقل الجيش لما تحقق عنصر المفاجأة للعدو والذي ترجموه بقولهم "أمن السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا؟" انظر: سوادي: طارق بن زياد، ص66؛ بركات: فن الحرب، ص38.

(2) مجهول: أخبار مجموعة، ص17؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص140.

(3) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص346.

ختاماً: استطاع طارق بن زياد رسم خطة مميزة محكمة الفصول، أظهر من خلالها كفاءة عالية وموهبة خارقة وبُعد نظر في الوصول إلى أرض الأندلس دون أن يعلم أو يسمع بهم أهل البلاد؛ ليسجل بذلك أكبر خدعة وتضليل وتمويه على العدو ويسجل نجاحاً عليه في أول إجراء تنفيذي لخطته على أرض الواقع.

المبحث الثاني

الخدع العسكرية لقوات طارق بن زياد

أتم طارق بن زياد عملية نقل الجيش إلى أرض الأندلس في خطة محكمة ودون أن يشعر بهم أحد، باستثناء قوة صغيرة تابعة لحاكم الأندلس لذريق كانت متواجدة على الشاطئ، ولكن بمهارة عالية وحتى لا يصطدم بها طارق ويشعر بهم أهل الأندلس، غيَّر طارق مكان النزول إلى جبل الفتح(1).

ويجب أن نشير من باب الأمانة التاريخية(2) أن الخطة لإدخال الإسلام إلى أوروبا وضعت في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان(3) ولكن بداية التنفيذ كانت في خلافة معاوية ابن أبي سفيان(4) عبر محاولات فتح القسطنطينية ولكن مناعة أسوارها وقف حائلاً أمام هذا الطموح الإسلامي(5).

لذلك بدأ المسلمون يفكرون في جبهة أخرى ومكان غير القسطنطينية يحقق لهم هذه الغاية فكان التوجه نحو الأندلس.

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص242؛ الحميدي: التاريخ الإسلامي، ص214.

(2) ذهب ابن عذاري أن أول محاولة لدخول إلى الأندلس كانت في سنة 27هـ/647م، زمن عثمان بن عفان، حيث قام بالمحاولة القائدان عبد الله بن نافع بن عبد قيس، وعبد الله بن الحصين الفهريان. للمزيد انظر: البيان المغرب، ج1، ص139؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص19.

(3) عثمان بن عفان: أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة 47ق.هـ./577م، أسلم بعد البعثة بقليل، من أهم أعماله في الإسلام تجهيز جيش العُسرة، وأتم جمع القرآن، وفي أيامه فتحت أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وأفريقية وقبرص، توفي شهيداً عام 35هـ/656م. انظر القضاعي: عيون المعارف، ص301 وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص210.

(4) معاوية بن أبي سفيان: مؤسس الدولة الأموية، ولد بمكة سنة 20ق.هـ/603م، أسلم يوم الفتح، كان كاتباً للوحي، ولاَّه عمر بن الخطاب جزءاً من الشام وجمعت له في خلافة عثمان بن عفان، ثم أصبح خليفة للمسلمين في عام 41هـ/661م؛ توفي عام 60هـ/680م. انظر: القضاعي: عيون المعارف، ص323 وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام، ج7، ص261.

(5) ابن حزم: فتوح الإسلام، ج2، ص129؛ شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، ص116، 119.

(1) الخدع العسكرية للمسلمين من جبل الفتح حتى نهاية معركة وادي لكة[1]:

أتم طارق بن زياد عملية نقل الجيش دون أن يشعر بهم أحد من أهل الأندلس، وحَصَّن المكان الذي نزل به "جبل الفتح"[2] ليبدأ بعدها بمعاونة وإرشاد (يوليان) حاكم سبتة بالسير إلى المنطقة المجاورة، وشن غارات على المواقع والمدن الأندلسية، فكانت أول غاراته على حصن قرطاجنة[3] الذي خضع للسيادة الإسلامية[4] ثم جزيرة أم حكيم[5] التي شهدت حادثة ذبح وطبخ أحد الأسبان من قبل جيش طارق، وإيهام الناظرين إليه من أبناء جِلْدته أنهم طبخوه وأكلوه، فانطلقوا ليخبروا قومهم أن الجيش القادم إليهم يأكل لحوم البشر[6]، ثم زحف طارق بن زياد إلى الجزيرة الخضراء فافتتحها بعد أن هزم حاميتها[7]. بنزول طارق من الجبل ومهاجمته للمواقع والمدن الأندلسية، وصل الخبر إلى لذريق، فأوقف جميع عملياته العسكرية ضد معارضيه[8] وبعث إلى أولاد غيطشة[9]؛ ليصطلح معهم ويصبحوا يداً واحدة ضد المسلمين، فوافقوا وهم يُبَيِّتون خيانته لأنه اغتصب المُلْكَ منهم، فبعثوا إلى طارق بن زياد يسألونه الأمان وإعادة أملاك أبيهم إن هم مالوا إليه عند بدء القتال فوافق طارق بن زياد وعاقدهما على ذلك[10].

---

(1) وادي لكة، أو وادي بكة: موضع من أرض الجزيرة الخضراء على ساحل الأندلس القبلي شمالي مدينة شذونة. الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص193.

(2) جبل الفتح المسمى جبل طارق: كان أول فتوحات المسلمين في الأندلس. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص142؛ الحمودي يعتبر أن الجزيرة الخضراء كانت أول الفتح. نزهة المشتاق، ج2، ص539.

(3) قرطاجنة: مدينة كبيرة على ساحل المتوسط مما يلي إفريقيا، أضيف إليها الجنة لطيبها وحسنها . الحموي: معجم البلدان، ج4، ص323.

(4) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج12، ص142.

(5) جزيرة أم حكيم: جزيرة في البحر المتوسط من أعمال الجزيرة الخضراء سميت كذلك نسبة إلى جارية لطارق بن زياد وطنها هناك أيام الفتح. ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص346.

(6) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص346.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج1، ص268؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص24.

(8) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص25.

(9) غيطشة بن أهد بن أرجشيدش: حكم الأندلس سنة 77هـ=696م لمدة ثلاث سنوات، كان حسن السيرة لين العريكة توفي عن ولدين صغار فلم يرضَ بهما أهل الأندلس وتراضوا على لذريق، آخر من حكم الأندلس. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص93، ابن الأثير: الكامل، ج4.

(10) مجهول: أخبار مجموعة، ص15؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص35؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص256-258.

زحف لذريق بجيش كبير يُقَدِّره بعض المؤرخين بمائة ألفٍ[1]، فيما يذهب آخرون إلى أنه أقل من ذلك[2]، علم طارق بن زياد بخبر التجمع الضخم لجيش عدوه فأرسل إلى موسى ابن نصير يستمده بالمقاتلين، فأمده موسى بخمسة آلاف مقاتل يتقدمهم طريف بن مالك[3].

تَقَدم طارق بجيشه الذي بلغ اثنى عشر ألفاً، بكل ثقة وثبات وعزم، فكان اللقاء بين الجيشين على ضفاف نهر وادي لكة أو بكة[4] وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين هجرية (17 يوليه سنة 711م) وبدأت المعركة بمناوشات بسيطة لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع التحم الجيشان ودارت بينهما المعركة الفاصلة لمدة أربعة أيام انتهت بنصرٍ مُؤَزَّرٍ للإسلام والمسلمين وهزيمةٍ ساحقةٍ للكفر والكافرين[5] وَقَتْلِ ملك القوط لذريق الذي اختلفت الروايات في نهايته[6] التي انتهى معها حكم القوط للأندلس والذي استمر قُرابة ثلاثمائة عامٍ[7].

من خلال ما سبق يتبين لنا حجم التضحيات التي بذلها الجيش المسلم خلال الأيام الثمانية للمعركة والتي ظنوا فيها فناءهم كما جاء في بعض الروايات[8]، ولكن الروح المعنوية العالية

(1) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص268؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص25؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص257.

(2) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص227، الطرطوشي: سراج الملوك، ج1، ص148.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص17؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص25.

(4) اختلف المؤرخون في تعيين المكان والنهر الذي يحمل هذا الاسم حسب ما جاء في المصادر العربية فقالوا أنه نهر جوادليتي بالقرب من مدينة شريش وأن المعركة وقعت على ضفته الجنوبية شمالي مدينة شذونة وقالوا أن اللقاء وقع جنوب بحيرة خندة المتصلة بنهر بارباتي الذي يصب في المحيط بالقرب من رأس طرف الغاز وهو الأرجح. انظر: عنان: دولة الإسلام، ج1، ص42-44، بروكمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص139.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج1، ص268؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص142، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص35، المقري: نفح الطيب، ج1، ص259.

(6) اختفى لذريق بعد المعركة ولم يعثر عليه، وإنما عثر على جواده وسرجه الذهبي، فمن المؤرخين من يذهب إلى غرقه في النهر وهو الأرجح والبعض يقول إنه بقي مدافعاً عن عرشه في ساحة المعركة حتى قتل والبعض الآخر يقول أنه فر إلى البرتغال، وهناك من يقول أن طارق وجده بعد المعركة مقتولاً فجز رأسه وأرسله إلى موسى بن نصير. مجهول: أخبار مجموعة، ص19؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص227؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ج1، ص148، ابن الأثير الكامل، ج4، ص268، المقري: نفح الطيب، ج1، ص259.

(7) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص92.

(8) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص141.

التي غرسها طارق بن زياد في جيشه من خلال خطبته الحماسية[1] وإيهامه لجيشه بحرق السفن[2] جعلت الجيش الإسلامي على قلة عدده، يهزم جيش القوط شر هزيمة ويشتتهم في أنحاء البلاد، فهذا يدلل على أن اتحاد الكلمة والصبر والثبات في المعركة يَجْلِبُ النصرَ على الرغم من قلة العدد، وأنَّ الخيانةَ وتَفَرُّقَ الكلمةِ يُمَزِّق الجيش ويهزمه شرَّ هزيمة على كثرة عدده وعتاده.

- **الخدع العسكرية تتمثل في الآتي:**

1- استخدام طارق بن زياد لحاكم سبتة (يوليان) وأعوانه في التحرك باتجاه المواقع والمدن الأندلسية **خدعة** أراد بها طارق:

أ. أَنْ يضمنَ عدم خيانة وغدر (يوليان) فهو يصاحبه في تنقلاته وزحفه إلى المدن والمعاقل داخل الأندلس[3].

ب. يضمن وجود أَدِلاَّء ومُرْشدين على الطُرق والمسالك والدروب من أهل البلاد وهذا أمر لا بد منه سيما أَن المنطقة لا يعرف عنها جيش المسلمين شيء.

ج. قطع أي طريق للعودة أمام يوليان فمرافقته لجيش المسلمين جعلته يصبح جزءاً من المعركة والعداء للذريق، الأمر الذي جعل يوليان وأعوانه يتفانون في خدمة جيش المسلمين حتى أصبحوا من أخلص الأنصار للمسلمين بل لم يلبث بعضهم أن أسلم وحسن إسلامه[4].

د. العمل على استمالة أتباع لذريق إلى صف المسلمين وذلك من خلال بث الإشاعة وعوامل الشقاق والتفرق في صفوف جيش لذريق وقد نجحوا في ذلك حينما جعلوا كثيراً من قواد جيش لذريق الناقمين عليه يتحينون الفرص للإيقاع به وينفضون من حوله في ساعة الحسم[5].

---

(1) يشكك البعض في خطبة طارق لبلاغتها وحسن نظمها على اعتبار أنه بربري لا يجيد اللغة العربية ولكن الذي نميل إليه أن طارق خطب في الجند لما جرت عليه العادة عند قادة المسلمين.. لمزيد من المعلومات انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص227-228؛ سوادي: طارق بن زياد، ص83 وما بعدها.

(2) يشكك بعض المؤرخين في حادثة إحراق السفن من قبل طارق على اعتبار أنه لا يملكها وإن ذلك مغامرة، ولكن نرجح أن ما حدث هو إيهام للجيش بإحراق السفن وهو أسلوب عمل به طارق من أجل أن يجعل جيشه يقاتل بشراسة ويضعف الروح المعنوية للعدو حينما يعلم أنه يقاتل جيش ليس له طريق عودة.. للمزيد انظر: الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص540؛ عويس: إحراق طارق للسفن، ص7 وما بعدها؛ سوادي: طارق بن زياد، ص91 وما بعدها.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص17.

(4) سوادي: طارق بن زياد، ص41.

(5) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص45.

2- عدم إظهار طارق بن زياد لأبناء غيطشه رغبته في إقامة كيان إسلامي في بلاد الأندلس: **خدعة** هدف من خلالها طارق ألا يتردد أبناء غيطشة في التحالف مع المسلمين ضد من اغتصب المُلْك منهم لأنهم اعتقدوا أن العرب متى مُلِئَت أيديهم بالمال والغنائم انصرفوا عن بلادهم وعاد المُلْك إليهم(1)، فأظهر طارق بن زياد مهارةً وكفاءةً عاليةً في استغلال الفرص وتطوير الاتصالات مع أبناء غيطشة إلى الحد الذي جعلهم يشكلون دوراً كبيراً وهاماً في هزيمة لذريق وذلك بانسحابهم من المعركة في اللحظة المناسبة.

3- إيعاز طارق لأبناء غيطشة الذين كانوا يشكلون ميمنة وميسرة جيش لذريق بالانسحاب أثناء القتال وليس قبله: **خدعة** قصد طارق منها تشتيت وتمزيق جيش لذريق الأمر الذي ترتب عليه فرار الجيش وحرص كل واحد منهم على سلامة نفسه(2)، وهذا يعطينا إشارة على أسلوب طارق العسكري باستخدام العقل و**الحيلة** وحرب الأعصاب.

4- ذبح أحد الأسبان وإيهام الناظرين بطبخه ثم أكله: **خدعة** الهدف منها إثارة الذعر والخوف في نفوس الأعداء وأنهم أمام مقاتلين لا يملكون شفقةً ولا رحمةً لعدوهم.

5- إخلاء سبيل عدد من الأسبان بعد أن شاهدوا تمثيلية ذبح وطبخ وأكل صاحبهم: **خدعة** قصد منها المسلمين إشاعة هؤلاء للخبر؛ ليزرعوا الخوف في نفوس المقاتلين الأسبان ويحبطوا من عزائمهم ومعنوياتهم وهذا يدلنا على الأسلوب العسكري لطارق القائم على التمويه والحرب النفسية.

6- إيهام العدو بحرق السفن **خدعة** قصد منها طارق:

أ. بث الرعب في نفوس أعدائه وهذا ما وضحه رصد لذريق كما نقل المقري: "فقد جاءك منهم من لا يريد الموت أو إصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم، إياساً لأنفسهم من التعلق بها .. مُوَطِّنين أنفسهم على الثبات إذ ليس لهم من أرضنا مكان مهرب فرَعُب وتضاعف جزعه"(3).

ب. حتى يفقد جنوده كل أمل في العودة إلى المغرب ويقاتلوا بشراسة وصمود وثبات وإقدام؛ ليعوضوا به جوانب النقص في العدد والعتاد، مقارنة بأعدائهم الأمر الذي يعطينا فكرة عن روح البطولة والفداء والاستشهاد التي غرسها طارق في نفوس مقاتليه، ونحن نعلم كفلسطينيين ربما أكثر من غيرنا ما الروح التي يقاتل بها الاستشهادي أعداءه.؟!

7- سيطرة طارق على حصن قرطاجنة وجميع المناطق المحيطة بجبل طارق مهارة: هدف منها طارق تأمين مؤخرة جيشه وتسهيل خطوط الاتصال مع أفريقيا، وهذا يوضح أسلوب

---

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص16-17؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص257.

(2) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص30؛ ابن الأثير: الكامل، ج1، ص268.

(3) الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص540؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص258.

طارق في القتال والذي ارتكز على تأمين خطوط القتال الأمامية، وعدم التقدم باتجاه مواقع ومدن جديدة قبل احتلال المدن والمواقع التي قبلها واتخاذها قواعد للإمداد والتموين.

(2) الخدع العسكرية في فتح المدن الأندلسية:

انتهى أمر الفتح بهزيمةٍ ساحقةٍ للقوط، ونصرٍ عظيمٍ للمسلمين في وادي لكة، ترتَّب عليه إرباك كبير أصاب جيش القوط، وذُعر وَهَلَع عَمَّ البِلاد عن أخبار الفاتحين القادمين من بلاد المغرب[1]، مما أتاح لجيش الإسلام فتح المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى[2].

بدأ طارق بن زياد يزحف بجيشه شمالاً؛ ليقضي على فلول المنهزمين من جيش القوط، قبل أن يتمكنوا من لم شملهم وتوحيد أنفسهم، سيما وأنه تنامى لمسمعه أن بقية جيش القوط تجمعت عند استجه[3] لصد الجيش الإسلامي، فالتقى الجيشان من جديد عند إستجه ودارت معركة قوية بينهم انتهت بهزيمة القوط، ودخول المسلمين إستجه فاتحين[4]، ويذكر المقري: أن جيش طارق قبل أن يفتح إستجه فتح شذونة[5] بعد أن حاصرها وأنهكها وأضرَّ أهلها، ومنها مضى إلى مورور[6]، ثم عطف على قرمونية[7] فمرَّ بعين ماء نسبت إليه "عين طارق"[8]، ثم مال إلى إشبيليه فصالحه أهلها على الجزية ثم توجه إلى إستجه"[9].

---

(1) خبر الانتصار الكبير في وادي لكة والغنائم التي حازها المسلمين وصل إلى أهل المغرب، الأمر الذي ترتب عليه عبور سيل من المجاهدين والمناصرين العرب والبربر. يقول المقري: "تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها فأقبلوا نحوه من كل وجه ... "، نفح الطيب، ج1، ص259؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص49.

(2) بيضون: الدولة العربية، ص72.

(3) إستجه: مدينة على نهر غرناطة المسمى شنيل وهي متصلة بأعمال ريِّه من قرطبة. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص572.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص268؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص141.

(5) شذونة: مدينة تتصل نواحيها بنواحي موزر وهي من أعمال أشبيلية. الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص10؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص329.

(6) مورور: أو موزور كما عند الحموي اسم المفعول موزور، اسم لكورة بالأندلس متصلة بأحواز قرمونة وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة. الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص188؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص222.

(7) قرمونية: مدينة كبيرة قديمة في سفح جبل عليها سور من الحجارة، تقع في الشرق من إشبيليه، وأكثر لفظ الناس قرمونة. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص381؛ الحميري، صفة الجزيرة، ج1، ص158.

(8) عين طارق: عين ماء تقع بين إستجه وشذونة نزل بها طارق أيام الفتح فنسبت إليه. النويري: نهاية الأرب، ج24، ص25.

(9) نفح الطيب: ج1، ص260.

إنَّ هزيمة القوط عند إستجه، أثارت الرعب في قلوب الأسبان فولوا أدبارهم هرباً إلى الجبال والمعاقل وإلى دار مَلِكِهم طليطلة[1] مما هيأ لخضوع الأندلس كلها للسيادة الإسلامية[2].

بعد معركة إستجه أشار يوليان على طارق بن زياد أن يوزع جيشه على المدن ويسير هو إلى العاصمة فقال له: "قد فضضت جيش القوم ودوخت حاميتهم، وصيرت الرعب في قلوبهم، فاصمد لبيضتهم، وهؤلاء أدلاء من أصحابي، ففرق جيوشك في البلدان بينهم، وأعمد أنت إلى طليطلة، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم، والاجتماع إلى ولي رأيهم"[3].

استجاب طارق لنصح وإرشاد (يوليان)، وانسجم ذلك مع رغبته في القضاء على جيوب المقاومة القوطية وتأمين فتوحاته، فقسم الجيش إلى أربع فرقٍ وتوجه طارق على رأس فرقة إلى طليطلة والثلاث الأخرى توجهت إلى قرطبة[4]، ومالقة[5]، وغرناطة[6]، وتدمير[7][8].

(أ) فتح قرطبة وعدد من المدن:

أرسل طارق مغيثاً الرومي[9] إلى قرطبة في سبعمائة فارسٍ، وعندما بلغ قرية شقندة[10] كمن في شجر أرز كثيف على ضفة النهر، وأرسل الأدلاء ليأتوه بخبر المدينة، فجاؤوه براعي

(1) طليطلة: مدينة أزلية من بناء العمالقة، تقع على شاطئ نهر تاجه، كانت دار ملك الأندلس عند الفتح، وهي مركز لجميع الأندلس، تتصل بوادي الحجارة ويقال أنها مدينة أصحاب الكهف، وتسمى مدينة الأملاك، ملكها اثنين وسبعين لسان. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص40؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص130.

(2) شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، ص128.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص18؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص260.

(4) قرطبة: قاعدة بلاد الأندلس، وأم مدنها، ودار خلافتها، تطل على جزيرة شلطيش. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص541.

(5) مالقة: مدينة حسنة حصينة عليها سور من حجر ويعلوها جبل يسمى جبل فارة تقع على شاطئ البحر جنوب قرطبة. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص116؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص177.

(6) غرناطة: أصلها أغرناطه بالألف ولكن أسقطها العامة، ومعناها الرمانة، وهي أقدم مدن كورة إلبيره، يشقها نهر جدارة المعروف قديماً بنهر قلزم. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص195.

(7) تدمير: من كور الأندلس تتصل بأحواز كورة حيان، تقع شرقي قرطبة، سميت باسم ملكها تدمير، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص19؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص63.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص269؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص19.

(9) مغيث الرومي: بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سبى من الروم بالشرق وهو صغير فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد فأصبح مولاً له، نشأ في دمشق ولم يذكر له مولد ولا وفاة، أنجب من الولد حتى صار منه بنو مغيث الذين سادوا وعظم بيتهم في قرطبة، فكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية. المقري: نفح الطيب، ج3، ص12-13.

(10) قرية شقندة: تقع على بعد ثلاثة أميال من قرطبة بعدوة نهر قرطبة وقبالة قصرها، بالقرب من قرية طرسيل. الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص104.

غنم، فسأله مغيث عن قرطبة، فأخبره بأن معظم أهلها رحلوا عنها إلى طليطلة، وبقي فيها أميرها وأربعمائة فارس وضعفاء القوم، ثم سأله عن سورها، فأخبره أنه حصين عالٍ لكن يوجد به ثغرة يمكن الدخول إلى المدينة منها، وفي الليل سار مغيث بمن معه، فعبروا النهر، وتسلقوا السور على حين غفلة من الحراس الذين اختبأوا هرباً من البرد والمطر، وفتحوا الأبواب ليقتحم المسلمون المدينة ويستولوا عليها عُنوة؛ وتحصَّنَ مَلِك المدينة ومَنْ معه من الفرسان ثلاثة أشهر في كنيسة غربي المدينة حتى ضاقوا ذرعاً بعدما تمكن مغيث من قطع الماء عن الكنيسة، بعد اكتشافه للقناة التي تغذيها، فحاول ملك المدينة الفرار فطارده مغيث وقبض عليه فكان الملك الوحيد الذي أسر من بين ملوك الأندلس، عاد مغيث إلى الكنيسة ومعه الملك؛ ليستسلم جميع من بقي في الكنيسة[1]، ويذكر المقري: أن مغيث دعاهم إلى الإسلام أو دفع الجزية فرفضوا فأحرقهم جميعاً فسميت كنيسة الحرقى[2]، وفي موضع آخر يقول: أن مغيث أخرجهم من الكنيسة بعد أسر مَلِكهم وضرب أعناقهم جميعاً فسميت كنيسةً الأسرى[3]، وبذلك خضعت قرطبة للسيادة الإسلامية وأصبحت حاضرة الخلافة وقاعدة بلاد الأندلس.

كذلك تمكن الجيش المتجه جنوباً من السيطرة على غرناطة، وإلبيرة[4]، ومالقة، وريَّه[5]، "بجهد قليل ودون مشقة، وذلك بعد فرار معظم سكانها إلى الجبال المجاورة وإلى مدينة طليطلة، ولعل ما نسب إلى جيش الإسلام من حوادث ذبح وطبخ وحرق للجنود القوط، يفسر لنا مدى السهولة وقلة الجهد والمشقة في فتح هذه المدن[6].

(ب) فتح تدمير:

وصل الجيش الذي سار شرقاً إلى تدمير وكانت حصينة منيعة، وملكها داهية مجرب التقى بالمسلمين ونشبت بينهم معركة شديدة قتل فيها معظم رجاله، فانسحب بمن تبقى معه إلى المدينة،

---

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص20؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص269؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص261-262.

(2) عدم قبول هذه الرواية التي ينقلها المقري وذلك لمخالفة الفعل للشريعة الإسلامية ومنافاته لأبسط حقوق الإنسان.

(3) القزويني: آثار البلاد، ج1، ص227؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص63.

(4) إلبيرة: مدينة كبيرة في الأندلس، تتصل بأعمال كورة قبرة، تقع بين الجنوب والشرق من قرطبة عُرفت قديماً بإسم سنام الأندلس. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص244؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص13.

(5) ريَّه: من كور الأندلس تقع جنوب قرطبة، ومتصلة بالجزيرة الخضراء، نزلها جند الأردن وهي كثيرة الخيرات. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص116.

(6) مجهول: أخبار مجموعة، ص21، 22؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص142؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص263؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص258.

وتحصن بها، ثم عرض النساء على الأسوار في أثواب الرجال، وأوقف معهن من بقي من جيشه في وجه المسلمين موهماً لهم كثرة جنده، ثم ذهب بنفسه على أنه رسول فعقد معهم صلحاً على نفسه، وعلى أهل بلده، فأنقذ بذلك مدينته من السبي والجزية برجاحة عقله وحسن تدبيره، ثم كشف لهم عن نفسه، وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها إلا النساء وعدداً قليلاً من الجند، فندم المسلمون على ما أعطوه من صلح لتدمير، ولكنهم مَضَوا على ما أعطوه وفاءً له[1]، وهي عادةُ أهل الإيمان والإسلام كما قال (ﷺ): "المسلمون عند شروطهم"[2] وهذا يوضح لنا مدى التزام المسلمين بعقودهم ومواثيقهم التي يقطعونها على أنفسهم حتى ولو كانت في صالح أعدائهم.

دخلت تدمير كغيرها من مدن الأندلس في سيادة الدولة الإسلامية، وتركوا فيها بعض الجيش وسارت الأغلبية لتلحق بجيش طارق بن زياد المتوجه إلى طليطلة.

(ج) فتح طليطلة وعدد من المدن:

سار طارق بن زياد بجيشه إلى طليطلة، ولكنه وجدها خاليةً إلا من اليهود وقليل من النصارى، فاستولى طارق بن زياد على المدينة، وأعطى الأمان لمن بقي من سكانها، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية وجعل على إدارتها مطرانها السابق (أوباس أو أولماس)[3] وترك فيها عدداً من رجاله، ثم سار خلف مَنْ هرب متجهاً إلى وادي الحجارة[4]، ثم سلك طريقاً سُمي به "فج طارق"، وبلغ مدينة خلف جبال أستورية تسمى المائدة[5]، فسيطر عليها، ثم زحف إلى مدينة أمايا[6] واستولى عليها، وتابع طارق زحفه مطارداً فلول القوط مخترقاً جليقية[7]، حيث

---

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص22؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص269؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص143.

(2) انظر: ابن حجر: فتح الباري، ج4، ص452.

(3) أوباس: مطران المدينة قبل الفتح وأقر بعد الفتح وهو أخا الملك غيطشة حاكم الأندلس. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص370؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج1، ص46؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص51.

(4) وادي الحجارة: تعرف بمدينة الفرج، وهي مدينة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات، تفصل شلب عن طليطلة. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص503؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص193.

(5) مدينة المائدة: من أحواز طليطلة، سميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة إلى سليمان بن داود عليه السلام ويثير حولها النصارى كثير من القصص والأساطير. للمزيد انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص239 وما بعدها؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص145؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص179.

(6) ذكر المدينة صاحب أخبار مجموعة وبين أن طارق أصاب منها حلياً ومالاً وذكرها ابن الأثير باسم مايه. انظر: مجهول، ص24؛ الكامل، ج1، ص269.

(7) جليقيه: مدينة ساحلية تقع على المحيط، تقع شمال الأندلس وسميت بذلك نسبة إلى ابن يافث بن نوح عليه السلام. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص157.

تحصنوا في جبالها الشامخة، وفتح (قشتالة[1] وليون[2])، حتى وصل إلى (أسترقة[3])، وأشـرف على ثغر خيخون[4]، فكان نهاية زحفه وخاتمة فتوحاته بعد أن دوَّخَ أعداءَ الله، ولم يوقفـه عـن الاستمرار في عملياته العسكرية[5] إلا برد الشتاء القارس وتقلبات الطقس العاصف، فعـاد إلـى طليطلة[6]؛ ليكمل عملياته بعد أن يأخذ جيشه قسطاً من الراحة وينقضي فصل الشتاء.

مما سبق يتبين لنا أن جيش المسلمين أثبت مقدرة ومهارة عالية على النزول إلى مدن الأندلس ومعاقلها وقلاعها، ويحقق انتصارات سريعة على جيش القوط المنهزم على الرغم من أن القوات الإسلامية كانت تواجه جيش دولة وصاحب أرض وراءه رصيد بشري ومادي هائل.

واستطاع طارق بن زياد تشتيت جيش القوط وتمزيق دولتهم، قبل أن يتمكنوا من توحيـد صفوفهم واستجماع قواهم وتعزيز قدراتهم للوقوف في وجه جيش الفاتحين، كما تمكن طارق من إثارة الرعب في نفوسهم، وجعلهم يقفون مذهولين وهم يرون القوات الإسلامية في كل مكان في وقت واحد[7].

- **الخدع والحيل والمهارات التي استخدمها المسلمون في فتحهم للمدن تتمثل في:**

1- ملاحقة طارق لفلول القوط المنهزمين باتجاه إستجه: مهارة هدف منها طارق عـدم إعطـاء فرصة للعدو لإعادة ترتيب قواته، وكذلك إنهاء جيوب المقاومة في المنطقة التي تقـيم فيهـا قواته وتحكم فيها تواجدها، حيث أن خطة طارق كانت تقوم على الزحـف التـدريجي فـي ملاحقته للعدو، فلا يمكن التقدم قبل تأمين خطوط السير للقوات المقاتلة.

---

(1) قشتالة: من أقاليم الأندلس وهي قصبة طليطله، تقع شمال جبال الشارات. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص352؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص161.

(2) ليون: مدينة أندلسية تقع بين أشتورش وقشتالة أسسها الرومان في القرن الميلادي الأول وتسمى أيضاً لاون وهي قاعدة مدن قشتالة تقع على نهر رودنو. الحميري: صـفة الجزيـرة، ج2، ص731؛ بـك: معجـم الخريطـة، ص102.

(3) أسترقة: مدينة صغيرة متحضرة قريبة من مدينة ليون. بك: معجم الخريطة، ص10.

(4) خيخون: مدينة على خليج بسكونيه "غسقونيه". عنان: دولة الإسلام، ج1، ص51.

(5) أثار المؤرخون كثير من الشبهات والأقاويل حول وقف طارق لعملياتـه العسـكرية والتـي جـانبوا فيهـا الصواب، في حين أن الأمر طبيعي في المعارك والحروب أن يأخذ الجند فرصة وراحة ليعودوا إلى القتـال بروح وحيوية جديدة. للمزيد انظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35؛ مجهول: أخبار مجموعـة، ص24، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص143؛ ابن خلدون: تـاريخ، ج4، ص150؛ المقـري: نفـح الطيب، ج1، ص233؛ سوادي: طارق بن زياد، ص105؛ خفاجي، شرف: معارك فاصلة، ص140.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص269؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص26؛ ابن عذاري: البيـان المغـرب، ج1، ص143؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص51.

(7) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص36.

2- ما أثير حول الجيش الإسلامي، من قتل وطبخ وأكل للجنود القوط: **خدعة** أراد منها طارق إثارة الرعب والهلع في نفوس المقاتلين القوط، وقد لعبت هذه الإشاعة دوراً كبيراً في فتح المدن الأندلسية التي كان يجدها المسلمون شبه خالية في كثير من الأحيان، خشية أن يفعل بهم ما فعل بأصحابهم[1].

3- توزيع الجيش على أربع جهات: مهارة و**خدعة**، حيث أراد طارق أن يوهم أعداءه ويربك حساباتهم، فلا يستطيعون تجميع أنفسهم في جبهة واحدة فهم يرون المسلمين في كل ناحية في وقت واحد، كذلك فيه مهارة من طارق حيث استثمر القادمين إليه من المغرب فوزعهم على الفرق، ليحقق مبدأ الاقتصاد بالقوة، وهو مبدأ اعتمده طارق في خطته خلال انتشار قواته فتوزيعه للجيش أفرز لديه أربعة جيوش.

4- استجابة طارق (ليوليان) بتوزيع الجيش: يدلنا على حجم الثقة التي أصبحت بين طارق وحليفه يوليان واستغلاله لأصحاب يوليان، ليكونوا أدلاء لفرق جيشه على طرق ومسالك البلاد وعورة العدو، وهذا يرشدنا إلى كفاءة هذا القائد ومقدرته على اتخاذ القرار السليم واستغلال الفرص وعدم إضاعتها وهذا مرتبط بالاستراتيجية القتالية والخطة العسكرية التي اعتمدها طارق بن زياد والقائمة على عدم تحريك القوات قبل المعرفة التامة بالعدو وتحركاته وطبيعة منطقة القتال وساحة المواجهة.

5- عدم توجه مغيث بجيشه إلى قرطبة مباشرة: مهارة من هذا القائد الذي أراد أن يجمع المعلومات عن منطقة القتال والجيش المدافع عن المدينة فأرسل الأدلاء؛ ليأتوه بأحد سكان المدينة ليسمع منه، كذلك إرساله لأتباع يوليان، دون أن يرسل أحد من المسلمين فيه حكمه من هذا القائد حتى لا ينكشف أمرهم.

6- إبقاء مغيث للراعي مرافقاً للجيش حتى انتهاء المهمة: حسن تدبير من مغيث؛ حتى لا يعود إلى قومه فيخبرهم الخبر، وكذلك ليرشدهم على الطرق والمسالك وعورة المدينة، ويتضح ذلك عندما لم يتمكّن الجيش من اكتشاف الثغرة في السور، فعادوا إلى الراعي الذي أرشدهم إليها[2].

7- قيام مغيث بمراقبة المدينة ورصد تحركات حاميتها قبل مهاجمتها: دلالة كفاءة عسكرية، كذلك الكمن في أشجار الأرز الموجودة على ضفاف النهر، يدل على مهارة مغيث في اختيار المكان الذي يكشف تحركات العدو ويوفر غطاء للجيش ويبعده عن أنظار سكان

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص19؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص268.
(2) مجهول: أخبار مجموعة، ص20.

المنطقة، كما أن في هذا الأسلوب **حيلة** و**مكر** من جانب مغيث؛ ليستطيع أن يضبط من يدله على عورة المدينة.

8- اختيار ساعة الهجوم على المدينة في الليل ووقت سقوط المطر: حِكمة من مغيث وذلك حتى لا ينكشف أمرهم وتستعد حامية المدينة لمواجهة جيش المسلمين، فالليل ساتر لتحرك الجيش والمطر يمحو آثار التحرك، وهذا يعطينا فكرة عن أسلوب قتال المسلمين القائم على مبدأ المباغتة والمبادأة في القتال والزج بالمقاتلين داخل صفوف الخصم.

9- تَرَجُّلُ الجيش قبل الوصول إلى سور المدينة بثلاثين ذراعاً: **خدعة** هدف منها المسلمون عدم إحداث ضجيج وصوت من شأنه أن يلفت انتباه حامية المدينة ولتحقيق مبدأ المفاجأة للخصم.

10-تَسَلُّقُ رجلٍ واحدٍ لسورِ المدينةِ: **حيلة** الهدف منها التأكد من سلامة المكان ومناسبة الزمان للاقتحام وبعد هذا الإجراء تَمَّ تَسلُّق عددٍ كافٍ من الجيش؛ ليكسر الأقفال ويفتح الباب لدخول بقية الجيش.

11-تعقب حامية المدينة وحصارها في الكنيسة حتى تم القضاء عليها: يدلنا على أسلوب القتال المعتمد عند المسلمين وهو تصفية كل أثر للمقاومة في المناطق التي تتواجد فيها القوات الإسلامية وذلك حتى لا يستجمع الأعداء قوتهم وينقضوا على القوة المتبقية في المدينة.

12-قطع الماء الواصل للكنيسة التي تحصَّن فيها مَلِك المدينة وجيشه: **خدعة** هدفت إلى تشديد الحصار وإجبار الأمير وجيشه على الاستسلام والخروج من الكنيسة وهذا ما حدث.

13-إرسال مغيث أحد رجاله ليكمن بجوار الكنيسة ليأتيه بأخبارها(1) فيه العديد من **الخدع**:

أ. اختيارُ مكانِ الكمين وهو شجرة قريبة من الكنيسة وذلك ليسهل رصد المكان.

ب. تحديد هدف الكمين وهو أخبار مَنْ في الكنيسة، أو إحضار مَنْ يُقَدِّم معلوماتٍ عن المتواجدين في الكنيسة.

ج. إرسال رجل واحد لتنفيذ المهمة وذلك حتى لا ينكشفُ أمرُ الكمين.

د. فرار الرجل بعد مكثه عدة أيام داخل الكنيسة أتاح له الاطلاع على أسرار الكنيسة وطرق وصول الأمداد لها والتعرف على قناة المياه المغذية للكنيسة، الأمر الذي ترتب عليه إغلاق القناة ليموت مَنْ في الكنيسة عطشاً أو يستسلموا.

14-حرق أو قتل المتواجدين في الكنيسة بعد دعوتهم للإسلام: سلوك عسكري أراد به مغيث أن يثير الرعب والفزع في نفوس المقاتلين القوط على قاعدة قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ

(1) قصة الرجل كاملة عند المقري: نفح الطيب، ج1، ص262-263.

خَلْفَهُم﴾[1]، ويدلنا على المنهج الذي اتبعه المسلمون عند فتح المدن أنه إذا خضعت لهم مدينة دون قتال لم يعتدوا على سكانها في مالهم ولا دينهم، ولكن إذا ما أصرت على القتال فإنهم لا يعطون أي نوع من أنواع الأمان[2].

15-تَرْك عددٍ قليلٍ من الجند المسلمين على حراسة المدن مع إضافة اليهود إليهم في بعض المدن[3]: مهارة و**خدعة** الهدف منها التغلب على قلة عدد جيش المسلمين المستمر في فتح المدن، كذلك فيه تجنيب اليهود من المشاركة في العمليات القتالية مع القوط؛ لأنهم سوف يشعرون أنهم أصحاب سيادة بعدما كانوا مهمشين إبان حكم القوط[4].

16-وفاءُ المسلمين بعهدهم لمَلِك تدمير بالرغم من خديعته للمسلمين: سلوك اعتاد عليه الفاتحون المسلمون وذلك امتثالاً لمبادئ الدين الإسلامي التي تحث المسلمين على الوفاء بعقودهم وعهودهم قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[5].

أما الخدع التي قام بها ملك تدمير تمثلت في الآتي:

أ. نشرُ النساءِ بملابس الرجال على السور أمام جيش المسلمين: خدعة ومهارة، أراد منها "تدمير" أن يُظهِر كثرة المدافعين عن المدينة، ويدفع المسلمين للصلح معه.

ب. تخفِّي تدمير ملك المدينة بزي الرسول، وذهابه بنفسه للتفاوض مع المسلمين: **خدعة** الهدف منها تحسين شروط الصلح والوصول إلى صفقة يحافظ فيها على نفسه ومدينته وشعبه.

بناءً على ذلك يتضح لنا كيف تمكَّنَ طارق بن زياد من استثمار انتصاراته الأولى في وادي لكة وشذونه للتحرك باتجاه المدن والمعاقل الأندلسية المنتشرة في ظرف قياسي، وبقلة العدد والعُدة فما كان له إلا أن يقوم بذلك لولا الدافع القوي عند جنده برفع راية الإسلام ونشر قيم وسماحة وعدالة الإسلام في تلك الربوع وما توفر لدى قائدهم طارق ابن زياد من إخلاصٍ وحكمةٍ وحنكةٍ وخدع وحيل ومهارة قتالية عالية استطاع أن يوظفها في ساحة القتال.

---

(1) سورة الأنفال، الآية، ج10، الآية (57)؛ حيث الخطاب موجه للنبي بأن يفعل بالمشركين فعل يكون مشرداً لمن خلفهم من نظرائهم.. انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص31.

(2) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص36.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص22.

(4) للاطلاع على حقيقة دور اليهود في مساعدة المسلمين في حراسة المدن انظر: الخالدي: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص117 وما بعدها.

(5) سورة المائدة، آية 1.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية لقوات موسى بن نصير

وصلت أخبار الفتح والانتصارات التي حققها طارق بن زياد على جيوش القوط إلى القائد موسى بن نصير فاستبشر وفرح بذلك فأرسل إلى الخليفة في دمشق الوليد بن عبد الملك يخبره ويبشره بأمر هذه الفتوحات قائلاً له: "إنها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر"[1].

ويذكر ابن قتيبة: أن الوليد بن عبد الملك حينما قرأ كتاب موسى بالفتح سجد شكراً لله ولما رفع رأسه جاءه كتاب آخر بفتح جديد فسجد مرة أخرى ثم رفع رأسه فأتاه كتاب بفتح آخر فخر ساجداً حتى ظن الراوي أنه لا يرفع رأسه أبداً[2]، وذلك كإشارة لتوالي الانتصارات والفتوحات لجيش الإسلام في الأندلس.

وأمام اتساع الفتوحات بدأ موسى بن نصير قلقاً على جيش الإسلام في الأندلس خشية الالتفاف عليه من قبل القوط، وفي هذه الأثناء وصلته رسالة طارق تطلب منه العون والمدد.

فنادى موسى بن نصير في الناس وجهز جيشاً قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل أو يزيد ليعبر بهم إلى الأندلس لنجدة طارق بن زياد[3].

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص241.

(2) الإمامة والسياسة، ج2، ص239.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص25؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص143؛ المقري: نفح الطيب، ج8، ص269.

أولاً- الخدع العسكرية لقوات موسى بن نصير في فتح المدن الأندلسية:

وصلت رسالة طارق بن زياد إلى قائده موسى بن نصير، والتي يطلب فيها المدد والغوث قائلاً: "إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث[1] فنادى موسى بن نصير بالناس وجهَّز جيشاً قوامه ثمانية عشر ألفاً أو يزيد، وعبر بهم مضيق جبل طارق سنة 93هـ=712م[2] ونزل بموضع نسب إليه "جبل موسى"[3] وفي الجزيرة الخضراء وضع خطته للزحف إلى المدن الأندلسية، حيث اقتضت الخُطَّة السير في طريق غير الذي سار فيه طارق، حيث قال للأدِلاَّء من أتباع يوليان: "ما كنتُ لأسلكَ طريق طارق"[4] فقال له الأدلاَّء: "نحن نَدُلُّك على طريق هو أشرف من طريقه، ومدائنَ هي أعظم خطراً من مدائنه، لم تُفْتَح بعد يفتحها الله عليك"[5].

وكان موسى بن نصير يهدف من وراء ذلك بسط السيادة الإسلامية على مدن جديدة، وتلافي الخطر الذي قد ينجم عن الثغرات الخلفية لعساكر طارق بن زياد وكتائبه المنتشرة في أنحاء البلاد، ومحاولة الالتفاف عليه من تلك المدن التي لم تصلها قوات طارق، وبالتالي تشكل خطوط إمداد لقوات القوط أو الثائرين في المدن وليس كما ذهب بعض المؤرخين إنه التعالي عن عبور الطرق التي مهدها مولاه طارق بن زياد من قبله[6].

(أ) فتح مدينة شذونة وقرمونية:

بعد وضع الخطة وتحديد الطريق الذي سيسير فيه جيش موسى بن نصير حثَّ (يوليان) موسى بن نصير على الإسراع في زحفه باتجاه المدن الأندلسية، نظراً لمحاولة بعض

---

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص238.

(2) مجهول: أخبار مجموعة، ص24؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص143؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص269.

(3) جبل موسى: مكان بالأندلس يقع بالقرب من الجزيرة الخضراء، ويقابل سبتة من جهة الغرب يقع على بعد ميلين منها. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص528.

(4) بناءً على هذه العبارة لموسى بن نصير اختلف المؤرخون وتناقضت الروايات حول السبب الذي دفع موسى لدخول الأندلس، فمنهم مَنْ اتهمه بالحسد على ما حققه طارق، ومنهم مَنْ ذهب إلى نقمته على طارق بسبب مخالفته للأوامر، ومنهم مَنْ قال: أنه ذهب ليقتسم المجد والغنائم مع طارق، وبالغوا أيضاً في طريقة تعامل موسى بن نصير مع طارق. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص24؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص143.

(5) مجهول: أخبار مجموعة، ص24؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص269.

(6) مجهول: أخبار مجموعة، ص24؛ النويري: نهاية الأرب، ج24، ص26؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص269؛ عنبتاوي: حكايتنا في الأندلس، ص207.

المدن الثورة على الحاميات الإسلامية الموجودة فيها[1] انطلق موسى بن نصير بجيشه ويرافقه الأَدِلَّاء من أعوان يوليان من الجزيرة الخضراء متجهين شمالاً بجانب الساحل، مبتدئاً بمدينة شذونة[2] فاستولى عليها عُنوةً وبقليل جهد، ثم سار إلى مدينة قرمونية الحصينة، يقول صاحب أخبار مجموعة "ليس بالأندلس أحصن منها ولا أبعد من أن ترجى بقتال أو حصار"[3] حاصر المسلمون المدينة ورفض أهلها الاستسلام، فقال أصحاب يوليان لموسى: أن هذه المدينة لا تؤخذ إلا **بالمكر** والخديعة، فوجَّه إليها أتباع يوليان وطرقوا بابها على أنهم فلول من جيش البلاد، فأدخلوهم مدينتهم، وفي الليل أرسل موسى لهم الخيل ففتحوا لهم باب المدينة فهجموا على الحراس وقتلوهم واستولى المسلمون على المدينة، **بالمكر** والخديعة وقليل جهد[4].

(ب) فتح مدينة أشبيلية[5] ومدينة ماردة[6]:

بعد تَمَكُّن موسى بن نصير من إخضاع مدينة شذونة وقرمونية، توجه بجيشه غرباً إلى مدينة أشبيلية، وهي من أعظم مدن الأندلس، حيث كانت تمثل العاصمة الدينية للأندلس، إذ لم تكن السيطرة عليها بالأمر السهل وذلك لمناعتها وتحصينها، فموقعها على نهر الوادي الكبير[7] ساعد حاميتها على التصدي للمهاجمين والصمود في وجوههم، لكن الله فتحها للمسلمين بعد حصار استمر عدة أشهر[8]، فأقام موسى بن نصير فيها حاميةً إسلامية، بعد أن ضم لهم يهود المدينة، -والذين لم يتعد دورهم عن ذلك-[9].

---

(1) خفاجي، شرف: معارك فاصلة، ص141.

(2) عند ابن الأثير إنه بدأ بمدينة ابن السليم وهي مدينة شذونة ففي بعض العصور كانت شذونة تُسمى ابن السليم. انظر: الكامل، ج4، ص269؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص466.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص24.

(4) مجهول: أخبار مجموعة، ص24؛ ابن الأثير: ج4، ص269؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص144.

(5) أشبيليه: مدينة قديمة أزلية ، تقع على شاطئ نهر قرطبة المعروف بالوادي الكبير، يطل عليها جبل الشرف، كانت عاصمة الأندلس قبل قدوم القوطيين، وتعتبر من أعظم مدن الأندلس؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص195؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص18.

(6) ماردة: مدينة قريبة من قرطبة ناحية الغرب، وكانت منزلاً للملوك الأوائل، تقع جنوبي نهر بطليوس. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص216؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص176.

(7) نهر الوادي الكبير: ويأتي ذكره في بعض المصادر باسم النهر الكبير وفي أخرى باسم نهر قرطبة. المغربي: الجغرافيا، ج1، ص49؛ الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص561.

(8) يذكر صاحب كتاب معارك فاصلة: أن فتح المدينة كان على يد سكانها بعدما اشتد عليهم الجوع بسبب حصار المسلمين لمدينتهم، وغافلوا الحراس ليلاً، وفتحوا الأبواب لجيش المسلمين ليدخلوها فاتحين. خفاجي: شرف، ص142.

(9) مجهول: أخبار مجموعة، ص25؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص269؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص144.

تابع موسى بن نصير مسيرته إلى مدينة ماردة والتي كانت من أمنع مدن الأندلس، وأشدها تحصيناً وكبَّدت جيشَ الإسلامِ خسائرَ فادحةً في الأرواح قبل أن يتمكنوا من اقتحام أسوارها المنيعة، حيث خرج جيشها المكون من فلول جيش القوط المنهزمين، لملاقاة جيش المسلمين على بعد ميل من المدينة، وتمكن جيشُ المسلمين من دحرهم إلى المدينة، وبعد المعركة طاف موسى بن نصير بالمدينة فوجد في سورها حُفراً كانت مقاطعَ للصخر فجعل جنوده يكمنُون في الحفر ليلاً، وفي الصباح زحف إليهم موسى، فخرج جيش القوط كخروجهم السابق، فخرج عليهم الجنودُ المسلمون من كمائنهم فقتلوا من القوط عدداً كبيراً، ولجأ مَنْ بقي منهم إلى المدينة، يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: ""وهي مدينة حصينة لها سور لم يبنِ الناس مثله"[1]، فحاصرهم موسى قُرَابة الستة أشهر، وحاول جيشُ المسلمين أن يقتحم المدينة من خلال دبابة[2] صنعها المسلمون؛ لينقبوا من خلالها سور المدينة، ولكن حامية المدينة ثارت عليهم، وقتلوا مَنْ كان في الدبابة فَسُمِّيَ ذلك الموضع بُرج الشهداء، فقال أهل المدينة: "قد كسرناه فإنْ كان يوماً مجيباً إلى الصلح فاليوم، فاطلبوه إليه"[3].

خرجت رسل المدينة تطلب الصلح من موسى بن نصير، فوجدوه أبيضَ الرأس واللِّحية، فتفاوضوا على شيء لم يتم الاتفاق عليه، فرجعوا إلى المدينة دون عقد اتفاق، ثم عادوا في يومٍ آخر فألفَوه أحمر الرأس واللحية، فعجبوا منه، ولم يتم لهم أمر الصلح، فرجعوا إلى المدينة مذهولين مما رأوه، فعادوا في اليوم الثالث وكان يوم عيد الفطر، فوجدوه قد سَوَّد لحيتَه ورأسه، فرجعوا إلى أهل المدينة، وقالوا لِمَنْ فيها: "يا حمقاء، إنما تقاتلون أنبياء يتخلَّقون كيف شاؤوا، ويتصورون في كل صورة أحبوا، كان ملكهم شيخاً فقد صار شاباً، والرأي أن نعطيه ما سأل فما لنا به طاقة"[4].

فعادوا إلى موسى وصالحوه على ما أراد ودخل المسلمون المدينة، وأقاموا فيها حاميةً مسلمةً[5]؛ ليتبين لنا حجم المعاناة التي تكبَّدها المسلمون في فتحهم لبعض المدن الأندلسية الحصينة والمنيعة والتي ما كان لهم أن يفتحوها بدون **مكر** ودهاءٍ وحُسْنِ تدبير.

---

(1) مجهول: ص25.

(2) الدبابة: هي شيء كان يتخذ في الحروب، يدخل في جوفه الجنود ثم يدفع في اصل حصن فينقبونه وهم في داخلها ويعتبر عبد الله بن جعدة أول من صنع الدبابة، صنعها من جذوع النخل، وألبسها جلود الإبل ثم حصل تطوير عليها فأصبحت تغطى بصفائح الحديد ولها من تحتها عجل تحرك به، ويدخل تحتها خلق عظيم من المقاتلين ولها رأس عظيم، برقبة شديدة من حديد، ينطح بها السور بشدة عظيمة فتهدمه بتكرار نطحها، ثم أصبحت أربع طبقات من خشب ثم رصاص، ثم حديد، ثم نحاس، وهي مما يُكاد به من السلاح. انظر: الأصبهاني: الأغاني، ج5، ص27؛ النحوي: المخصص، ج2، ص46.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص26.

(4) مجهول: أخبار مجموعة، ص26؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص270.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص26؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص144.

(ج) فتح مدينة سرقسطة[1] وعدد من المدن[2]:

أثناء حصار موسى بن نصير لمدينة ماردة، ثار أهل أشبيلية وجاء لنجدتهم بعض أبناء قومهم من مدينتي لبلة[3] وباجة[4]، وتكالبوا على حاميتها من المسلمين فقتلوا منهم ثمانين رجلاً[5]، بلغ الخبر إلى موسى بن نصير، وبمجرد أن انتهى من فتح مدينة ماردة سارع في إرسال ابنه عبد العزيز لتأديب أهل أشبيلية وإعادة المدينة للسيادة الإسلامية، فتمكن عبد العزيز[6] من المدينة ثم زحف إلى لبلة وباجة فملكها وأدخلها تحت سيطرة الدولة الإسلامية، ثم عاد إلى أشبيليه ليقيم فيها[7].

سار موسى بن نصير إلى طُلَيْطِلة بعد أن اطمئنَّ على إعادة أشبيليةَ إلى الحكم الإسلامي، وذلك لمقابلة طارق بن زياد والاتفاق على خطة موحدة لفتح ما تبقى من مدن الأندلس، تقابل القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد في كورة طلبيرة[8] ومن هناك توجها

---

(1) سرقسطة: مدينة شرقي الأندلس، قاعدة الثغر الأعلى، في شرقيها جبل ألبرت الفاصل بين جزيرة الأندلس وأرض الفرنجة وهي على خمسة أنهر، بينهما وبين قرطبة مسيرة شهر وتُسمى البيضاء. المغربي: الجغرافيا، ج1، ص57؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص96.

(2) هذه المدن هي: لبلة وباجة وأربونة وادي درونة وجليقيه وغيرها من الحصون والمعاقل مثل أبنيون ولوذون.

(3) لبلة: تقع غرب الأندلس، وهي مدينة قديمة تقع على نهر لمنتس وتسمى الحمراء. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص301.

(4) باجة: من أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً تقع غرب الأندلس. الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص36.

(5) مقتل ثمانين مسلماً فقط دون أن يقتل أحد من اليهود من الأدلة التي ساقها الخالدي ليدلل على أن دورِ اليهود لم يتجاوز المساعدة في حماية المدن بعد فتحها. للمزيد انظر: اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص123.

(6) عبد العزيز بن موسى بن نصير: أمير فاتح، ولاه أبوه إمارة الأندلس، عند عودته إلى الشام عام 95هـ/714م، كان شجاعاً حازماً فاضلاً في أخلاقه وسيرته، وفتح عدد من مدائن الأندلس، قتل عام 97هـ=716م وهو يصلي الفجر. الزركلي: الأعلام، ج4، ص28.

(7) مجهول: أخبار مجموعة، ص26؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص145.

(8) بالغ بعضُ المؤرخين عند حديثهم عن مقابلة موسى لطارق مدعين أن موسى وَبَّخَ طارق وضربه بالسَّوْط وَهمَّ بقتله وسجنه فهذه افتراءات ما كان لقائد عظيم مثل موسى بن نصير أن يقوم بهذا السلوك مع قائد عظيم مثل طارق بن زياد. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص27؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص144؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، 18، ص351 "صاحب كتاب طارق بن زياد رد على هذه الافتراءات بشيء من التفصيل. انظر: سوادي، ص114 وما بعدها.

معاً لفتح سرقسطة وما حولها من الحصون والمعاقل، ففتحها الله عليهما وأوغلوا في البلاد، فما مروا بمدينة أو حصن إلا فتح عليهما، حتى وصلوا إلى أربونة[1] ثم انتهَوا إلى وادي ردونة فاقتحموا ما فيها من حصون ومعاقلَ فكان، أقصى ما وصلوا إليه ومنتهى أثرهم من أرض العجم، وقد ألقى الله الرُّعْبَ في قلوب أعدائهم فلم يهزم لهما جمعٌ قَطْ، ولم يعارضهما أحد إلا لطلب الصلح، حتى أن أهل جليقية جاؤوا يطلبون الصلح من موسى قبل أن يصل إليهم بجيشه[2].

أقام المسلمون حصوناً على وادي ردونة أمدوها بالسلاح والرجال؛ لتصبح ثَغْراً بين الأندلس وبلاد الفرنجة؛ لأن المسلمين اقتحموا أجزاء من بلاد غالة (فرنسا) وبدأت بين جيش المسلمين وجيش الفرنجة مناوشاتٌ ترتَّب عليها تأمين حدود الدولة الإسلامية من خلال إنشاء حصون وقلاع على حدود الدولتين[3].

(د) فتح مدينة مالقة وعدد من المدن الأندلسية[4]:

واصل موسى بن نصير تقدمه باتجاه المدن الأندلسية يفتحها واحدة تِلْوَ الأُخرى، يذكر ابن عذارى: "أن أساقفةَ الرومِ كانت تجد صفة موسى في كتبهم، فإذا رأوه قالوا: هو والله فأعطوه المعقل" توجه موسى شرقاً إلى مدن لاردة[5] وطركونة[6]وبرشلونة[7]، فسيطر عليها دون كبير جهد، وأصبحت تحت سيادة الدولة الإسلامية[8]، ثم وَجَّه ابنه

(1) أربونة: مدينة في طرف الأندلس، مقابل البحر المتوسط، وهي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص140.

(2) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص241-243؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص26-27، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص35؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص145؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص274.

(4) هذه المدن هي: مدينة لاردة وطركونة وبرشلونة والمفازة وغيرها من الحصون والقلاع مثل حصن بارو وحصن لك وصخرة بلاي. يقول المقري: "فلم يتبقى كنيسة إلا وهدمت ولا ناقوس إلا كسر وأطاعت الأعاجم.. إلى أن قال: فاتسع نطاق أرض الأندلس وخذل الشرك" نفح الطيب، ص276.

(5) لاردة: مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل بأعمال طركونة تقع على نهر سيقر. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص7.

(6) طركونة: مدينة قديمة على شاطئ البحر، تتصل بأعمال طرطوشة، تقع بين طرطوشة وبرشلونة بها نهر علان. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص23.

(7) برشلونة: مدينة على نحر البحر، والدخول إليها والخروج عنها من باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة وهي في القسم الثالث من الأندلس. الحميري، صفة الجزيرة، 18، ص43.

(8) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص150؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص233؛ الناصري: الاستقصاء، ج1، ص155؛ عنبتاوي، حكايتنا في الأندلس، ص28.

عبد الأعلى[1] لتأكيدِ السيادة الإسلامية على مدينة تدمير وغرناطة وريَّة[2] فتمكن منهما عبد الأعلى، ثم توجه إلى مدينة مالقة؛ ليفتحها، فامتنعت عليه فحاصرها حصاراً شديداً، وكان ملكها ضعيف الرأي، قليل الحكمة كان يخرج إلى بستان له بجانب المدينة طلباً للراحة من غُمَّةِ الحصار من غير رصدٍ أو حراسة، وصل الخبر لعبد الأعلى فأكمن له ليلاً في جنبات البستان عددٌ من فُرسانِه أصحاب رأيٍ وحَزْم، فظفروا به، وألقَوا القبض عليه وكان سبباً في فتح المدينة وسيطرة المسلمين عليها[3].

بدأ موسى بن نصير يَعُدُّ العُدةَ للزحف باتجاه جليقية؛ ليقضيَ على فلول القوط الذين تحصنوا في جبالها الشامخة، في هذه الأثناء جاء مغيث الرومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك، برسالة تأمره بوقف الفتح والعودة إلى دمشق[4]، طلب موسى من مغيث أن يمهله بعض الوقت؛ ليتمكن من القضاء على فلول القوط المتحصنين في جليقية ولفتح ما تبقى من القلاع والحصون، وافق مغيث على طلب موسى بن نصير، وانطلق موسى بن نصير باتجاه الشمال الغربي؛ لِيُخْضِعَ ما تبقَّى من مدن وحصون ومعاقلَ في تلك الجهة قبل أن يتوجَّه لمحاصرة فلول القوط في جليقية، ووجه طارق للزحف باتجاه الشمال؛ ليتمكنَ هو أيضاً من إخضاع ما تبقى من مدن في هذه الناحية، قبل أن تأتي الرسالة الثانية من الخليفة الوليد يستعجل فيها عودة القائدين موسى وطارق، لبَّى القائدان نداء أمير المؤمنين بالعودة إلى دمشق، ولكنهما تركا خلفهما بؤرةَ تَوَتُّر لعدد من فلول جيش القوط تحصنت في جبال جليقية الشامخة، يقول المقري: "إذ لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب إلا جليقية"[5] والتي شَكَّلت فيما بعد نُواةَ الثورةِ على الحكم العربي الإسلامي في الأندلس[6].

---

(1) عبد الأعلى بن موسى بن نصير: لخمي بالولاء، أميراً على نهج أبيه في الفضل والدين تنسب له فتح العديد من المدن الأندلسية.. للمزيد ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص405.

(2) هذه المدن كان قد افتتحها طارق ولكن توجيه عبد الأعلى لها ربما لحدوث اضطرابات فيها. انظر ص66 من البحث.

(3) المقري: نفح الطيب، ج2، ص275.

(4) اختلفت الروايات حول السبب الذي دفع الوليد بن عبد الملك لوقف الفتح فبعضها يقول: خشية الوليد أن يستقل موسى بالأندلس وبعضها يقول: ما وصل إليه الوليد من أمر الخلاف بين موسى وطارق فخشيته على المسلمين من الخلاف هو الذي دفعه لذلك وأخرى تقول: أن السبب ما وصل الوليد من أنباء عن اقتحام موسى لبلاد الفرنجة ليفتح القسطنطينية حتى يصل إلى عاصمة الخلافة في دمشق فخشي الخليفة على جيش الإسلام من التوغل في مجاهل تلك البلاد وهذا ما نُرجِّحه.. للمزيد: انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص229؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص151؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص234؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص55.

(5) نفح الطيب: ج1، ص275.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص145؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص276؛ عنبتاوي، حكايتنا في الأندلس، ص25؛ خفاجي، شرف: معارك فاصلة، ص147 وما بعدها.

يَتَّضِحُ مِمَّا سبق التعاون الرائع بين القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد لاستكمال فتح الأندلس، وأثر هذا التعاون في القضاء على المقاومة القوطية في الأندلس، باستثناء بقعة صغيرة من مدينة جليقية تحصَّن بها عدد بسيط من فرسان القوط، كانوا سبباً في تَرَعْرُع بذور المقاومة الأسبانية فيما بعد، وتسبَّبت في كثير من المشاكل والقلاقل لدولة الإسلام، وعليه يتبيَّن لنا أن قرارَ الوليد بن عبد الملك كان من أكثر القرارات خطأً وأقلها حكمةً في تاريخ الدولة الإسلامية، الأمر الذي كان يستدعي ترك المجال للقائدين لاستكمال مشروعهما الكبير والتي كانت الظروف مهيئة لتنفيذه(1).

ثانياً- الخدع والحيل التي استخدمتها قوات موسى بن نصير في فتوحاتها تتمثل في:

1- اختيار موسى بن نصير لطريق غير الذي سار فيه طارق بن زياد فيه فوائد عدة:

أ- تأمين لقواته وحفاظ على سلامتهم وذلك بتأمين طريق جديد لها في عمق البلاد.

ب-فتح مدن وقلاع وحصون جديدة غير التي فتحها طارق لذلك لا بد من السير في طريق جديد يؤدي إلى هذه المدن والقلاع والحصون.

ت-**خدعة** للقوط الذين رصدوا قدوم قوات موسى بن نصير وتوقعوا سيرهم في الطريق نفسه الذي سار فيه طارق ففاجأهم موسى بتغيير الطريق والزحف إلى مدن ومعاقل جديدة.

ث-قطع الطريق على أي محاولة للالتفاف على قوات طارق بن زياد قد يقوم بها بعض الثائرين الأسبان.

ومن هنا يتضح لنا أسلوب الحرب التشتيتية الذي سار عليه موسى بن نصير وطارق ابن زياد في قتالهم في الأندلس وكذلك نمط الهجمات الوقائية الذي هدفا من خلاله إرباك العدو وتشتيت جهوده.

2- استخدام الأَدِلاَّء من سكان البلد الأصليين: **خدعة** للأعداء وتعريف بعوراتهم، وبيان للطرق والدروب والمسالك التي يسير بها جيش المسلمين.

3- إرسال موسى بن نصير عدد من حلفائه الأسبان إلى مدينة قرمونية على أنهم فلولٌ منهزمون من جيش القوط: **خدعة** و**حيلة** لإدخال قوة مقاتلة إلى المدينة، حيث أنهم دخلوا المدينة بأسلحتهم وتمكنوا فتح باب المدينة لبقية الجيش، وما كان ليتحقق ذلك بغير هذه الطريقة وذلك لحصانة المدينة ومناعتها.

(1) عنبتاوي: حكايتنا في الأندلس، ص28.

4- إرسال موسى قوة أخرى من الخَيَّالة في الليل في اليوم نفسه: **خدعة** وحكمة، وذلك لأن إبقاء القوة لوقت أطول قد يُعرِّضهم لفضح أمرهم وبالتالي يُحرم المسلمون من دخول المدينة، كذلك إرسال قوة التعزيز ليلاً أي بعد نوم أهل المدينة وربما حاميتها؛ وذلك ليتسنى للمتواجدين داخل المدينة من فتح أبوابها بسهولةٍ ويُسر ودون مناوشات قد تُكَلِّفهم حياتهم وفضح أمرهم.

وعليه يتضح لنا الدور الهام والبارز (ليوليان) وأعوانه في التيسير والتسهيل على جيش الإسلام في فتح بعض المدن والمعاقل، ومن هنا يتبيَّن لنا أهمية الحلفاء والأعوان في أي معركة مع العدو ويفسِّرُ لنا حرص عدونا الصهيوني على إسقاط بعض أبناء شعبنا في وحل العمالة؛ ليحقِّقَ أهدافه بأقل الخسائر والتكاليف.

5- معاينة موقع القتال قبل بدايته: أمر مفيد للقائد للتعرف على بعض الثغرات ومميزات وخصائص المكان، حيث نجد موسى بن نصير قد اكتشف الحُفَرَ في سور مدينة ماردة بعد جولته الميدانية لموقع القتال، فجعل جنوده يكمنون في الحفر الموجودة في سور المدينة؛ لِيُشَكِّلَ عنصرَ مباغتة ومفاجأة للعدو وذلك لاستبعادهم أن يكمن المسلمين في تلك الحفر، كذلك في إرسال الجنود ليلاً ليكمنوا في الحفر فيه **خدعة** حتى لا ينكشف أمر الكمين، لذلك يجب على القائد أن يُنَفِّذَ خططه في سِرِّيَّةٍ وكتمان وبعيد عن أعين الأعداء ويستغل السواتر الطبيعية في تنفيذ مهامه القتالية.

6- قيام موسى بن نصير في الصباح بالزحف باتجاه مدينة ماردة **خدعة** الهدف منها: استدراج حامية المدينة للخروج لملاقاة جيش المسلمين كما فعلوا في اليوم السابق، وبالفعل خرج الأسبان وأصبحوا في مكان لا يستطيعون أن يرجعوا إلى المدينة، خرج لهم الجنود المسلمون من الكمين لِيُطْبِقوا عليهم، فقتل منهم المسلمون عدداً كبيراً.

7- ابتكار المسلمين لوسائلَ قتالية جديدة ليتغلبوا فيها على تطورات الميدان: **خدعة** للعدو لأن إدخال سلاح جديد على المعركة يعتبر من وسائل الكيد و**المكر** للأعداء(1) حيث صنع موسى بن نصير دبابة؛ ليحتميَ بها المسلمون عن عيون عدوهم ويتمكنوا من إنجاز مهمتهم في نقب سور مدينة ماردة.

8- عدم معرفة الأسبان للصبغة والحناء أعطى موسى فرصة لمخادعتهم والاحتيال عليهم، حيث أوهمهم في اليوم الأول أنه شيخ كبير ضعيف يميل إلى الصلح والموادعة، وفي اليوم الثالث صبغ لحيته وشعره باللون الأسود؛ ليوهمهم أنه شاب فتي قوي لديه الرغبة في القتال، فاستطاع

(1) اعتبر صاحب كتاب المخصص أن استخدام نوع جديد من السلاح في المعركة من وسائل الكيد والخديعة للعدو. النحوي: ج2، ص46.

موسى بهذه **الحيلة** أن يجعلهم ينزلون عند شروطه لاعتقادهم أنهم سيقاتلون أنبياء يستطيعون أن يتشكلوا ويتصوروا بناءً على طبيعة المرحلة.

9- قيام عبد الأعلى بن موسى بإرسال عدد من جنوده ليلاً؛ ليكمنوا داخل البستان الذي كان يرتاده ملك مدينة مالقة وليس خارجه: **خدعة** الهدف منها إلقاء القبض على ملك المدينة؛ ليجبروا أهل مالقة على فتح أبواب مدينتَهم لجيش المسلمين، فمكان الكمين ووقته أعطيا مؤشرات لنجاحه وذلك لتوفر الساتر الزمني والمكاني فوجود الكمين خارج البستان وفي النهار لتم اكتشاف الكمين، لذلك يتبين لنا أهمية المكان والزمان في تنفيذ الكمين، اعتبر ابن الأزرق أن تأخير الحرب إلى الليل أو لآخر النهار من **الخدع** التي تستخدم في المعارك[(1)].

10- الجهد القليل والسهولة الكبيرة في فتح عدد من المدن الأسبانية، يوضح حجم الدعاية والأخبار التي كان يبثها المسلمون في صفوف أعدائهم، مما أثار خوف شديد ورُعب كبير في نفوس أعدائهم ترتب عليه فتح هذه المدن والقلاع والحصون بأقل الأضرار، وكذلك مقدرتهم على استمالة بعض أهل البلد إلى جانبهم لبث ونشر هذه الأخبار، حيث اعتبرها ابن الأزرق من مكائد الحروب **وخدعها**[(2)].

وصل القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق قبل وفاة الوليد بأيام سنة 96هـ= 715م[(3)] ليسدل الستار على ملحمة رائعة من ملاحم الفتح الإسلامي، التي سطَّرها البطلان بتعاونهما المشترك، وفتوحهما التي جاءت متممة لبعضها، والتي استخدم فيها القائدان كل ما لديهم من إمكانات وقدرات ومواهب، واستندوا إلى خطط واضحة، وأهداف محددة، واستراتيجيات حربية وأساليب قتالية فرضتها طبيعة المعركة في أرض الأندلس، ليتمكن بذلك القائدان وبعد قتال استمر قرابة الأربع سنوات[(4)] من إحكام السيطرة الإسلامية على بلاد الأندلس بكاملها، فلم يتركوا بلداً أو حصناً أو معقلاً، إلا ورفعوا عليه راية الإسلام وأدخلوه في سيادة الدولة الإسلامية، باستثناء بعض الجيوب التي لم يتمكنوا من القضاء عليها، لتلبية دعوة الخليفة بوقف القتال والعودة إلى دمشق، ولكن اتَّخذ موسى بن نصير قبل الرحيل في ذي الحجة 95هـ=714م تدابير عسكرية وإدارية تضمن للوجود الإسلامي بقاءه، فجعل أشبيلية عاصمة ولاية الأندلس الوليدة؛ وذلك ليضمن تواصلها الجغرافي مع أفريقيا عبر البحر، كما جعل ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس؛ ليبدأ بذلك عصر الولاة[(5)].

---

(1) بدائع السلك، ج1، ص164.

(2) بدائع السلك، ج2، ص162-163.

(3) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص25؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص51.

(4) من دخول طارق بن زياد يوم الاثنين 5 رجب 92هـ=27 أبريل 711م حتى ذي الحجة 95هـ = أغسطس 714م وهو تاريخ عودة القائدين إلى المشرق الإسلامي.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص276-277.

المبحث الرابع

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الولاة[1]

لقد شكلت عودة موسى بن نصير، وطارق بن زياد إلى المشرق الإسلامي، وبداية ولاية عبد العزيز بن موسى فاتحة عهد جديد في تاريخ الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر الولاة[2]؛ واعتبروا أن طارق بن زياد وموسى بن نصير مهمتهم الرئيسة كانت الجهاد والفتح وتوطيد أركان الإسلام في الأندلس[3]، وكما يقول المقري: " وكلاهما لم يتخذا سريراً للسلطنة"[4].

تعاقب على حكم الأندلس في هذه الفترة الممتدة من عام 95هـ-714م إلى عام 138هـ-756م عشرون والياً[5]، تولى بعضهم الحكم من قبل الخليفة الأموي مباشرة، والبعض من قبل ولاة إفريقيا، والبعض تم اختياره من قبل أهل الأندلس وخاصة الجند، وأقرت الخلافة في دمشق أو حكام أفريقيا هذا الاختيار[6].

كان أهم ما تميز به عهد الولاة العمل على توطيد أركان دولة الإسلام في الأندلس بعد الفتح[7] وكذلك الصراع الداخلي بين مكونات المجتمع المسلم في الأندلس[8]، وبدء المقاومة

(1) أطلق هذا اللفظ على الفترة الأولى من الحكم الإسلامي في الأندلس بعد الفتح، وحكمها والٍ عرف بالأمير أو الوالي. انظر: المقري: نفح الطيب، ج1، ص298؛ الحجي: التاريخ الأندلسي، ص131؛ مكي: تاريخ الأندلس، ج1، ص63.

(2) بعض المؤرخين يذهبون إلى أن بداية عصر الولاة يبدأ من دخول طارق بن زياد الأندلس، كما نقل ذلك المقرى عن ابن حيان. انظر: نفح الطيب، ج1، ص299؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص233.

(3) المصادر تكاد تجمع أن عصر الولاة يبدأ من ولاية عبد العزيز بن موسى. انظر: ابن قتيبة: الإمامة، ج2، ص261؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص2؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص270؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص11؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص148؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص298.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص298.

(5) لمزيد من الاطلاع حول أسماء الولاة في هذه الفترة انظر الملاحق جدول رقم (5).

(6) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص37؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص120؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص234، 299.

(7) الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص2، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص149.

(8) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص42؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص3؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص121؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص275.

الأسبانية للحكم الإسلامي[1]، ومهاجمة بلاد الفرنجة "فرنسا"[2] لضمها للسيادة الإسلامية[3]، وهو ما سنتناوله بالحديث في هذا المبحث.

أولاً- فتوح ولاة الأندلس في بلاد الفرنجة قبل بلاط الشهداء:

إن مشروع غزو بلاد الفرنجة واقتحام أوروبا لنشر تعاليم الإسلام ظهر من جديد في عهد ولاة الأندلس[4] الذين بذلوا جهوداً كبيرة ونشاطاً واضحاً خلف جبال البرتات[5] وبرز هذا النشاط[6] في ولاية السمح بن مالك الخولاني[7] الذي خرج بجيش كبير للجهاد وراء جبال البرقات في سنة 102هـ-721م وفتح إقليم بستمانيا[8] بعد حصار دام شهراً حيث تمكن المسلمون من الوصول إلى

(1) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص151.

(2) بلاد الفرنجة: أرض متسعة شمال الأندلس بها ألسن كثيرة تقع خلف جبال البرتات، أطلق عليها المؤرخون العرب الأرض الكبيرة وأرض الروم وبلاد إفرنسة وغالية. انظر: المراكشي: المعجب، ج1، ص6؛ ابن خلدون: تاريخ، ج5، ص415؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص35؛ فروخ: العرب في الأندلس، ص114.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص31؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص234 وما بعدها.

(4) إن مشروع غزو بلاد الفرنجة وضعت خطته زمن موسى بن نصير، ولكن استدعاءه من قبل الخلافة في دمشق حال دون تنفيذ المشروع، وبعض المؤرخين يذهب إلى أن موسى بن نصير فعلياً هاجم عدد من مدن الجنوب الفرنسي، للمزيد: ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص150؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص233؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص34.

(5) جبال البرتات: جبال تفصل بين الأندلس وبلاد الفرنجة، طولها من الشمال إلى الجنوب مسيرة سبعة ايام وفيها أربعة أبواب عبارة عن مضايق يدخلها الفارس بعد الفارس لذلك تعرف بجبال الأبواب وتسمى أيضاً البرت، الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص730؛ المغربي: الجغرافيا، ج1، ص57؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص34.

(6) تذكر المصادر أن ولاية عبد العزيز بن موسى شهدت فتح العديد من المدن والحصون لكن دون توضيح لهذه المدن لكن بعض المراجع تذهب أنها في الجنوب الفرنسي وكذلك تبين هذه المراجع أن ولاية أيوب ابن حبيب اللخمي ثاني ولاة الأندلس وولاية الحر الثقفي ثالث الولاة شهدت عمليات غزو للأراضي الفرنسية. للمزيد: مجهول: أخبار مجموعة، ص28؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص54؛ الغنيمي: معركة بلاط، ص41؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص143.

(7) السمح بن مالك الخولاني: ثم الحياوي من بني قضاعة ولاه عمر بن عبد العزيز الأندلسي عام 100هـ بعد فترة من عدم استقرار الولاة وعند بعض المؤرخين هو أول من غزا الأرض الكبيرة استشهد في معركة طولوشة سنة 102هـ في يوم عرفة. المقري: نفح الطيب، ج1، ص235؛ الزركلي: الأعلام، ج5، ص139؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص54.

(8) إقليم بستمانيا: يقع جنوب شرق فرنسا خلف جبال البرتات وهو يضم سبع مدن كبرى منها أربونة، وقرقشونة، ونيم، وواقد، وبيزيه، ولوديف، وماقلونة، وهي من أول المناطق التي وصلها المسلمون زمن الفتح لبلاد الفرنجة. الغنيمي: بلاط الشهداء، ص43؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص51.

الأقليم عبر البحر[1] قام السمح بن مالك باتخاذ مدينة أريونة[2] بعد أن تمكن من استعادتها كقاعدة عسكرية متقدمة لقواته المقاتلة في الجنوب الفرنسي، فدعم حصونها، وشحنها بالمجاهدين، وعزز حاميات المدن المجاورة لها ثم اتجه ناحية الغرب، وفتح جميع ما صادفه من المدن والحصون ثم اتجه لفتح قرقشونة[3] فافتتحها، وسار حتى وصل إلى (طولوشة[4]) فحاصرها وضربها بالمنجنيق ولكن وصول (دوق اكتانيا) على رأس جيش ضخم أنقذ المدينة من السقوط في أيدي المسلمين وألحق هزيمة بالمسلمين وقتل في المعركة السمح بن مالك وتمكن عبد الرحمن الغافقي[5] من الانسحاب بالجيش إلى أربونة في ظل محاولة فاشلة لبعض مدن (سبتمانيا) الثورة على الحكم الإسلامي إلا أن المسلمين تمكنوا من إخماد تلك الثورة كان ذلك في ذي الحجة 102هـ[6].

لم يستمر عبد الرحمن الغافقي طويلاً[7] في قيادته للمسلمين في الأندلس حتى عُين بدلاً منه عنبسة بن سحيم الكلبي[8] الذي واصل العمليات العسكرية في الجنوب الفرنسي، متجهاً نحو الساحل

---

(1) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص64؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص75؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص145.

(2) تذكر المصادر أن هذه المدينة افتتحها موسى بن نصير وجعلها ثغر لرباط المجاهدين فإن صحت الرواية ربما ثار أهلها على حاميتها فافتتحها السمح بن مالك وهناك من يعتبر أربونة مدينة أندلسية مثل المسعودي وابن خرذابة. انظر: ابن قتيبة: الإمامة، ج2، ص243؛ المسالك والممالك، ج1، ص82؛ مروج الذهب، ج1، ص68؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص274.

(3) قرقشونة: بينها وبين قرطبة خمسة وعشرين يوماً وبها الكنيسة العظيمة بشنت مرية تقع على نهر الأود وهي من أجمل المدن الفرنسية، وعند بعض المؤرخين أن الذي افتتحها موسى بن نصير. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج4، ص328؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص9؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص14.

(4) طولوشة: عاصمة اكوتين وكانت تحت حكم الدوق أدو والبعض يطلق عليها طلوزة، وقولوز، وقرطوشة تقع في الجنوب الفرنسي خلف جبال البرت؛ الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص538؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص71؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، 43.

(5) عبد الرحمن ابن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي: أصله من قبيلة عك في اليمن، تابعي من كبار قادة الفتح الإسلامي، ولاه هشام بن عبد الملك الأندلسي سنة 112هـ، جهز جيشاً عظيماً لفتح فرنسا لكن القدر عاجله فقتل في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ. للمزيد: الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص98؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص312.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص149؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص235؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص71؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص81-82.

(7) تعتبر هذه الولاية الأولى لعبد الرحمن الغافقي حيث تم اختياره من قبل أهل الأندلس ولكن والي إفريقيا يزيد بن أبي مسلم عزله وعين بدلاً منه عنبسة بن سحيم في صفر 103هـ. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص149؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص15.

(8) عنبسة بن سحيم الكلبي: فاتح من الغزاة الشجعان، كان والياً على الأندلس أربع سنوات وأربعة شهور في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة 103هـ/721م، أوغل في بلاد الفرنجة وعبر نهر الرون وقتل أثناء عودته من أحد معاركة مع الفرنجة في عام 107هـ/725م. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص120؛ الأعلام: الزركلي، ج5، ص91.

حتى وصل نهر ردونة وأعاد فتح قرقشونة، وصالح أهلها، وأطلق سراح من فيهـا مـن أُسـرى المسلمين ثم واصل زحفه متوغلاً في بلاد الفرنجة حتى وصل على بعد ثلاثين كيلو متراً جنـوبي باريس[1] وما أوقفه إلا ما وصله من أخبار سيئة عن بعض القلاقل والاضطرابات في الأندلس التي دفعته للعودة وأثناء عودته وفي ممرات البرتات الضيقة تصدت له قوة عسكرية ضخمة من الفرنجة أصيب في تلك المعركة بإصابة قاتلة استشهد على أثرها[2].

توقفت الفتوحات بعد وفاة عنبسـة بـن سـحيم الكلبـي[3] وذلـك بسـبب الخلافـات والاضطرابات وعدم الاستقرار حيث تعاقب على الأندلس عدد من الولاة كانت ولاية كل مـنهم قصيرة[4] لم تمكنه من تحقيق إنجازات[5] حتى تولى أمر الأندلس مرة ثانية عبد الرحمن الغافقي في ظل اضطرابات وفتن ومشاكل ولكنه تمكن من حشد جيشٍ[6] كبيرٍ؛ ليكمل ما بدأه مـن كـان قبله من الولاة الذين كان هدفهم غزو أوروبا ونشر تعاليم الإسلام هناك[7].

(1) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص377؛ ابن عذاري: البيان، ج1، ص150؛ أرسلان: تاريخ غـزوات العـرب، ص73؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص82.

(2) كانت وفاته في شعبان سنة 107هـ/726م، واستمرت ولايته أربع سنين وشهور. المقري: نفـح الطيـب، ج1، ص235؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص46.

(3) تمكن عنبسة خلال ولايته على الأندلس من فتح عدد من المدن الفرنسية مثل نيم وبوي وكليرمونت وفـالي وقطع نهر الساءون ودخل إقليم برجنديا ومدينة أوتون وأوزة وماسون وماكون وشالون وديجـون وبيـزه ولانجر ومقاطعة فرانس كونتي وتوقف عند بلدة سانس. انظر: أرسلان: تاريخ غزوات العـرب، ص73؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص82؛ مؤنس: فجر الإسلام، ص247؛ محمـود: المسـلمون فـي الأنـدلس، ص146.

(4) بعد وفاة عنبسة تعاقب على الأندلس ستة ولاة في خمسة أعوام من بينهم كان يحيى بن سلمة الكلبي الـذي حكم سنتين ونصف والخمسة الآخرين حكموا في سنتين ونصف. انظـر: المقـري: نفـح الطيـب، ج1، ص235؛ الملاحق جدول ولاة الأندلس، ملحق (5).

(5) وذلك بسبب الفتن والاضطرابات والمشاكل التي حدثت بين المسلمين أنفسهم وبعض الثورات الداخلية لأهل الأندلس. الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص2؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص12؛ المقري: نفـح الطيـب، ج1، ص235.

(6) كان وصول عبد الرحمن الغافقي بعد موجة عارمة من الفتن والمشاكل الداخلية ولكنه تمكـن مـن إعـادة الأمور إلى نصابها بعدله وحكمته ونزاهته حيث رفع المظالم وطاف المدن محققاً في شكاوى الناس وأعـاد الحقوق إلى أصحابها فضبط الشأن الداخلي ثم توجه للغزو. انظر: ابـن عـذاري: البيـان المغـرب، ج1، ص150؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص85؛ اشتيوي: الأندلس، ص79.

(7) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص20؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص363.

ثانياً- معركة بلاط الشهداء[1]:

تمكن عبد الرحمن الغافقي من حشد جيش كبير من مجاهدي الإسلام والمتحمسين لقتال أعداء الله وكان معظمهم من البربر[2] ومن مجاهدي أفريقيا أرسلهم واليها؛ لينضموا لجيش الإسلام في الأندلس[3]، انطلق الجيش عبر جبال البرتات وكانت أولى معاركه في مدينة آرل[4] فاستولوا عليها وذلك لتأمين الخطوط الخلفية للجيش ثم توجه غرباً واخترق نهر الجارون وسيطر المسلمون على ولاية (اكيتانيا) بكاملها بعد معركة دامية حاول فيها (الدوق أودو) أن يوقف زحف المسلمين ولكنه هزم هزيمة فادحة ومزق جيشه شر ممزق يقول ايزيدور الباجي: "والله وحده يعلم كم قتل في تلك الوقعة من النصارى"[5] لينطلق بعدها جيش الإسلام مخترقاً الأودية والشعاب والمدن يسيطر عليها واحدة تلو الأخرى[6] حتى أصبح على بعد مائة ميل فقط من باريس، ويتمكن من فتح النصف الجنوبي من فرنسا في شهور قليلة[7].

هذه الانتصارات التي حققها عبد الرحمن الغافقي على دوق اكتيانيا والسيطرة الرائعة على مدن الجنوب الفرنسي، أشعرت النصارى في أوروبا بالخطر الكبير على دولتهم وشكل دافع لتوحيد كل الجهود والقوى النصرانية لصد الهجوم الإسلامي، ووقف زحف المسلمين الممتد

---

(1) بلاط الشهداء: مكان بين مدينة بواتيه وتور على ساحل نهر اللور بين فرعيه كلين وفيين في موضع قريب من طريق روماني قديم يعرف بالبلاط، ينسب إليه معركة بلاط الشهداء وبه تعرف في المصادر العربية أو بإسم وقعة البلاط وفي المصادر الأوروبية تعرف باسم بواتيه أوتور. انظر: ابن عذاري: البيان، ج1، ص150؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص236؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص90؛ عنان دولة الإسلام، ج1، ص99؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص72، 75.

(2) مؤنس: فجر، ص263.

(3) تبالغ المصادر الفرنجية في تحديد عدد الجيش الإسلامي في بلاط الشهداء فتقدره بأربعمائة ألف مقاتل في حين الروايات العربية تقدره بسبعين ألف مقاتل. انظر: أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص87؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص97.

(4) آرل: مدينة فرنسية تقع على ضفاف نهر الرون في الجنوب الفرنسي كان قد استولى عليها المسلمون وصالحوا أهلها على الجزية ولكنها امتنعت عن دفع الجزية زمن عبد الرحمن الغافقي فسيطر عليها وأخضعها لحكم المسلمين. عنان: دولة الإسلام، ج1، ص90.

(5) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص90.

(6) من هذه المدن: ناغارا، وبوردو، وتور، وبواتيه، وليون وبيزانصون، حتى وصل إلى صانص على بعد مائة ميل فقط من باريس، وابتعد بذلك عن مركز القيادة في قرطبة قرابة 1300 كيلو متر. انظر: أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص89؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص90؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص65؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص149.

(7) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص91.

شيئاً فشيئاً وتولى كبر ذلك (شارل مارتل[1]) الذي بذل جهداً كبيراً في جمع الآلاف من الجنــود الأقوياء الأشداء للقاء المسلمين في معركة حاسمةٍ أما أن تكون فيها نهايته أو يتمكن مــن وقــف الخطر الإسلامي على بلاده[2] ويصبح بطلاً.

التقى الجيشان الإسلامي والفرنجي في السهل الواقع بين مدينتي تور[3] وبواتيه[4] والذي يعرف عند العرب ببلاط الشهداء في أواخر شعبان سنة 114هـ -الثاني عشر من أكتوبر ســنة 732م[5] ودارت مناوشات بين الجيشين لمدة ثمانية أيام احتفظ كل جيش بمواقعه، وفــي اليــوم التاسع دارت المعركة المركزية، واشتد القتال بين الجيشين في اليوم العاشر وكان النصر والغلبة لصالح المسلمين وظهرت الهزيمة على جيش الفرنجة، ولكن تمكن الفرنجة من الالتفــاف علــى جيش المسلمين ووصلوا إلى مؤخرة الجيش حيث الغنائم والأسلاب فارتدت قوة كبيرة من الجيش من قلب المعركة لحماية الغنائم فاضطرب الجيش ودبَّ الخلل في صفوف المسلمين وحاول القائد عبد الرحمن الغافقي استعادة النظام لقواته وإعادة ترتيب صفوفها ولكن دون جدوى، وفي هــذه الأثناء أصابه سهم قاتل فسقط من على جواده صريعاً[6]؛ ليعم الذعر والهلع والاضــطراب فــي صفوف الجيش ولكنهم تمكنوا من الصمود في وجه الفرنجة حتى الليل؛ لينسحب الجيش باتجــاه مواقعه وقواعده في سبتمانيا ولم يتمكن شارل مارتل من ملاحقتهم لخشيته من الوقوع في خديعة

---

(1) شارل مارتل: هو ابن "ببين دير يستال" ولد عام 689م اعتقل على خلفية قتل أخيه لأبيه فاعتقله والده وبقي في السجن حتى وفاة والده عام 714م ليخرج من السجن ويعين دوقاً على مملكة الفرنجة وبدأ يوسع نفــوذ مملكته ويخضع البلدان المجاورة ودخل في صراع مع دوق أدو حاكم اكتيانيا ولكنهم تجمعوا لصد الهجــوم الإسلامي، سطع نجم شارل أو قارله كما تسمية المصادر العربية بعد معركة بلاط الشهداء حيــث اعتبــر حامي النصرانية وأصبح يطلق عليه لقب المطرقة كانت وفاته 741م. المقري: نفح الطيب، ج1، ص274؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص94.

(2) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص90؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص149.

(3) تور: مدينة فرنسية مشهورة تقع في الجنوب على نهر اللوار. أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص90.

(4) بواتيه: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الغربي من باريس وعلى بعد 332 وبها تعرف معركة بلاط الشــهداء في المصادر الأوروبية وهناك من يطلق عليهم معركة تور. أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص90.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص150؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص236؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص100-101.

(6) اختلفت المصادر في تحديد زمن وفاة عبد الرحمن الغافقي فتذهب بعضها إلى أنه كان في 115هـــ/733م ولكن الراجح أن استشهاده كان في رمضان 114هـ/732م واستمرت ولايته قرابة السنتين وثمانية أشــهر. انظر: ابن عذاري: البيان، ج1، ص20، ص150؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارهــا، ج1، ص363؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص15؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص235.

أوكمين للجيش الإسلامي وانتهت المعركة بهزيمة جيش المسلمين وانتصار جيش الفرنجة وكان ذلك في أوائل رمضان سنة 114هـ/21 أكتوبر سنة 732م[1].

ثالثاً- الفتوحات الإسلامية بعد بلاط الشهداء:

لم يتمكن الفرنجة بعد معركة بلاط الشهداء مباشرة من وقف المد الإسلامي في سهول فرنسا الجنوبية أو استعادة أياً من مواقعهم ومدنهم التي سيطر عليها المسلمون قبل المعركة[2]، وكان لسرعة إرسال والي جديد إلى الأندلس[3] دور كبير في توطيد دعائم الحكم الإسلامي في الجنوب الفرنسي وإخماد بعض الثورات التي قام بها نصارى الجنوب الفرنسي والشمال الأندلسي[4].

تمكن عبد الملك بن قطن[5] من الزحف إلى عدد من المدن في الجنوب الفرنسي[6] وإخضاعها لحكم الإسلام وانتصر على النصارى في أراجون[7] عام 115هـ/733م[8] وقام بتحصين المدن التي كانت في أيدي المسلمين حتى لا تقع في أيدي الفرنجة وأثناء عودته إلى الجنوب هاجمته قوة كبيرة من الفرنجة قرب جبال البرتات وأوقعت بجيش المسلمين خسائر فادحة عزل على أثرها عن ولاية الأندلس[9] وعين بدلاً منه عقبة بن الحجاج السلولي[10] الذي

---

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص31؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص403؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص150؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص236؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص90، 91؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص100، 101؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص59 وما بعدها.

(2) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص103؛ الغنيمي: بلاط، ص87، 95.

(3) الوالي الجديد: هو عبد الملك بن قطن الفهري. انظر ملحق (5).

(4) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص103؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص113؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص95.

(5) عبد الملك بن قطن الفهري: أمير الأندلس، وأحد القادة الشجعان، كانت ولايته على الأندلس سنة 114هـ/732م بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقي ثم وليها ثانية بعد عقبة بن الحجاج سنة 123هـ/740م وثار عليه بلج بن بشر فسجنه ثم قتله في ذي القعدة سنة 123هـ. الأعلام: الزركلي، ج4، ص162.

(6) من هذه المدن: ليموزين، وسوليتال، وإرغوان، ونافار، وبروفانس، وأراك، وأبنسون، وكتالونيا، وبلاد اللانجدوك، والبشكنس، حتى وصل نهر الديوراس. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص409؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص103؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص113؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص95-97.

(7) أراجون: مدينة من مقاطعات الشمال الأندلسي في الثغر الأعلى الأندلسي. اشتيوي: الأندلس، ص87.

(8) المقري: نفح الطيب، ج1، ص236؛ اشتيوي: الأندلس، ص87، 88.

(9) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص412.

(10) عقبة بن الحجاج السلولي: من اشراف بني سلول، عين على الأندلس من قبل والي مصر وأفريقيا عبيد الله ابن الحبحاب في خلافة هشام بن عبد الملك عام 116هـ/734م أسلم على يديه أكثر من ألف رجل أثناء جهاده في الجنوب الفرنسي استمرت ولايته حتى عام 121هـ/738م. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص651؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص240.

واصل ما قام به الولاة السابقين للأندلس من توطيد دعائم الحكم الإسلامي في الجنوب الفرنسي والاستمرار في السياسة التوسعية لتأمين حدود دولة الإسلام فأعاد إلى نهر ردونة ومدينة أربونة مكانتهما الجهادية كثغر للرباط ونقطة انطلاق للغزو والجهاد في الجنوب الفرنسي[1]، وقام بمهاجمة عدد من المواقع والمدن الفرنسية وكاد أن يصل إلى موقع معركة بلاط الشهداء[2] وتصدى لعدد من محاولات الفرنجة واستعادة عدد من المدن والمواقع الإسلامية[3] بانتهاء ولاية عقبة بن الحجاج[4] انتهت آخر المحاولات الإسلامية لغزو أوروبا واقتحامها من ناحية فرنسا وإقامة دولة إسلامية في فرنسا تجاور الأندلس وكان آخر الولاة العظام الذي قاموا بدور مميز في الجهاد وراء جبال البرتات وجاء بعده حكام كانوا أضعف من أن يواصلوا جهد من سبقهم أو حتى يحافظوا على تراثهم وجهدهم وجهادهم الذي بذل في فتح تلك البلاد ولم يصمد في وجه الفرنجة إلا رقعة صغيرة والله المستعان[5].

رابعاً- الخدع العسكرية في عهد الولاة:

1- حصار إقليم سبتمانيا وخاصة مدينة أربونة ثم دخول المدينة من البحر كاستغلال لنقطة ضعف حيوية وحساسة في المدينة ثم اتخاذ المدينة قاعدة متقدمة لقوات المسلمين للانطلاق منها باتجاه الجنوب الفرنسي وتعزيز حاميات المدن المجاورة للأقليم بالمقاتلين الأشداء من أجل أن يهبوا لنجدة الأقليم إذا ما تعرض لمحاولات استرداد من قبل الفرنجة كل ذلك شكل

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص236؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص114.

(2) من هذه المواقع والمدن: إقليم برجاندية وفالانس ومدينة اليروفانس وسان بول تردا ودوتريز وفيين وليون وغيرها. عنان: دولة الإسلام، ج1، ص115؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص100.

(3) استطاع شارل مارتل أن يحشد عدد كبير من قواته بقيادة أخيه "شلدبراند" لشعوره بالخطر على بلاده من اندفاع عقبة بن الحجاج والذي بدأ يهدد فعلياً بلاد الفرنجة فتمكن شارل مارتل من استعادة مدينة ابنسيون وبزييه وأجدة وفيمه ولكنه فشل في استعادة مدينة أربونة ونابلونة بسبب استبسال المسلمين في الدفاع عنها. عنان: دولة الإسلام، ج1، ص115؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص100.

(4) اختلفت المصادر في نهاية ولاية عقبة بن حجاج السلولي فمنها ما يقول أنه قتل في أحد معاركه مع الفرنجة عند قرقشونة وتذهب أخرى إلى أنه خلع من قبل عبد الملك بن قطن الفهري ثم قتل وتذهب أخرى إلى أنه أخرج من الأندلس كان ذلك في صفر سنة 123هـ/740م، فكانت ولايته ستة أعوام وأربعة أشهر. انظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص2؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص21، 151؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ج1، ص363؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص236، ج3، ص19.

(5) حيث لعبت الأوضاع الداخلية من فتن وثورات دور كبير في ذلك وبدأ يتعاقب على الأندلس والي كل عدة شهور. للمزيد انظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص2؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص417، 458؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص22؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص236-237.

مجموعة من **الخدع** العسكرية والفطنة الحربية والاستراتيجية القتالية والخطة الدفاعية والهجومية لقوات المسلمين بقيادة السمح بن مالك الخولاني.

2- استخدام المسلمين للمنجنيق في ضرب المدن المحاصرة: **خدعة** قام بها العرب إذ لم تستخدم المنجنيقات قبل ذلك في معارك المسلمين مع الفرنجة ولم يكونوا يعرفونها يقول أرسلان: "أخذوا بمخنقها واستعملوا المنجنيقات وسائر آلات الحصار"[1] فشكل ذلك عامل قوي لتسليم المدينة.

3- ظهور السمح في ميدان القتال وسيفه يقطر دماً ويردد على جنده قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[2] وسيلة استخدمها القائد؛ ليحفز جنده قولاً وفعلاً كما ينقل أرسلان: "كان كالفحل الهائج لا يرد رأسه شيء أو كالأسد الزائر يحمل على العدو فلا يقف في وجه أحد"[3].

4- مقتل السمح في المعركة: **خدعة** استخدمها الفرنجة لتفتيت الجيش وإحداث اضطراب في صفوفه لعلمهم أنهم لن يستطيعوا الانتصار على المسلمين إلا بالقضاء على مصدر المعنويات ومحفز الجند على القتال يقول أرسلان: "فلما رأوه مجندلاً فت في أعضادهم ونكصوا على أعقابهم"[4].

5- مقدرة عبد الرحمن الغافقي على لملمة الجيش وترتيب صفوفه والانسحاب به دون أن يتمكن الفرنجة من ملاحقته: يدلل على قدرة فائقة وفطنة كبيرة وإدارة قتالية سليمة للقائد والجيش.

6- قيام عنبسة بأخذ رهائن من مدينة نيم[5] وإرسالهم إلى برشلونة: **خدعة** هدف منها عدم قيامهم بمشاكل مع حامية المدينة ويجعلهم على الحياد أثناء قتاله مع الفرنجة وكما يقول أيزيدور الباجي: "لقد كانت فتوحات عنبسة فتوحات حذق ومهارة أكثر منها فتوحات بطش وقوة"[6].

7- الخلافات والمشاكل والاضطرابات والفتن والثورات أفضل وصفة لتمزيق الدول وتشتيت جهودها وبعثرة قوتها لذلك نجد أن قتال الفرنجة توقف بسبب ذلك بعد استشهاد عنبسة فاستخدام هذه الوسائل والأساليب من أعظم **الحيل** و**الخدع** التي يستخدمها أحد طرفي الصراع للانتصار على خصمه في المعركة.

---

(1) تاريخ غزوات العرب، ص71.

(2) سورة آل عمران، ج4، آية 160.

(3) تاريخ غزوات العرب: ص71.

(4) تاريخ غزوات العرب: ص71.

(5) نيم: مدينة مشهورة جنوب فرنسا ذات آثار رومانية عظيمة. أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص71.

(6) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص73.

8- سيطرة عبد الرحمن الغافقي على مدينة أرل: **خدعة**(1) هدف منها توجيه أنظار الفرنجة إلى تلك الناحية ثم يسير هو بجيشه إلى الجنوب الفرنسي على حين غرة؛ كذلك ليأمن خطوط القتال الخلفية فلا يأتيه العدو من الخلف؛ لأن مهاجمة الخطوط الخلفية من أقوى **الخدع** و**الحيل** التي تستخدم من إحدى طرفي القتال والصراع.

9- وجود عبد الرحمن الغافقي في مقدمة الجيش يُحَرِّض الجند على القتال ويبث فيهم روح الاستشهاد: أسلوب قتال هدف منه القائد رفع الروح المعنوية لجنوده بحيث يقاتلون قتال الأبطال وهذا ما كان في الأيام الأولى للمعركة حيث استطاع المسلمون جعل كفة القتال تميل إلى صالحهم وعوامل الانتصار إلى جانبهم(2).

10-الحشد الهائل لجيش الفرنجة دفع عبد الرحمن الغافقي إلى **خدعة** هدف منها تشتيت قوات العدو وذلك باعتماد أسلوب الهجمات الخاطفة والسريعة والمباغتة مستنداً لما عند قواته من روح معنوية عالية وروح إيمانية قرآنية ثابتة وخبرة ودراية بطريقة قتال العدو فهم الذين خبروه في قتالهم له مع عنبسة والسمح مما أعطاهم مهارة قتالية عالية في الميدان(3).

11-انسحاب جيش المسلمين في الليل مع إبقائهم للخيام قائمة والنيران موقدة: **خدعة** هدف منها المسلمين تضليل جيش الفرنجة أنهم ما زالوا في معسكرهم.

12-انسحاب الجيش وإخلاء الموقع فجأة ودون أن يشعر بهم الفرنجة: **خدعة** هدف منها المسلمون إيهام الفرنجة بأنهم يعدون لهم كميناً وسرعان ما سينقضون عليهم الأمر الذي منع الفرنجة من تعقب جيش المسلمين وتوفير غطاء آمن لانسحاب جيش المسلمين.

13-قيام الجيش المنسحب بمهاجمة بعض المدن والحصون والمواقع وتأديب بعض الخارجين على الحكم الإسلامي: **حيلة** وفطنة أراد منها المسلمون توجيه رسالة لجيش الفرنجة أنهم لا يزالون بقوتهم وأنهم قادرون على مواصلة الجهاد والمقاومة؛ والخسارة في هذه المعركة ما هي إلا جولة من جولات الصراع الأمر الذي منع شارل مارتل من التقدم نحو الجنوب والقيام بمطاردة جيش المسلمين واكتفى شارل مارتل بما حققه في بلاط الشهداء(4).

14-قيام عقبة بن الحجاج بالاهتمام بتأمين حدود دولة الإسلام وإعادة مدينة أربونة كثغر للرباط: **حيلة** استخدمها عقبة لجذب المقاتلين والراغبين في أجر الرباط والجهاد سيما وأنه قد

(1) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص99.

(2) الغنيمي: بلاط الشهداء، ص67.

(3) الغنيمي: بلاط الشهداء، ص67.

(4) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص103؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص101؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص78.

ربطهم بالأيام الأولى للجهاد في الأندلس والجنوب الفرنسي وقد نجح في ذلك حيث أعاد الجهاد الأندلسي إلى سيرته الأولى.

15-قتل قائد جيش النصارى: **خدعة وحيلة** لجأ المسلمون إليها، أثناء محاولة الفرنجة السيطرة على مدينة أربونة وقيامهم بتشديد الحصار عليها حتى ضاق الخناق على المدينة فنصبوا كميناً لقائد الجيش ويدعى "أنسماندوس" وقتلوه فتشتت الجيش وارتفع الحصار عن المدينة(1).

16-التحالف مع بعض الرافضين لحكم شارل مارتل من النصارى: **خدعة** استخدمها المسلمون وذلك لتحييدهم والاستفادة من معلوماتهم وخبرتهم بدروب تلك البلاد ومسالكها كما حدث مع الأمير (موروند) دوق مرسيليه وفي بعض الأحيان زحفوا في جيش موحد ضد شارل مارتل(2).

ومما هو جدير بالذكر لا بد من الإشارة إلى بعض الخدع التي استخدمها الفرنجة في قتالهم للمسلمين في الجنوب الفرنسي وكذلك أسباب انتصارهم في معركة بلاط الشهداء والتي كان من أهمها:

(أ) الخدّع:

1- نصب الكمائن للقوات العائدة من القتال في الجنوب الفرنسي وذلك في ممرات البرتات الضيقة التي يصعب المرور منها لأكثر من فارس وكانوا غالباً ما ينالون من هذه القوات أثناء عودتها ويقتلون قائدها مثل ما حدث مع عنبسة والسمح وغيرهم.

2- التركيز على قائد الجيش وقتله، ليحدثوا اضطراب في صفوف الجيش وذعر وهلع وإرباك وهذا ما حدث في معركة بلاط الشهداء عندما قتل القائد عبد الرحمن الغافقي.

3- ترك العرب لتمتلئ أيديهم بالغنائم والأسلوب ثم ينقضوا عليهم بعدما أثقلوا بها وهذا ما وضحه شارل مارتل عندما استنجد به النصارى لرد الخطر الإسلامي، قالوا: "ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال شارل مارتل: الرأي عندي ألا تعترضوهم في خرجتهم هذه فإنهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في إقبال أمرهم، ولهم ثبات يغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانه الدروع وقال في موضع آخر "قد اتخذوا من جرأتهم دروعاً ومن إقدامهم حصوناً" ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين

(1) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص112؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص132.

(2) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص104؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص115.

بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر"[1] يقول أرسلان: أن ولوع العرب بالغنائم كان أحد العوامل التي تسببت في هزيمة المسلمين[2].

4- استغلال المشاكل والفتن والخلافات بين المسلمين وصناعة بعض التحالفات مع الخارجين عن الدولة الإسلامية: **خدع** و**حيل** استخدمها الفرنجة للانتصار على المسلمين يقول المقري: "فكان والله الانتصار للفرنجة بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمضرية واليمانية، وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعداء"[3] ويقول أرسلان: "إن أعظم العوامل التي قضت برجوع بدر العرب كالعرجون القديم بعد أن كان تماماً وأنار المشرق والمغرب يعود إلى الفتنة والحرب بين المسلمين حيث أوقفت سير الإسلام في أوروبا بعد أن مشى فيها مشي النار في يابس العرفج"[4].

5- قطع طرق الإمداد والتموين لجيش المسلمين: **خدعة** استخدمها الفرنجة لإنهاك جيش المسلمين ومما ساعدهم على ذلك ممرات البرتات الضيقة[5].

6- مهاجمة قوات الفرنجة لخطوط القتال الخلفية للمسلمين: **خدعة** هدف منها الفرنجة إرباك الجيش الإسلامي وزعزعة صفوفه سيما وأن الخطوط الخلفية يكون بها المؤن والنساء وضعاف الجيش مثل ما حدث في معركة بلاط الشهداء.

7- تشديد الحصار على المدن التي سيطر عليها المسلمون: **خدع** استخدمها الفرنجة لإجبار المسلمين على الاستسلام أو لتحريض سكان تلك المدن على الثورة على حاميتها المسلمة كما حدث في ليون "أفينيون"[6].

8- تخريب القلاع والحصون والمدن القريبة من آخر نقطة تمركز لقوات الفرنجة: **خدع** هدف منها الفرنجة عدم قيام المسلمين بالتمركز في هذه القلاع أو التحصن بها[7].

(ب) الأسباب[8]:

1- ظروف المناخ والجغرافيا والطبيعة لم تكن لتساعد جيش المسلمين على التحرك في ظل الثلوج والمطر المنهمر والبرد القارس وهي ظروف بيئية لم يكن قد تعود عليها المقاتل المسلم، كذلك

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص275.

(2) تاريخ غزوات العرب، ص83.

(3) نفح الطيب، ج1، ص275.

(4) تاريخ غزوات العرب، ص82.

(5) انظر وصف جبال البرتات عند ابن إدريس: نزهة المشتاق، ج2، ص730.

(6) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص106؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص115.

(7) أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص106-107.

(8) الغنيمي: بلاط الشهداء، ص65 وما بعدها.

منطقة القتال في بلاط الشهداء كانت غابات كثيفة ولم يكن الجندي المسلم قد اعتاد على القتال في تلك المناطق.

2- تواصل القتال واستمراره سبَّب إرهاق شديد لجيش المسلمين بكامل مكوناته حيث كان لتوه قد خرج من معركة مع (الدوق أدو) فكانت قوات المسلمين مستنزفة طوال الوقت.

3- الابتعاد عن قاعدة المسلمين في قرطبة قرابة ألفٍ وثلاثمائة كيلومتراً وهي مسافة جعلت أمر إمداد الجيش بالمؤن والسلاح والرجال صعب جداً ولو طلبها ستصله بعد فوات الوقت في حين أن شارل مارتل كان يقاتل وخطوط إمداده متصلة بأرض المعركة بل يقاتل ومؤيدوه وشعبه يلتف من حوله، فهذا شكل نقطة ضعف رئيسة لجيش المسلمين ونقطة قوة لجيش الفرنجة.

4- ضخامة جيش الفرنجة الذي كان يفوق بشكل كبير جيش المسلمين حيث احتشد من جميع الدول والأقاليم والإمارات الأوروبية وأنهم قد جهزوا أنفسهم وأعدوا العدة منذ سنوات لمواجهة هذا الخطر[1] فضلاً عن أنهم يدافعون عن أرضهم وشعبهم فالروح القتالية كانت عندهم عالية لما بثه الرهبان والكهان عن الخطر الذي يتهددهم إذا ما سيطر المسلمون على أرضهم.

5- عدم وجود عيون ورصد واستطلاع لاستكشاف مواقع العدو وتقديم تقارير عن سير العدو وعدده وعتاده لوضع الخطط بناءً على ذلك الأمر الذي جعل جيش المسلمين يواصل السير حتى أصبح وجهاً لوجه مع قوات الفرنجة فكان الأجدر وجود عيون وقوات استطلاع لتقوم بدورها المطلوب في المعركة.

وختاماً نقول: أنه بالرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في معركة بلاط الشهداء نتيجة للأسباب السابقة مثل مقتل قائدهم، وما تبعه من إرباك في صفوف الجيش إلا أن الجيش سرعان ما حافظ على تماسكه وانضباطه وليس أدل على ذلك من خطة الانسحاب الرائعة التي وضعت وعدم مقدرة شارل مارتل من التقدم ولو خطوة واحدة خلف جيش المسلمين، ولو كان انتصاره حاسماً بحق لتتبع مؤخرة الجيش وقضى عليه أو التقدم للسيطرة على ممتلكات المسلمين في جنوب فرنسا والذي حافظ المسلمون على وجودهم فيها قرابة المائتي عام بعد معركة بلاط الشهداء. كذلك ما قام به عبد الملك بن قطن وعقبة بن الحجاج من القيام بمهاجمة مدن الجنوب الفرنسي والوصول إلى موقع بلاط الشهداء من جديد وتوطيد نفوذ المسلمين في تلك البلاد دليل آخر على أن شوكة المسلمين لم تكسر في تلك المعركة أو هزيمتهم كانت ساحقة كما يذهب إلى ذلك مؤرخو الغرب[2].

(1) يكاد المؤرخين العرب يجمعون أن موسى بن نصير وصل بغزواته إلى فرنسا فوصل إلى مدينة قرقشونة وأريونة ولكن غزواته كانت على شكل غارات واستطلاع تمهيداً للسيطرة عليها ولكن كتاب الخلافة بعودته عاجله بالعودة إلى دمشق، الأمر الذي أعطى ضوء أحمر للنصارى في الجنوب الفرنسي بضرورة تجهيز أنفسهم لمواجهة حتمية مع المسلمين فكانت معركة بلاط الشهداء نتاج لإعداد نصراني امتد لعشرات السنين. انظر: المقري: نفح الطيب، ج3، ص9؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص34؛ الغنيمي: بلاط الشهداء، ص24.

(2) الغنيمي: بلاط الشهداء، ص78.

الفصل الثالث

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة

138-422هـ، 755-1031م

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الخدع العسكرية في الفترة الأولى من عهد الإمارة.
- المبحث الثاني: الخدع العسكرية في الفترة الثانية من عهد الإمارة.
- المبحث الثالث: الخدع العسكرية في الفترة الثالثة من عهد الإمارة.

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في الفترة الأولى من عهد الإمارة 138-238هـ / 756-852م

بعد مقتل مروان بن محمد[1] آخر الخلفاء الأمويين سنة 132هـ/750م[2] وجّه العباسيون اهتمامهم لملاحقة أبناء البيت الأموي أينما وجدوا، ولكن عدداً منهم تمكن من الوصول إلى بلاد المغرب العربي[3] وعلى رأس هؤلاء عبد الرحمن بن معاوية[4] الذي تمكن بعد إقامة استمرت خمس سنوات في بلاد المغرب من الوصول إلى الأندلس في شهر ربيع الآخر سنة 138هـ سبتمبر سنة 755م[5]، وذلك بمساعدة الأمويين والشاميين المقيمين بالأندلس، وانضم إليهم فيما بعد اليمانية حيث عملوا على الترويج للدعوة الأموية في جنوب الأندلس وتمكنوا من تكوين قاعدة شعبية لعبد الرحمن بن معاوية ثم سرعان ما امتدت الدعوة؛ لتعم مناطق الغرب الأندلسي[6] والتفّ حوله زعماء القبائل والجند الذين أخذوا له البيعة من قبائلهم وجندهم[7]،

---

(1) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: يكنى أبو عبد الله وأبو عبد الملك لقب بالحمار والجعدي، آخر خلفاء الدولة الأموية، بويع بالخلافة يوم الاثنين 14 صفر سنة 127هـ/744م، وغلب على حكمه الفتن والثورات والحروب قتل في ببوصير من مصر ليلة الأحد 27 ذي الحجة سنة 132هـ/750م. المسعودي: التنبيه، ج1، ص19.

(2) يعتبر هذا التاريخ هو نهاية حكم الأمويين بعد معركة الزاب التي انتصر فيها العباسيون ولم يستطع مروان بن محمد فعل أي شيء وحاول الهرب إلى أفريقيا ولكنه ضبط في مصر وأعدم. الطبري: تاريخ، ج7، ص442؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص73؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص27.

(3) الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص3؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص27.

(4) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك: أول ولاة بني أمية في الأندلس، كانت ولايته يوم الجمعة 10 ذي الحجة سنة 138هـ/756م، وهو ابن ثمان وعشرين سنة وتوفي في 10 جمادي الأولى سنة 172هـ/788م، لقب بصقر قريش والداخل. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص448؛ المسعودي: التنبيه، ج1، ص121؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص280.

(5) مجهول: أخبار مجموعة، ص72؛ ابن خياط: تاريخ، ج1، ص415؛ المسعودي: التنبيه، ج1، ص121؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص27.

(6) مجهول: أخبار مجموعة، ص66 وما بعدها؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص16؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص159؛ مصطفى، بنو أمية، ص25 وما بعدها.

(7) من هؤلاء الزعماء جدار بن عمرو المذحجي من ريه، وحسان بن مالك من أشبيلية، تمام بن علقمة أخذ بيعة جند فلسطين، ويوسف بن بخت أخذ بيعة جند الأردن، وعبد الله بن خالد أخذ بيعة جند حمص. مجهول: أخبار، ص72؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص47.

فتكوَّن لديه جيشٌ كبير انطلق به لمواجهة يوسف الفهري[(1)] والصميل بن حاتم[(2)]، وانتصر عليهم في معركة المصارة[(3)] العنيفة ودخل قرطبة وبويع بالإمارة في 10 ذي الحجة سنة 138هـ/13 مايو 756م[(4)]، ليبدأ بذلك عهد جديد للأمويين في الأندلس وفاتحة لعصر جديد في تاريخ الأندلس.

أولاً- العمليَّات العسكرية:

لقد شكلت المرحلة الأولى من عهد الإمارة والتي استمرت مائة عام، عهد القوة في فترة الحكم الأموي للأندلس، حيث كانت بداية عهد الإمارة لعبد الرحمن بن معاوية الذي استمر في الإمارة ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة شهور[(5)] قضاها في توطيد أركان الحكم الأموي في الأندلس والقضاء على الخارجين على حكمه، فكلما قضى على ثورة خرجت أخرى، وربما اجتمعت أكثر من ثورة في آن واحد وفي أكثر من مدينة، واستخدم في القضاء عليها القوة والبطش أحياناً و**الحيلة** و**المكر** و**الخداع** أحياناً أخرى[(6)].

---

(1) يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة بن نافع الفهري القرشي: أمير الأندلس لمدة عشر سنوات من 128هـ/745م وحتى 138هـ/756م يعتبر من القادة الدهاة الفصحاء. الزركلي: الأعلام، ج8، ص238.

(2) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوش الضباني: شيخ المضرية في الأندلس، مات في السجن عام 142هـ/759. الزركلي: الأعلام، ج3، ص209.

(3) المصارة بالصاد أو السين: اسم المكان الذي وقعت فيه المعركة جنوب غرب مدينة قرطبة على الضفة اليمنى من نهر الوادي الكبير، ويطلق على المعركة في المراجع الأسبانية اسم الأميدا؛ تطلق المصارة على الفضاء الفسيح المجاور للمدن وعليه أطلقت المصارة على عدة أماكن في المغرب والأندلس فيقال مثلاً مصارة غرناطة وفاس وقرطبة. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص159؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص33؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص55.

(4) مجهول: أخبار مجموعة، ص80-83؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص35؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص159؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص357.

(5) مجهول: أخبار مجموعة، ص105.

(6) كان من أخطر الخارجين على الحكم الأموي في الأندلس يوسف الفهري في ماردة، كذلك ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي والذي أضفى عليها لوناً من الشرعية، وثورة سفيان بن عبد الواحد المكناسي البربري الذي ادعى أنه من نسل الحسين بن علي وغيرها من الثورات التي كانت بدوافع قبلية وحزبية وغضباً ونقمة على الأمويين مثل ثورة رزق بن النعمان الغساني وهشام بن عروة الفهري في طليطلة وأبو الصباح وحيوة بن ملامس في أشبيلية والقاسم بن يوسف الفهري في شذونة وغيرهم. للمزيد: مجهول: أخبار مجموعة، ص88 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص126-178؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص162-163؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص157-158؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص36؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص57 وما بعدها.

ثم خَلَفه في الحكم في العهد الأول للإمارة الأموية في الأندلسي ثلاثة أمـراء[1] سـاروا على نفس النهج وذات السياسة، وعلى الرغم من انشغال عبد الرحمن ومَنْ خلفه مـن الأمـراء بإخماد الثورات المتتالية والفتن الداخلية المتعاقبة إلا أن ذلك لم يشغلهم عن الخطـر النصـراني في الشمال ومحاولات الفرنجة للزحف على الأنـدلس فأرسـل عبـد الـرحمن بـن معاويـة سنة 148هـ/766م جيشاً إلى جليقية واشتبك مع النصارى هنـاك، وعـاد الجـيش بالأسـرى والغنائم، وفي سنة 150هـ/767م[2] توجه بدر مولي عبد الرحمن بـن معاويـة إلـى ألبـة[3] والقلاع[4] فهدم الحصون وعاد سالماً غانماً، وفي سنة 165هـ/781م سار عبد الرحمن بنفسـه على رأس جيش كبير لغزو بلاد الفرنجة فافتتح عدد من المدن والقلاع والحصون وسار حتـى وصل بلاد البشكنس[5] وأرغم أميرها على تقديم الطاعة ودفع الجزية ثم عاد إلى قرطبة سـالماً غانماً[6] وتكررت الحملات العسكرية لجيوش الإسلام فـي زمـن عبـد الـرحمن الـداخل[7] لبلاد الفرنجة والجلالقة والبشكنس وغيرها من المناطق[8]، وذلك بشكل متوازٍ مع إخماد نيـران الثورة والفتنة. وهكذا استمر طوال فترة حكمه والتي استمرت ثلاثة وثلاثون عامـاً فـي كفـاح مستمر وحياة مليئة بالأهوال والفتن حتى توفي في 10 جمادي الأولى سنة 172هـ/2 أكتـوبر

(1) هؤلاء الأمراء الثلاثة هم: 1. هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. 2. الحكم بن هشام. 3. عبد الرحمن بـن الحكم. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص235؛ الملاحق، ملحق (6).

(2) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص189؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص162.

(3) ألبة: لفظ يطلق على جزيرة ونهر ومدينة في الأندلس تقع في شمال الأندلس على البحر وهي مـن أعمـال بيش وهي قريبة من أرض الروم. انظر: الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص583، 949.

(4) القلاع: وهو اللفظ العربي لمنطقة قشتاله وهي المنطقة الواقعة خلف جبل الشارات من جهة الشمال والمنطقة الواقعة في جهة الجنوب تسمى أشبانيا وكانت تعتبر إحدى أقاليم الأندلس وقاعدتها مدينة ليـون وقصـبتها طليطلة. انظر: الحمودي: نزهـة المشـتاق، ج2، ص536؛ الحمـوي: معجـم البلـدان، ج4، ص352؛ أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص117.

(5) بلاد البشكنس: هي منطقة تقع في غرب الأندلس خلف جبل الشارات بين مملكـة قشـتالة شـرقاً ومملكـة برشلونة وتعرف بمملكة لُبَّرة وقاعدتها مدينة بنبلونه. انظر: ابن خلدون: تاريخ: ج4، ص229؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص226، 261.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص247؛ عنان: دولة، ج1، ص187.

(7) لقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من أمراء بني أمية، وكذلك لقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش. انظر: ابن عبد ربه: العقد، ج4، ص448؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص16؛ المقري: نفح الطيـب، ج1، ص329.

(8) عن هذه المناطق التي غزاها عبد الرحمن ووصل إليها بجيوشه مدينة قلهرة وفكيـرة وبنبلونـة وقلنبيـرة وولاية شرطانية ومملكة قشتالة. مجهول: أخبار مجموعة، ص104؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص247؛ ابن خلدون: تاريخ ج4، ص158، 230؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص187.

سنة 787م[1]. تولى الإمارة هشام بن عبد الرحمن[2] بعد وفاة والده ولم يكن هو أكبر أبنائه بل كان أكبرهم سليمان[3] الذي أعلن الثورة على أخيه وخروجه عليه، وانضم إليه أخوه عبد الله[4] ولكن هشام تمكن من إنهاء تمرد أخويه اللذين كانا ينظران إلى أنفسهم بأحقيتهم بالحكم من أخيهم هشام[5]، كذلك اعتقدت بعض المناطق أن وفاة عبد الرحمن تشكل فرصة مناسبة للثورة والخروج على الحكم الأموي فثارت على حكم هشام عدد من المناطق والأشخاص[6]، ولكنه تمكن من القضاء على جميع الخارجين على دولته داخلياً، وبدأ يعد العدة لتأديب المعتدين على دولة الإسلام من قوى الكفر في الشمال الأندلسي وغيره من الأماكن، والتي كانت تستغل الصراع الداخلي وانشغال أمراء الأندلس بإخماد الفتن والثورات التي كانت تشغلها عن حماية أطراف الدولة.

أعلن هشام الجهاد، وجهز جيشاً كبيراً لمهاجمة بلاد الفرنجة والجلالقة والبشكنس وقشتاله ونجح الجيش في تحقيق انتصارات رائعة، وعاد إلى قرطبة بالغنائم والسبي وذلك في عام 175هـ/791م[7].

وكرّر هشام الحملة مرة أخرى في عام 176هـ/792م ودخل جيش الإسلام مناطق جديدة إضافة إلى تلك التي دخلها في حملته السابقة وأعاد جيش المسلمين أربونة إلى دولة

---

(1) اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ وفاته سواء في اليوم أو الشهر أو السنة. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص105؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص280؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص159؛ ابن كثير: المختصر، ج1، ص155؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص333.

(2) هشام بن عبد الرحمن بن معاوية: يكنى أبو الوليد حاكم الأندلس، ولد في الأندلس في 4 شوال عام 139هـ/757م، وتوفي بعد سبع سنين وشهور من خلافته في صفر عام 180هـ/796م، بعد حياة مليئة بالعدل والإيمان والجهاد حتى أن البعض يشبهه بعمر بن عبد العزيز. انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص450؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص208؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص42.

(3) سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية: أكبر إخوانه ولد بالقيروان سنة 135هـ/752م، وكان والياً على طليطلة أثناء إمارة أبيه وخرج على حكم أخيه وتصالحا ثم خرج على حكم ابن أخيه الحكم فحبسه ثم قتله عام 185هـ/801م. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص284؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج24، ص229.

(4) عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية: يكنى بالبلنسي، أمير أموي، حضر وفاة أبيه في قرطبة وأخذ البيعة لأخيه هشام حتى قدم من ماردة وكان والياً عليها خرج على حكم أخيه هشام ثم تصالحا وخرج على حكم ابن أخيه الحكم ولكنه توفي قبل أن يفعل شيء في عام 208هـ/823م. الزركلي: الأعلام، ج4، ص95.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص284؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص165-166.

(6) من هؤلاء مطروح بن سليمان في سرقسطة، وسعيد الأنصاري في طرطوشة، وفتنة البربربتاكرنا. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص166.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص289، ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص159.

الإسلام[1]، ودارت معركة حاسمة بين المسلمين والنصارى على السهل الواقع بين مدينتي أربونة وقرقشونة كانت الغلبة فيها لجند الإسلام وعادوا إلى قرطبة محملين بالغنائم والأسرى[2]، وقبيل وفاته سيَّر حملةً أخرى إلى جليقية، ووصل المسلمون إلى استرقة، وفرَّ سكانها إلى رؤوس الجبال ودارت عدة معارك بين المسلمين والجلالقة انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة الجلالقة، وعادوا سالمين غانمين وحققوا شيئاً من الأمن والهدوء في تلك المناطق حيناً من الزمن كان ذلك في سنة 179هـ/795م[3] وهي آخر غزوات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية حيث عاجلته المنية في صفر سنة 180هـ/18 أبريل سنة 796م بعد حكم استمر قرابة من ثماني سنوات قضاها في العدل والإحسان والجهاد وتوطيد أركان الدولة الإسلامية حيث شهدت ولايته نوعاً من الهدوء والاستقرار الداخلي[4].

خلف هشام في إمارة الأندلس ابنه الحكم[5] الذي استغل الهدوء والاستقرار الذي خلَّفه له أبوه في الأندلس والذي لم يستمر طويلاً باستئناف الجهاد ضد أعداء دولة الإسلام فأرسل حملة عسكرية في 180هـ/796م إلى بلاد الفرنجة وقشتالة والبشكنس واستولى على قلعة قلهرة[6] ثم عاد إلى قرطبة سالماً غانماً[7].

لم يستمر الهدوء طويلاً حتى خرج على الحكم الأموي عدد من الخارجين[8] الذين أشغلوا الدولة عن الجهاد وقمع المشركين؛ ليتفرغ الحكَم إلى قتالهم ويسعى لإخماد الفتن

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص296؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص166؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص160؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص337.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص297؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص227.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص306؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص168؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص160؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص338.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص450؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص68؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص228.

(5) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية: كنيته أبو العاص، ولد سنة 154هـ، حكم الأندلس بعد موت أبيه في 8 صفر 180هـ توفى وله تسعة عشر ولداً وإحدى وعشرين بنتاً عن عمر يناهز اثنتان وخمسون سنة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص168.

(6) قَلَهُرة: مدينة من أعمال تطيله في شرقي الأندلس. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص393.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص309؛ ابن عذاري: البيان، ج1، ص169.

(8) من هؤلاء عماه سليمان وعبد الله، وبهلول ابن مروان في الثغر الأعلى، وأبناء عبد الواحد بن مغيث في سرقسطة، وثورة أهل الربض وغيرهم. انظر: مجهول، أخبار، ص117 وما بعدها؛ ابن الأثير، ج5، ص309؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص169؛ محمود: المسلمون في الأندلس، ص75.

والثورات التي نشبت في أكثر من جهة وتمكن من إفشال أكثر من محاولة لخلعه والتمرد عليه[(1)] واستغل النصارى هذه الظروف في بلاد المسلمين وبدأوا يُسَيِّرون حملات عسكرية إلى الدولة الإسلامية وتمكنوا من استعادة مدينة برشلونة[(2)] عام 185هـ/801م[(3)] وحاصروا مدينة طرطوشة ولكنهم لم يتمكنوا من استعادتها بفعل صمود المدينة وإرسال الحكم جيشاً لإنقاذ المدينة حيث دخل في عدة معارك مع الفرنجة انتهت بهزيمة الفرنج وانتصار المسلمين وإنقاذ طرطوشة وذلك سنة 193هـ/809م[(4)].

استمر الحكَم في سياسته العسكرية في **اتجاهين الأول**: قمع الخارجين على الدولة الذين لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم الساعية لإسقاط الحكم الأموي في الأندلس حيث كان لهم الحكَم بالمرصاد. **والاتجاه الثاني**: مواجهة الخطر النصراني، وصدُّ هجماتهم على أطراف دولة الإسلام وكذلك إرسال حملات عسكرية إلى تلك البلاد للانتقام منهم على اعتدائهم على دولة الإسلام في الأندلس ففي عام 194هـ/810م هَبَّ الحَكَمُ لإغاثة امرأة وصلته صرختها "واغوثاه يا حكم" فاخترق بلاد الفرنجة وأثخن فيها، وافتتح عدة حصون ثم عاد سالماً غانماً منتقماً لتلك المرأة[(5)] التي أقنعها ما قام به الحَكَمْ من انتقام لها وللمسلمين في تلك المنطقة[(6)]. وفي

(1) محاولات خلعه تكررت من فقهاء المالكية الذين ازداد نفوذهم في عهد أبيه هشام وكذلك أصبغ بن عبد الله وغيرهم.. انظر: مجهول: أخبار، ص118؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص68؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص335؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص160؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص162؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص59 وما بعدها.

(2) وكان النصارى قبلها أيام خلافة عبد الرحمن بن معاوية قد تمكنوا من استعادة عدد من المدن التي كانت تحت سيطرة المسلمين مستغلين الخلافات والفتن وانشغال جيش المسلمين في تأديب الخارجين على الدولة الإسلامية، ومن هذه المدن والحصون: لُك وبرتقال وشلمنقة وشقوبية وآبلة وسمورة وقشتالة وتمكنوا أيضاً في خلافة الحكم عام 187م من استعادة تطيلة بسبب خيانة حاكمها يوسف بن عمروس وتحالفه مع الفرنجة وهكذا لم يترك الفرنجة فرصة في استرجاع المدن التي سيطر عليها المسلمين. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج5، ص335؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص254؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص330؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص215.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص335؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص235؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص162؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص338.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص170؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص163؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص340.

(5) مجهول: أخبار مجموعة، ص117.

(6) انطلقت هذه الصرخة من امرأة في منطقة يقال لها وادي الحجارة في ثغور الأندلس والذي نقلها للحكم الشاعر عباس بن ناصح انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص171؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص343.

عام199هـ/815م أغزى الحكم عمه عبد الله البلنسي برشلونة، وكان له فيها انتصارات عظيمة على الفرنج[1] وفي عام 200هـ/816م أرسل قائده عبد الكريم بن مغيث[2] إلى بلاد الفرنجة وخاض معهم عدة معارك استمرت لأكثر من ثلاثة عشر يوماً حقق فيها المسلمون انتصارات وعادوا محملين بالغنائم والأسلاب[3]، وكانت هذه آخر غزوة في عهد الحَكَم الذي استمر سبعٌ وعشرون سنةً وشهران حيث توفي في 26 ذي الحجة سنة 206هـ/22 مايو سنة 822م[4].

تولى الإمارة بعد وفاة الحكم ابنه عبد الرحمن[5] فاستقبله عبد الله البلنسي، عم أبيه، بالثورة والانفصال بمدينة تدمير والتفَّ حوله حشد كبير، وكان يهم بالزحف على قرطبة ولكن الموت عاجله؛ لتنتهي بذلك فتنة لطالما أزعجت وأقلقت الأمراء الأمويين منذ وفاة عبد الرحمن الداخل[6]، ولكن تدمير عادت للثورة من جديد ولم تهدأ ثورتها إلا عام 213هـ/828م[7] وحاولت بعض المناطق والأشخاص الخروج على الدولة الأموية ولكن عبد الرحمن تمكن من قمعهم وإعادتهم إلى الطاعة[8].

سار عبد الرحمن على نهج من سبقه فلم يمهل النصارى طويلاً، وبدأ مشروعه الجهادي مع أعداء الله مبكراً، فأرسل في عام 208هـ/823م حملة عسكرية بقيادة عبد الكريم بن مغيث

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص171.

(2) عبد الكريم بن مغيث: الحاجب الكاتب، قاد الجيوش لثلاثة من أمراء بني أمية هشام والحكم وعبد الرحمن وكان من قبله أبوه عبد الواحد قائد الجيوش لعبد الرحمن بن معاوية وكذلك أخيه عبد الملك فكانوا من أعظم وزراء وقادة الدولة الأموية في الأندلس توفي عقب عودته من الغزو في محرم 219هـ/824م؛ ابن حيان: المقتبس، ج1، ص12؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص135؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص175.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص426؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص172؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص340.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص450؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص68.

(5) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام: أمير الأندلس الرابع، يُطلق عليه عبد الرحمن الأوسط، ولد بطليطلة في شعبان عام 176هـ، وتوفي في 28 ربيع الأول سنة 238هـ عن عمر يناهز اثنين وستين سنة قضى منها إحدى وثلاثون سنة في الخلافة وبضع أشهر وكان حليماً جواداً شجاعاً ذو فقه وأدب وحفظ قرآن ورواية للحديث انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص122؛ ابن حيان: المقتبس، ج1، ص6؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص117؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص113.

(6) ابن الأثير، ج5، ص2؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص255.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص470؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص175.

(8) من هؤلاء الخارجين على دولة الإسلام ماردة واستمرت فيها الفتنة سبعة أعوام، قرطبة فتنة شعبية على نحو ما حدث في ثورة الربض. مجهول: أخبارمجموعة، ص124، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص490، ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص164.

إلى ألبة وقشتالة وليون وذلك كرد على اعتداءات الجلالقة والبشكنس على حدود الدولة الإسلامية فأدبهم وخرّب بلادهم وأحرق حصونهم، ولم يرفع عنهم السيف إلا بعد أن اشترط عليهم دفع جزية كبيرة وأن يطلقوا سراح الأسرى، ويدفعوا له ببعض وجهائهم كرهائن لتطبيق شروطه، وعاد عبد الملك إلى قرطبة سالماً غانماً[1].

وفي عام 209هـ/824م تحالف حاكم تطيله مع البشكنس لمواجهة الفرنجة الذين هاجموا البشكنس فاستغاث البشكنس بجيرانهم المسلمين فلبى المسلمون نداء الاستغاثة بعد موافقة عبد الرحمن واستطاع المسلمون والبشكنس إحراز نصراً ساحقاً على الفرنجة حيث أُسِر القائدان (أزنار وإبلو)[2].

عاد النصارى للإغارة على حدود الدولة الإسلامية بشكل استفز عبد الرحمن بن الحكم الذي سير لهم جيشاً كبيراً، بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسي وذلك عام 210هـ/825م فاخترق برشلونة وسار حتى جرندة[3] وهزم الفرنج في أكثر من مكان وأقام شهرين يتردد على بلاد الفرنجة بالغارات والقتل والسبي والأسر، وعاد مرة أخرى في عام 212هـ/827م وافتتح حصن القلعة في منتصف رمضان 212هـ/827م وأغار على برشلونة، ثم عاد منتصراً ظافراً بعد أن مزّق وهزم جيش النصارى في تلك البقاع[4].

لم يتمكن عبد الرحمن من مواصلة أعمال الجهاد ضد النصارى بسبب انشغاله بعدة ثورات[5] انتفضت بها البلاد فأعطاها كل جهده ووقته حتى تمكن من إخمادها؛ ليستأنف بعدها مشروعه الجهادي وذلك بتسيير الحملات العسكرية المتعاقبة لبلاد الفرنجة والجلالقة والبشكنس

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص471؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص164؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص175.

(2) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص256.

(3) جرندة: هي إحدى مدن إقليم غشكونيه المجاورة لجبال البرت من جهة الشمال. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص735.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص481؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص175، عنان: دولة الإسلام، ج1، ص257.

(5) من هذه الثورات المحلية الخطيرة: ثورة البربر بقيادة محمود بن راحلة في ماردة، وثورة هاشم الضراب في طليطلة، وسليمان بن مرتين وتمكن عبد الرحمن من إخماد هذه الثورات عبر ولاته وقادة جنده وأحياناً سار هو بنفسه، أهم ما ميز هذه الثورات عن غيرها التحالف مع الفرنجة. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج5، ص490-493؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص175 وما بعدها.

فتخترق أراضيهم وتحقق أهدافها ثم تعود[1]، وفي عام 225هـ/840م توجه عبد الرحمن على رأس حملة عسكرية إلى جليقية[2]، وكرر الأمر في عام 227هـ/842م بإرسال عبيد الله ابن البلنسي[3] في حملة عسكرية إلى بلاد العدو فوصل أربونة وشرطانية، وتكالب عليه الأعداء من كل ناحية لكن الله هزمهم ونصر المسلمين عليهم بعد قتال استمر طوال الليل[4].

لم يتوقف البشكنس عن التحرش بالأطراف بمعاونة حلفائهم الخارجين[5] على الدولة الإسلامية مما دفع عبد الرحمن بن الحكم للخروج لهم من جديد، والتقى الطرفان وتمكن عبد الرحمن من إلحاق هزيمة ساحقة بدولة البشكنس، وسار إلى بنبلونة، فخربها وأثخن فيها ومزق جيشهم مما دفع البشكنس لطلب الأمان والصلح فوافقهم عبد الرحمن؛ ليعود إلى قرطبة سالماً غانماً بعد أن ثبت هيبة الإسلام، ونشر الفزع والرعب في قلوب النصارى كان ذلك في عام 228هـ/842م[6]، كذلك توجه الأمير عبد الرحمن على رأس جيش كبير لتأديب الخارجين على دولته ثم توجه الجيش لتأكيد الهيبة الإسلامية إلى بنبلونة فأدبها ثم عاد إلى قرطبة كان ذلك عام 229هـ/843م[7].

أثناء ولاية عبد الرحمن بن الحكم تعرضت الأندلس لخطر جديد لم تعرفه من قبل، وهو مهاجمة سواحل الدولة الإسلامية من قبل النورمانيين[8] حيث رست ثمانون سفينة في مياه

---

(1) من هذه الحملات: حملة أخيه الوليد إلى جليقية، وحملة ابنه الحكم إلى بلاد الفرنجة، وحملة عبيد الله ابن البلنسي إلى ألبة والقلاع. للمزيد: انظر: ابن الأثير: الكامل، ج6، ص490؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص176؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص343.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص176؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص259.

(3) عبيد الله بن عبد الله البلنسي: جده عبد الرحمن بن معاوية أول أمراء الأندلس، تولى قيادة الجيش وخرج في عدد من الحملات العسكرية في بلاد الأعداء في خلافة الحكم وابنه عبد الرحمن وكان يلقب بصاحب الصوائف. المراكشي: المغرب، ج1، ص41؛ مصطفى: بنو أمية، 76.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص74؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177.

(5) من هؤلاء الخارجين موسى بن موسى حاكم تطيلة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص259.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص77؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص260.

(8) النورمانيين: اسم أطلقه المؤرخون على أهل الشمال "الفايكنغ" الغزاة القادمين من جهة البحار الإسكندنافية في القرن الثامن الميلادي؛ عملوا بالقرصنة، واستقروا في نورماندي ومنها انطلقوا إلى بريطانيا فاحتلوها، وهم الذين اكتشفوا أيسلاند في القرن التاسع الميلادي، أطلق عليهم المسلمون في الأندلس اسم الأردمان وسمتهم المصادر بالمجوس. الخطيب: معجم المصطلحات، ص427.

أشبونة[(1)] في سنة 230هــ/843م، وبقيت ثلاثة عشر يوماً قبل أن تتجه إلى مناطق أخرى[(2)] وقد استمر وجودهم في بلاد المسلمين اثنين وأربعين يوماً يخربون ويدمرون ويقتلون ويعيثــون فـــي الأرض فساداً قبل أن يتمكن المسلمون من صدهم ودحرهم عن بلادهم التي أثاروا فيها الرعــب والفزع، وعانى فيها المسلمون محناً وشدائد كثيرة اضطربت لها سائر الأنــدلس حيــث كانــت المعركة الحاسمة في 25 صفر سنة 230هــ[(3)] والتي أدرك من خلالها المعتدون أن الأندلس لــم تكن لقمة سائغة لهم، الأمر الذي دفعهم للصلح وطلب المهادنة من المسلمين فوافقهم علـــى ذلــك الأمير عبد الرحمن وذلك لتجنب خطرهم، وأخذ فرصة لتحصين المنــاطق المســتهدفة كمدينــة أشبيليه وكذلك الرغبة في عدم فتح جبهات قتال جديدة[(4)].

ما إنْ انتهى خطر النورمان حتى سارع الأمير عبد الرحمن باستئناف الجهاد ضد أعداء الله، فسيّر أكثر من حملة عسكرية[(5)] إلى القلاع وبلاد البشكنس وجليقية وجزائر فـــي البحــر[(6)] وتحالف مع أحد الخارجين على دولة الفرنجة ووجَّه حاكم مدينة طرطوشة وسرقســطة لتقــديم العون والمساعدة والتأييد له ضد مملكة الفرنجة حيث هاجم جرندة وحاصر برشــلونة وخــرب حصونها، وعاث في بلاد الفرنجة تدميراً[(7)]. وبهذا استطاع الأمير عبد الرحمن الحفــاظ علـــى حدود دولته من عبث المشركين بهذه الحملات المستمرة والمتتالية على بلاد الأعداء وكانت هذه الحملات تحقق أهدافها وتعود سالمة غانمة.

---

(1) أشبونة: مدينة بالأندلس يتصل عملها بأعمال شنترين، وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربـــي قرطبـــة. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص16.

(2) هذه المناطق هي: شذونة، وقادس، وأشبيلية، وطلياطه، ولبة، وباجة. ابن عذاري: البيـــان المغـــرب، ج1، ص177.

(3) المراكشي: المغرب، ج1، ص49؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص84؛ ابن خلـــدون: تـــاريخ، ج4، ص165؛ المقري: نفح، ج1، ص346.

(4) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص264.

(5) من هذه الحملات: حملة بقيادة ابنه هشام ومعه الوزير عيسى ابن شهيد إلى القلاع وبنبلونة، وحملة بقيـــادة ابنه محمد إلى جليقية وحاصر عاصمتها ليون، وحملة ابن مغيث إلى برشلونة، وحملة بقيادة ابنه المنذر إلى بلاج الفرنجة. للمزيد: ابن الأثير: الكامل، ج6، ص110؛ ابن عذاي: البيان المغرب، ج1، ص177؛ ابـــن خلدون: تاريخ، ج4، ص166.

(6) هذه الجزائر هي جزيرة ميورقة ومنورقة وذلك لاعتدائهم على سفن المسلمين فأدبهم ونكل بهم وعاد بعد أن أعلنوا الولاء والطاعة من جديد ودفعوا الجزية. ابن عذاري: البيان، ج1، ص178؛ عنان: دولة الإســـلام، ج1، ص265.

(7) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص265.

وفي عام 238هـ/852م كانت وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم التي شكلت نهاية لعهد الإمارة الأول لأمراء بني أمية في الأندلس[1]؛ ليبدأ بذلك عهد جديد بولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن[2] الذي تسلم من أبيه مملكة تنعم بالأمن والهدوء والاستقرار مَهيبة الجانب ثابتة الأركان.

ثانياً- الخدع العسكرية لأمراء بني أمية في الأندلس في الفترة الأولى من عهد الإمارة:

ما كان لأمراء الأندلس من بني أمية أن يتغلبوا على أعداء دولتهم سواء في خارج الأندلس أو داخلها من المسلمين والمشركين إلا بالقوة التي يصاحبها **المكر** و**الحيلة** والخديعة، لذا نجدهم استخدموا أسلوب **المكر** و**الخداع**؛ ليصلوا إلى أهدافهم ومبتغاهم فعلى الصعيد الداخلي لم يتركوا **حيلة** أو خديعة إلا واستخدموها مع الخارجين على دولتهم[3]. **أما عن أساليب المكر والخداع التي استخدموها مع أعداء الدولة من الكفار والنصارى فكانت على النحو التالي:**

1- القيام بهدم الحصون والقلاع المجاورة لبلاد المسلمين: **حيلة** استخدمها المسلمون حتى لا يتخذها الأعداء كمائن متقدمة ونقاط انطلاق لجيوشهم اتجاه بلاد المسلمين فما من قلعة أو

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص453.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان: أمير الأندلس، البليغ الأديب، كان مولده ووفاته في قرطبة من عام 207-273هـ/822-886م مكث في الحكم أربع وثلاثين سنة وصفت بالعدل والإحسان للرعية، أنجب قرابة الخمسين ولد، كان كثير المغازي والغارات على بلاد الفرنجة؛ ابن حيان: المقتبس، ج1، ص60؛ الزركلي: الأعلام، ج6، ص189.

(3) من هذه الحيل: ما فعله عبد الرحمن الداخل مع يوسف الفهري والصميل من استمالة لهم؛ ليتقي شرهم ثم قتلهم بعد استتباب الأمر له، كذلك الطلب من الثائرين على الدولة إبقائهم رهائن في حال الصلح معهم ليضمن عدم عودتهم للثورة من جديد، خداع بعض الثائرين بمنحهم الأمان ليستقدمهم إلى قرطبة ثم يقتلوا هناك مثل ما فعل مع أبو الصياح الثائر في أشبيلية، استهداف الثائر نفسه بالقتل بدس أحد أتباعه، أو من يدعي أنه من أتباعه فيقتل الثائر وتنتهي معه ثورته مثل ما حصل مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وأبان بن معاوية بن هشام، والفاطمي وغيرهم، اتباع سياسة فرق تسد وذلك بإغراء بعض الوجوه التي تلتف من حول الثائر بالمال والسلطان والأمان فيتفرقوا من حوله ويضعفوا موقفه مثل ما حدث مع البربر الذين كانوا منظمين لثورة حيوة بن ملامس في أشبيلية، كذلك اتباع أسلوب الكمائن خارج المدينة الثائرة لقتل الثائرين إذا ما خرجوا للسيطرة على مدينة أخرى مثل ما فعل ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب مع أهل طليطلة عندما خرجوا ليسيطروا على قلعة رباح؛ وغيرها من أساليب **المكر** و**الخداع** والحيل التي استخدمها أمراء بني أموية في الأندلس مع الخارجين على دولتهم بجانب القوة المفرطة في بعض الأحيان وذلك لإثارة الرعب في نفوس الخارجين على دولتهم. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص86، 92 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص106.

حصن قريب من بلاد الإسلام إلا وأغار عليه جند الإسلام فخربوه وحرقوه ودمروه حتى لا يصبح آهلاً بالسكان وهو منهج وأسلوب قتال سار عليه غالبية قادة الجند في العصر الأموي[1].

2- أخذ رهائن من الخاضعين للصلح وطالبي الأمان: **حيلة** اتبعها الأمويون داخلياً وخارجياً وذلك حتى يأمنوا عدم قيامهم بقتالهم مرة أخرى ويضمنوا وقوفهم على الحياد في صراعهم مع غيرهم من الخارجين أو الطامعين في دولتهم[2].

3- قتل أكبر عدد ممكن من النصارى المعتدين على دولة الإسلام: **حيل** استخدمها الأمويون لإثارة الرعب والخوف في نفوس أعداء الله، وذلك حتى يكون رادع لهم في عدم العودة لبلاد الإسلام[3].

4- الإقامة في بلاد العدو للغزو والقتال أياماً وشهوراً عديدةً: أساليب قتال و**خدع** هدف من خلالها الأمراء الأمويون إنهاك قوى العدو وحتى يلزموا الهدوء والسكينة بعدها، ثم ينشغلوا بإصلاح ما دمَّره المسلمون خلال إقامتهم عندهم فيكون ذلك رادعاً لهم ولو لفترة من الزمن عن مهاجمة بلاد المسلمين[4].

5- في عام 179هـ/795م وجّه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية جيشاً إلى بلاد الجلالقة، فاقتحمها حتى وصل إلى أسترقة، فحشد الجلالقة وبالاستعانة بحلفائهم جيشاً كبيراً، وقاموا بتفريق السكان في شواهق الجبال، وذلك في **حيلة** منهم لعدم تمكن المسلمين من إثارة الرعب في نفوس السكان، ولكن المسلمين لجأوا إلى **حيلة** تثير نفوس الأهالي على حاكميهم، فأحرقوا بيوتهم ودمروا زروعهم وما وجدوا مالاً إلا أخذوه مما أحدث خسائر فادحة لديهم ونكاية كبيرة لهم ثم هجموا على الجيش هجمة رجل واحد حتى هزموهم وقتلوا حامية المدينة ومن أخذوه من الأسرى تأديباً لهم[5]، كذلك في هذه المعركة استخدم

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص297؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص167.

(2) مثال على ذلك عندما غزا عبد الرحمن الداخل بلاد شرطانية وصالح ملكها (فحل بن بَلَسْكوط) على الجزية أخذ ابنه رهينة. مجهول: أخبار مجموعة، ص104.

(3) مثلما حدث في عام 176هـ/792م عندما غزا يوسف بن بخت جليقية قتل منهم عدد كبير منهم وحز رؤوس عشرة آلاف منهم وذلك تأديباً لهم على اعتداءاتهم المتكررة على بلاد الإسلام. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص166.

(4) مثل حملة عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الفرنجة عام 177هـ/793م، وكذلك حملة عبيد الله المعروف بابن البلنسي عام 210هـ/825م. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص481؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص166.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص166.

المسلمون **حيلة** أخرى وهي تقسيم الجيش إلى قسمين ودخل كل قسم من ناحية دون أن يشعر الجلالقة بهذا التقسيم فتحفزوا لقتال جيش وإذا بهم يفاجأون بجيش آخر يدخل من ناحية أخرى فأربكهم وأحدث فزع في صفوفهم وفروا من أمام المسلمين إلى الجبال والأودية[1].

6- اعتماد سياسة الأرض المحروقة: **حيلة** وأسلوب قتال استخدمه الأمراء الأمويون وذلك للنيل من أعدائهم مثال ذلك عندما تحصن ملك الجلالقة[2] في حصن بناه وأتقنه؛ ليتمكن من خلاله صد هجمات المسلمين تقدم إليه جيش المسلمين كما يقول ابن عذاري: "مقتفياً أثره فلا يمر بمنزل فيما بينه وبين الحصن إلا وحرقه ولا مال حتى أصابه حتى أطل على الحصن فدمره"[3] ووقع في الأسر قائد جيش الجلالقة في هذه المعركة[4].

7- في عام 180هـ/796م سير الحَكَمُ جيشاً كبيراً مع القائد عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنجة فأقام في ثغر الأندلس ثم تقدم وتمركز في منطقة على شاطئ البحر، ثم لجأ إلى **حيلة** يحقق من خلالها انتصاراتٍ وظفر على الأعداء وبأقل الخسائر حيث قام بتقسيم جيشه إلى ثلاثة أقسام بمعنى أصبح لديه ثلاثة جيوش ووضع على كل قسم قائد وأمر كل قائد أن يدخل من ناحية وهنا لم يعلم الأعداء من أي ناحية يقاتلون وأصبح هَمُّ كل واحد منهم كيف ينجو بنفسه وفي طريق عودته وجد خليجاً تمد وتحصر فيه المياه، وكان أهل تلك النواحي قد تحرزوا بهذا الخليج ووضعوا فيه أموالهم وماشيتهم وعيالهم فأغار عليه، وأخذ جميع ما فيه وعاد مثقلاً بالغنائم والأسلاب[5].

8- في سنة 199هـ/815م هاجم الفرنجة المتواجدون في برشلونة بلاد المسلمين فهبت حامية المدينة لقتالهم، فأوقفهم عبد الله البلنسي حاكم المدينة وقال لهم: انتظروا، فأمهل المشركين حتى ظنوا أنه لا يوجد في المدينة من يدافع عنها ثم أخذ بترتيب صفوفه ثم انتظر حتى جاء وقت الزوال من يوم الجمعة ثم نهض فصلى ركعتين ثم نادى في الناس للجهاد ثم هجم هو ومن معه وقاتل المشركين حتى ردهم عن المدينة ولم يتمكنوا من استعادتها[6].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص306؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص160.

(2) ملك الجلالقة ادفونس حيث بنى الحصن على وادي نلون في شمال الأندلس ويطلق عليه حصن ملكه. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص167.

(3) ابن عذاري: البيان، ج1، ص167.

(4) ابن عذاري: البيان، ج1، ص167.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص309؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص169.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص171.

9- حاصر الفرنجة طرطوشة أو طرسوسة وذلك لضمها لبلادهم وأثناء الحصار قام المسلمون بمهاجمة الخطوط الخلفية للقوات المحاصرة مما أحدث إرباك في صفوف العدو مما دفعهم لرفع الحصار عن المدينة والعودة دون أن يتمكنوا من استعادتها(1).

10- القتال في الليل من **الحيل** التي استخدمها قادة الجيوش في العصر الأموي يقول ابن عذاري: "غزا عبيد الله المعروف بابن البلنسي أرض الفرنجة حتى وصل بين أربونة وشرطانية أحاطه الأعداء من كل جانب فتوقف عن القتال، وقاتلهم ليلاً فانتصر عليهم"(2) استخدم عبيد الله هذه **الحيلة** وذلك لعلمه أن الغزاه لا يعرفون طبيعة المكان وجغرافيته وخبرته هو وجنوده بالمكان وطبيعته لذلك كان الانتصار حليف جيش المسلمين على الرغم من ضخامة عدد جيش العدو.

11- قتل قائد الجيش مع بداية المعركة: **حيلة** استخدمها قادة الجند في عهد أمراء بني أمية في الأندلس وذلك لحسم المعركة من بدايتها وإحداث فوضى وإرباك في الجيش المعتدي سواء كان هذا الجيش داخلي أو خارجي(3).

12- هدم أسوار المدن المعتدية على بلاد المسلمين: **حيل** وأسلوب قتال استخدمه قادة المسلمين وذلك حتى تبقى المدينة مشاع ولا يوجد ما يحميها وتبقى دائماً متحفزة تخشى الغزو مما يدفعها للتوقف عن الاعتداء على بلاد الإسلام(4).

13- قال ابن عذاري: "في أوائل ذي القعدة عام 200هـ/816م أرسل الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد المشركين فدخلها وتوسطها وأهلك معاشها ومرافقها ومعظم زرعها وهدم منازلها وحصونها حتى استوفى جميع قرى وادي أرون فتداعى المشركون لقتال المسلمين ونزلوا بعدوة نهر أرون وأصبح حاجراً بينهم"(5)، حاول الفرنجة استدراج المسلمين؛ ليقتحموا النهر ولكن قائد المسلمين المجرب العارف طلب من جنده التشبت بمواقعهم وعدم التحرك مطلقاً وكانت هذه **حيلة** وخديعة منه للمشركين الذين توهموا خشية المسلمين منهم وعدم مقدرتهم على قتالهم فدفعهم الغرور إلى اقتحام النهر لقتال المسلمين فاستقبلهم جند الإسلام الذين أخذوا مواقعهم وتحفزوا لأعداء الله بناءً على طلب قائدهم ثم حملوا عليهم حملة

(1) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص163.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص74؛ البيان المغرب، ج1، ص177.

(3) مثال على ذلك ما قام به محمد بن عبد الرحمن الأوسط حينما أغزاه والده بلاد الجلالقة فوصل إلى بنبلونة فقتل حاكمها ويدعى غرسية وذلك تأديباً له على تحالفه مع بعض الخارجين على دولة الإسلام مثل حاكم طليطلة. ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص165.

(4) مثل ما فعلوا مع مدينة ليون عام 231هـ/844م. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص166.

(5) البيان المغرب، ج1، ص172.

واحدة حتى أضغطوهم إلى المضايق والحفر وكانت هذه **حيلة** أخرى حيث لم يتمكن أعداء الله من القتال في تلك الأماكن الضيقة فأثخنوا فيهم القتل بالسيوف والرماح والدرس بالخيول والغرق في المياه والتردي في الحفر فقتل منهم ما لا يعد ولا يحصى(1).

14- التحالف مع بعض الناقمين على دولة الشرك: **حيل** استخدمها المسلمون لتحقيق أهدافهم والظفر بأعدائهم وذلك إما من خلال تحريضهم على القتال أو التعرف منهم على الطرق والدروب ونقاط الضعف عند عدوهم أو مدهم أحياناً بالسلاح والرجال(2).

15- عندما خرج النورمان من ناحية البحر من أقاصي بلاد الأندلس، ودارت بينهم وبين المسلمين العديد من المعارك في بدايتها كانت الغلبة والفوز للنورمان ولكن المسلمين لجأوا إلى أكثر من **حيلة**؛ ليتغلبوا عليهم ويكسروا شوكتهم. حيث ترجل معظم الجيش من على خيولهم وربما لم يكن النورمان يجيدون هذا النوع من القتال لذلك لجأ المسلمون إلى ذلك، كذلك مهاجمة ظهر الجيش وقواته الخلفية مما أحدث قتل كبير في صفوفهم، قطع رؤوس القتلى وتعليقها على جذوع الأشجار ومداخل المدن مما أثار فزعاً ورعباً في نفوسهم وجعلهم يشعرون أنهم أمام مقاتلين بلا شفقة ورحمة على أعدائهم، وتوالي الإمدادات دون توقف الأمر الذي جعلهم يشعرون أنه كلما طال أمد المعركة كلما تكالب عليهم جند الأندلس مما دفعهم للفرار من ساحة المعركة، التركيز على قائد الجيش وقتله مما أشاع حالة من الذعر والهلع والإرباك في نفوس المجوس خاصة عندما شاهدوا رأسه معلق على الرماح، ولإمعان النكاية بهم أُرسلت رأس زعيمهم ومائتا رأس أخرى إلى مناطق النورمان والمناطق المجاورة لبث الرعب في نفوسهم؛ وليكونوا عبرة لمن لا يعتبر، واستخدام المنجنيق في المعركة أربك النورمان وأثار حالة من التشتت في صفوفهم؛ وبهذا تمكن المسلمون من رد هذا الخطر الذي كان سكان الأندلس والمناطق المجاورة يحسبون له ألف حساب وذلك لشدتهم وبأسهم في القتال(3).

وهكذا تمكن أمراء الأندلس الأمويين في عهد الإمارة الأول والذي استمر مائة عام من الحفاظ على دولتهم من أعدائها سواء في الداخل أو الخارج بالسيف تارة و**بالمكر** و**الخداع** و**الحيل** تارة وبالصلح والمهادنة والملاطفة تارة أخرى، حيث كانت كثير من معاركهم القصد منها إيقاع الرعب في قلوب المشركين، وتدمير بلادهم وإنهاك قواهم وإشغالهم في أنفسهم وعدم ترك مجال لهم للراحة وترتيب أوضاعهم حتى يلتزموا الهدوء ويكفوا عن عدوانهم وعبثهم في أراضي المسلمين لذلك نجد تتابع الغزوات واستمرارها.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص369؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص339.

(2) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص265.

(3) المراكشي: المغرب، ج1، ص49؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص84؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص177؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص346.

المبحث الثاني

الخدع العسكرية للمسلمين في الفترة الثانية من عهد الإمارة 238-300هـ 852-912م

بتولي محمد بن عبد الرحمن الأوسط[1]، بدأ عهد الإمارة الثاني[2] لأمراء بني أمية وذلك لأن عهده كان فاصلاً بين عصر القوة والسيطرة لمن سبقه من أمراء بني أميـــة وبـــين عصـــر انتشرت فيه الفتن والخروج على الدولة الإسلامية في شتى بقاع الأندلس[3]، وتَجرُّؤ النصـــارى على بلاد الإسلام واستعادوا عدد من المدن والمواقع التي كان يسيطر عليها المسلمون[4].

فالحُكم الرشيد، والمملكة الثابتة الأركان، التي تنعم بالأمن والأمان، والهدوء والاستقرار، الذي تركه عبد الرحمن الأوسط لابنه محمد لم يدم طويلاً، وكان يخفى خلفه كثير مـــن الثـــأرات والتيارات التي تهدد استقرار وهدوء الدولة الإسلامية ومقياس أمن وسلامة الدولة كان يتـــأرجح بانتظار العديد من الهزات الارتدادية التي سيخلفها زلزال الثورات الحاقدة والغـــزوات الغـــادرة والدسائس الماكرة للنصارى في شتى أنحاء الدولة، فبذور الفتنة والخيانة مغروسة فـــي صـــدور الخارجين على الدولة والحاقدين على الإسلام الذين سرعان ما عادوا من جديد لسيرتهم الأولـــى في الغدر والخيانة والمشاكل والقلاقل التي جُمدت في بعض الأوقات بسبب سياسة القوة والحـــزم التي اتبعها أمراء بني أمية الأوائل في الأندلس[5].

(1) أطلق هذا اللفظ على رابع خلفاء بني أمية في الأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وذلك لتمييزه عـــن جده الثاني عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل أول أمراء بني أمية في الأندلس. القضاعي: الحلة، ج1، ص113.

(2) العهد الثاني لفظ أطلق على الفترة من 238هـــ/852م إلى 300هـــ/912م والتي حكم فيها ثلاثة من أمـــراء بني أمية هم محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن. انظر الملاحـــق جدول رقم (2).

(3) لعل من أهم الثورات وأشد من خرجوا على الدولة الأموية في هذا العهد: فتنة ابـــن حفصـــون فـــي قلعـــة ببشتروما جاورها، وابن مروان المعروف بالجليقي، وموسى بن قسي وابنه مطرف، وكـــذلك ثـــورة أهـــل طليطلة واشبيلية. للتعرف على مزيد من الثورات في هذا العهد انظر: ابن عذاري: البيـــان المغـــرب، ج1، ص198؛ ابن خلدون: تاريخ: ج4، ص172.

(4) من هذه المدن التي استعادها النصارى في هذه الفترة مدينة سمورة في الشمال الغربي الأندلسي وهي مـــن أهم المدن الحدودية. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص193.

(5) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص289.

فما هي إلا أيام قلائل انقضت من حكم محمد بن عبد الرحمن حتى بدأت ملامح الثـورة على الحكم الأموي في الأندلس في الظهور، وكانت الشرارة من طليطلة ثم بعد ذلك عمت بـاقي مدن الأندلس لتصبح سمة هذه الفترة من حكم الأمويين في الأندلس هي الثورة والفتنـة، والتـي قدر لأمراء تلك الحقبة أن يضطلعوا بالقضاء عليها طوال فترة حكمهم[1].

أولاً- العمليات العسكرية في الفترة الثانية من حكم بني أمية في الأندلس:

تمكن الأمير محمد بن عبد الرحمن من إنهاء ثورة أهل طليطلة التي وقعـت فـي سـنة ولايته منتصف ربيع الثاني عام 239هـ/852م بالطرق السلمية، وتبادل الرهائن[2]، ولكنهم فـي شوال من عام 239هـ/853م تعرضوا لجيش الأمير محمد وهو خارج فـي إحـدى غزواتـه، وأوقعوا فيه القتل بشكل كبير[3]، الأمر الذي استفزّ الأمير محمد، فخرج إليهم بنفسه علـى رأس جيش كبير وذلك في محرم عام 240هـ/890م[4] وذلك لتأديبهم على خـروجهم علـى الدولـة وقتلهم لجنود الجيش الإسلامي، وعندما علم أهل طليطلة بذلك أرسـلوا إلـى ملـك جليقيـة[5] يستنجدونه ويطلبون منه العون والمساندة وكان من عادته دعم ومؤازرة الخارجين على الدولـة الإسلامية ودعمهم بشتى السبل والوسائل، لذلك سارع بإرسال جيش كبير وذلك لمسـاندة أهـل طليطلة وصد الهجوم الإسلامي على حلفائه[6] وعلم الأمير محمد بمساندة ملك جليقيـة لسـكان طليطلة قبل أن يصل إليها، فبدأ يفكر بطريقة يكسر فيها قوة وشوكة جيش النصـارى ويخضـع فيها المدينة، وما كان له أن يحقق ذلك أمام الحشد الضخم من المقاتلين الذين حشـدهم أعـداؤه على أبواب طليطلة خاصة وأنها المعركة الأولى وهو حاكم الأندلس، **فلجأ إلى المكر والخديعـة والحيلة والكيد مع أعدائه حتى انتصر علـيهم فـي واحـدة مـن المعـارك التـي وصـفها المؤرخون[7]، بأنها "لم تشهد الأندلس مثلها لا قبلها ولا بعدها"[8]** وقتل في المعركة من جـيش

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص291.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص119.

(4) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص168.

(5) ملك جليقية هو أردن بن إدفونش المعروف بـ (أردونيو الأول) وجعل على قيادة الجـيش أخـاه (غثـون) كونت برجو. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص121.

(6) النويري: نهاية الأرب، ج23، ص227؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص135.

(7) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص455؛ الذهبي: العبر، ج2، ص58؛ العكري: شذرات، ج2، ص165.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج6،ص120؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180؛ ابن خلـدون: تـاريخ، ج4، ص167.

النصارى وحلفائهم قرابة العشرون ألفاً، وهناك من يقول ثلاثمائة ألف قتيل[1]، وقام الأمير بقطع رؤوس قرابة ثمانية آلاف منهم وأرسلها؛ لتعلق على أبواب المدن؛ لتكون عبرة لمن لا يعتبر وتدفع الآخرين للتوقف عن ثورتهم والاستقواء بالنصارى الحاقدين[2]، توقف إزعاج طليطلة للحُكْم الأموي بعد هذه المعركة وأصدر الأمير محمد أوامره باستكمال ترميم الحصون والقلاع المجاورة لطليطلة؛ لتكون موطناً للعرب ومن بقوا على ولائهم للحكم الأموي في الأندلس؛ ليكونوا عيناً للدولة في تلك البقاع وسنداً لها عند أي اعتداء[3].

استمراراً لجهود الجهاد والمقاومة للتدخل النصراني في الشأن الداخلي الإسلامي والاعتداءات المتكررة على حدود دولة الإسلام، قام الأمير محمد بحشد قواته والتوجه إلى ألبة والقلاع وبلغ إلى أبعد مدى وافتتح كثيراً من حصون المشركين وذلك عام 241هـ/855م[4]، كذلك كتب إلى عامله موسى بن موسى[5] بحشد أهل الثغور، والدخول إلى ألبة والقلاع، فقام بذلك وفتح كثير من حصون العدو ثم توجه إلى برشلونة فدخلها وافتتح حصوناً في أحوازها وذلك عام 242هـ/856م[6].

عاد أهل طليطلة للثورة والخروج على الدولة وذلك بتحريض ودعم من النصارى فأرسل لهم ابنه المنذر على رأس قوة كبيرة فحاصر المدينة وأدبها[7] وفي عام 243هـ/857م

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص455؛ الذهبي: سير، ج8، ص263.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص120؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج1، ص120.

(3) أرسل الأمير محمد أخاه الحكم؛ ليعيد ترميم قلعة رباح التي تركها أهلها خوفاً من نصارى طليطلة فأعاد بناء أسوارها وحصنها وأعاد من فر من أهلها، وكذلك فعل بحصن شندلة الواقع على نهر شندلة أحد أفرع النهر الكبير، وكذلك حصن أنده على مقربة من مدينة جيان وعرف بأندة العرب. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص294.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص181.

(5) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي: أشهر أفراد هذه الأسرة المعروفة باسم قسي والتي حكمت الثغر الأعلى منذ القرن الثاني الهجري حتى أوائل القرن الرابع، وكان جده الأعلى قسي كونت الثغر الأعلى في أواخر أيام القوطيين، ولكنه أسلم بعد توجه إلى الشام على يد الوليد بن عبد الملك، وأخوه مطرف كان آخر ولاة المسلمين على بنبلونة وأخوه لب كان والياً على برجة وكان موسى أحياناً يخرج على الدولة وأخرى يصطلح معها إلى أن قتل على يد زوج ابنته أزراق بن سالم صاحب وادي الحجارة عام 248هـ/862م. ابن حيان: المقتبس، ص235.

(6) ابن حيان: المقتبس، ص236؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

(7) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181.

خرج إليهم حاكم طلبيرة(1) وأوقع فيهم القتل، وأرسل مئات الرؤوس إلى قرطبة وذلك بسبب اعتدائهم على مدينته(2)، وفي عام 244هـ/858م خرج الأمير محمد بنفسه مرة أخرى لتأديب أهل طليطلة وذلك حتى لا يستجيبوا لتحريض النصارى ويقفوا عند حدهم، فحاصر المدينة وشدد في حصارها **ولجأ الأمير محمد مرة أخرى للحيلة والخديعة للانتصار عليهم**، ونجح في ذلك وكسر شوكتهم حتى اضطروا إلى طلب الصلح والأمان والنزول على طاعة الأمير، فوافقهم الأمير على ذلك(3) وهو يعلم أنهم سيعودون للنكث ثانية وذلك بفعل تأثر المدينة بالعديد من التيارات النصرانية الخطيرة والتي كانت تتغلغل في المدينة وتثير نفوس سكانها بين الحين والآخر على الحكام الأمويين في قرطبة، ولعل موقع المدينة وحصانتها وقوتها كان يغري سكانها للخروج والثورة(4).

ما إن انتهى جيش المسلمين من إخماد الثورة في طليطلة، حتى عاد النورمان لمهاجمة شواطئ الأندلس من جديد، ولم يكن هجومهم هذه المرة مفاجئاً للمسلمين كما حدث في المرة الأولى كما يقول ابن عذاري: "فوجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدة"(5) مما اضطرهم إلى التوجه إلى بلاد الفرنجة ثم جليقية وتمكنوا منهم واعتقلوا حاكم بنبلونة(6)، ثم عادوا من جديد إلى بلاد المسلمين وتمكنوا من دخول بعض المناطق(7)، ولكن جيش المسلمين خرج إليهم واشتبك معهم وتمكن من دحرهم عن بلاد الإسلام بعدما أحرقوا عدداً من مراكبهم وسيطروا على عدد آخر كان ذلك عام 245هـ/859م(8).

استغل الأمير محمد فرصة اعتقال حاكم بنبلونة، فطلب من حاكم طرسوسة القيام بغزو بنبلونة، وذلك تأديباً لهم على تحالفهم مع مملكة الجلالقة، على الفور نَفَّذَ حاكم طرطوسة الأمر فَأَعَد جيشاً عظيماً، ودخل بنبلونة وأقام فيها اثنين وثلاثين يوماً، يُخرِّب المنازل، ويحرق الثمار،

(1) طلبيرة: مدينة شرق الأندلس من أعمال طليطلة، كبيرة قديمة البناء، تقع على نهر تاجة. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص551؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص37.
(2) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص167.
(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص128.
(4) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص295.
(5) البيان المغرب، ج1، ص181.
(6) حاكم بنبلونة غرسيه ولم يخرج حتى افتدى نفسه بتسعين ألف دينار. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132.
(7) تمكن النورمان من دخول إشبيلية، والجزيرة الخضراء، وريف الأندلس، وتدمير، وأوربولة، وشذونة ودارت المعركة معهم في شذونة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص180.
(8) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص167.

ويفتح الحصون والقلاع والقرى[1]، واعتقل ابن حاكم بنبلونة ويُدْعَى "فرتون" المعروف بالأنقر، وعاد جيش المسلمين سالماً غانماً[2].

استمرت الحملات التي يُسَيِّرُها الأمير محمد إلى بلاد المشركين[3]، وكانت هذه الحملات تحقق أهدافها وتعود سالمةً غانمةً حتى خرج هو بنفسه عام 251هـ/865م على رأس جيش كبير إلى بلاد الجلالقة، فأوغل في بلادهم وأثخن فيهم القتل وخرَّب ديارهم ثم عاد سالماً غانماً[4].

كذلك سَيَّرَ الأمير محمد في العام نفسه حملة بقيادة أحد أبنائه[5] إلى بلاد المشركين فتمكَّن جيش المسلمين من دخول ألبة والقلاع وألحقوا بها دماراً وخراباً كبيراً، وهنا تداعى المشركون من كل ناحية لقتال المسلمين[6] والتقوا بموقع يُقال له "فج المركوين" أو "المركويز" وبه تعرف هذه المعركة واقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزم أعداء الله ولحق بهم المسلمون، والتقوا في مكان آخر وأيضاً تمكن منهم المسلمون وقتلوا منهم أكثر من عشرين ألف مشرك وأسر منهم عدداً ليس بالقليل كان ذلك في شهر رجب من عام 251هـ/865[7].

---

(1) من الحصون التي تم افتتاحها حصن قشتيل وحصن بيلسان وحصن فيروس، وحصن فالحسن. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص132-134؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص297.

(3) كان قد سير محمد بن السديم إلى بلاد العدو سنة 247هـ/867م، وسير ابنه عبد الرحمن عام 248هـ/862م على رأس حملة كبيرة إلى ألبة والقلاع، وكذلك سيره في حملة أخرى عام 249هـ/863م وكان يرافقه عبد الملك بن العباس؛ كذلك أرسل سرية إلى تروجة وذلك بسبب تطاول المشركين على الثغور فأصابت منهم وقتلت عدداً كبيراً. ابن الأثير، ج6، ص152؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص167.

(4) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص168.

(5) اختلف المؤرخون حول اسم ابنه الذي قاد الحملة هل هو المنذر أم عبد الرحمن وابن خلدون يذهب أن الذي قاد الحملة أخوه المنذر وليس ابنه. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص179؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182؛ تاريخ ابن خلدون، ج4، ص168.

(6) يقول ابن عذاري: "لم يبقَ لرذيق صاحب القلاع، ولا أردمير صاحب توفه، ولا عندشلب صاحب برجيه، ولا غومس صاحب مسانقة" ومع ذلك تمكن المسلمون من تخريب حصونهم ولم يبق لهم موضع إلا وأصابه الخراب. البيان المغرب: ج1، ص182.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص179؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

وتوالت حملات المسلمين[1] الناجحة على بلاد المشركين وذلك بهدف إنهاك قوتهم وإشغالهم بترميم ما يخربه لهم المسلمون في هذه الغزوات، فكان في عام 252هـ/866م حملة عسكرية على بلاد المشركين أثخنت في بلاد الشرك تخريباً وتدميراً، وسيطرت على بعض الحصون، وتكرر الأمر في عام 253هـ/867م، فافتتحوا حصون جرنيق عنوة، وقتلوا عدداً من المشركين وخربوا زروعهم ولم يكن المشركون في مقام يسمح لهم بالمقاومة لما أصابهم في العام الماضي من النهب والقتل والتخريب والأسر[2].

بعد هذه الغزوات المتوالية على بلاد الشرك هدأت تحركاتهم المعلنة -نوعاً ما- باتجاه بلاد المسلمين، ولكن تحريضهم للنصارى المقيمين في المدن الإسلامية لم يهدأ، فثارت ماردة عام 254هـ/868م واستعان أهلها بملك جليقية[3] الذي كما يقول دوزي: "هو الحليف الطبيعي لكل خارج على السلطان"[4]، الأمر الذي دفع الأمير محمد أن يخرج بنفسه لتأديبهم بعد أن أوهمهم أنه ذاهب إلى طليطلة، ولكنه في منتصف الطريق غيَّر وجهته إلى ماردة؛ ليدخلها على حين غفلة من أهلها فقضى على الثورة والثوار واضطر زعماء الثورة لطلب الصلح والأمان فوافقهم الأمير محمد على ذلك بعد أن هدم حصونها وأسوارها ووضع والياً جديداً واصطحب معه إلى قرطبة زعماء الثورة[5]؛ ليضمن عدم خروجهم مرة أخرى على الدولة[6].

لم يتوقف ملك جليقية عن عقد التحالفات مع الخارجين على الدولة من ذوي الأصول النصرانية فعقد تحالف آخر مع أبناء موسى بن قسي الذين سيطروا على مدن الثغر الأعلى[7] وأخرجوا منها عمال السلطان، الأمر الذي دفع السلطان لأن يخرج بنفسه للقضاء على الثوار وحلفائهم، فحشد جيشاً كبيراً وسار أولاً إلى طليطلة حيث تأكد من لزومهم الطاعة ثم زحف إلى مدن الثغر وأخضعها واحدة تلو الأخرى وأعادها لسيطرة الدولة الإسلامية، ثم توجه إلى بنبلونة فدخلها وأذلَّ أهلها وخربها وذلك تأديباً لهم على مساندتهم

---

(1) تولى قيادة هذه الحملات أبناء الأمير محمد صاحب الأندلس وهما الحكم وعبد الرحمن. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص182-192.

(3) حتى عرف زعيم الثورة عبد الرحمن بن مروان بالجليقي فكان يطلق عليه ابن مروان الجليقي. بن ماكولا: الإكمال، ج3، ص248.

(4) دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص135.

(5) الوالي الجديد لمدينة ماردة هو سعيد بن عباس القرشي، واصطحب معه الجليقي، وابن شاكر ومكحول وغيرهم من أهل البأس والنجدة والبسالة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص183.

(6) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص100؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص168.

(7) مدن الثغر الأعلى هي: سرقسطة وهي قاعدة الثغر الأعلى، وكورة لإرادة وتضم مدينة البيضاء "قلعة رباح" وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة، وكورة وشقنة ومدينتها تمريط، وكورة سالم، وكورة أيوب ومدينتها مليانة. المقري: نفح الطيب، ج1، ص166.

للثائرين والخارجين على دولة الإسلام، ثم عاد سالماً غانماً إلى قرطبة كان ذلك سنة 259هـ/872م[1]، وتكرر الأمر للسبب نفسه في عام 260هـ/873م عندما سَيَّر ابنه المنذر إلى بنبلونة وذلك لتحالفها مع أبناء موسى بن قسي[2] فخرَّب ودمَّر ثم عاد إلى قرطبة[3]، وفي عام 262هـ/876م خرج المنذر ابن الأمير محمد ويرافقه هاشم ابن عبد العزيز[4] وذلك لتأديب ابن مروان الجليقي على هروبه وتحالفه مع المشركين الذين أمدوه بالمال والرجال[5]، ودارت بينهم معركة شرسة انتهت بهزيمة الوزير هاشم ووقوعه في الأسر حيث تم تسليمه فيما بعد لملك جليقية حتى افتدى نفسه بعد سنتين[6]، وعندما علم المنذر بما وقع لجيشه شدد الحصار على ابن مروان ومن معه حتى انفضَّ عنه عدد كبير ممن كانوا معه وأصبح جمعه قليل فخشي على نفسه، فطلب من ملك جليقية الإقامة عنده فوافقه على ذلك ثم قتله فيما بعد، حينما علم أنه سيعود لولائه وطاعته للأمير محمد[7].

عاد المنذر من جديد إلى بنبلونة فدمر بسائطها وخرب زروعها وقتل كثيراً من أهلها، ثم توجه إلى جليقية ودارت مواجهة شرسة بين المسلمين والمشركين وحدثت مقتله (معركة) عظيمة بين الطرفين كان ذلك عام 264هـ/878م[8]، ثم أعاد الكرة على الثغر الأعلى ورافقه الوزير هاشم، من أجل أن يخمد الثورة في الشمال ويقضي على التحالفات القائمة مع النصارى، ولكنه لم يُوَفَّق في حملته هذه ولم يستطع تنفيذ أهدافه التي خرج من أجلها، فتحول إلى الحصون الواقعة حول مدن الثغر الأعلى فخربها واستولى عليها[9] حتى لا تكون ملاذاً آمناً للثوار والخارجين على الدولة، ثم توجه بحملته العسكرية إلى ألبة والقلاع فاخترقها، وتأهب النصارى لقتاله، ولكن جرت بينهم

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص183.

(2) تحالف فُرتون وأخيه مطرف مع ألفونسو الثالث ملك الجلالقة. عنان: دولة الإسلام، ج1، ص302.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص183.

(4) هاشم بن عبد العزيز بن هاشم: وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن، أصله من موالي عثمان بن عفان الذين حازوا الرئاسة والجلالة بإلبيرة، رافق المنذر ابن الأمير محمد في معظم غزواته، قتله المنذر بعد أن ولى أمر الأندلس. المراكشي: المغرب، ج2، ص94.

(5) استنجدوا بصديقهم القديم سعيد بن عامر المعروف بالسرنباقي والذي كان يعيش في كنف ألفونسو الثالث ملك جليقية والذي سارع بقوة كبيرة من النصارى لنجدة أصدقائه. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص184؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص304.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص259؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص184؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص136.

(7) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص101؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص305.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص279.

(9) من هذه الحصون حصن روطة وهو من أمنع حصون سرقسطة واعتقل به عبد الواحد الروطي أشجع أهل زمانه. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص312.

مفاوضات انتهت بعقد هدنة بين الطرفين[1] وعاد المنذر إلى قرطبة مظفـراً غانمـاً سـالماً عـام 268هـ/882م[2].

وفي عام 270هـ/884م قام حاكم مدينة لاردة بإعادة ترميمها وبنائها، فخرج له صـاحب برشلونة الفرنجي في حشد عظيم وذلك لمنعه من ذلك، والتقى الطرفان وتمكن المسلمون من هزيمة المشركين وقتل معظم الجيش وبقي أكثر القتلى وقتاً طويلاً من الزمن في المكان[3].

أما عام 271هـ/885م شهد بداية الثورة الحقيقية[4] لعمر بن حفصون[5] وذلك عقب هروبه من قرطبة والتي استمرت في قوة وَمَنَعة تعيث في مناطق الجنوب الأندلسي خراباً وتدميراً وفساداً طيلة أيام ثلاثة من الخلفاء[6]، وكانت تخرج له جيوش السلطان لإخماد ثورته دون أن تتمكن مـن ذلك، فأحياناً تخدمه الظروف[7] وأحياناً يتمكن من هزيمتها[8] وأحياناً يُهزم فيتراجع لإعادة ترتيـب قواته[9]، وأحياناً يهب لنجدته النصارى فهو حليف قوي لهم[10] وبقي كذلك إلى أن انتهت فتنته في عام 327هـ/938م[11].

---

(1) كانت الهدنة بين المنذر ابن الأمير محمد وألفونسو الثالث حاكم جليقية، ولم تكن هذه الهدنة الأولى فـي ولايـة الأمير محمد بل كانت هناك هدنة في عام 252هـ/866م بين الأمير محمد وشـارل الأصـلع ملـك فرنسـه. أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص166؛ عنان: دولة الإسلام، ج1، ص303.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص185.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص339؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص168.

(4) كان أول خروج لابن حفصون عام 267هـ في منطقة الري، فخرج له جيش السلطان فانهزم الجيش وقوي أمر ابن حفصون، فخرج له جيش آخر فطلب الصلح والأمان، فوافقه قائد الجيش وأرسل إلى قرطبة ليقيم هناك حتى لا يعود للثورة. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص307.

(5) عمر بن حفص: المعروف بحفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن إذفونس: من مسـالمة الذمة، من كوره تاكرنا من أعمال رندة، وكان الذي أسلم جعفر بن شتيم ثم فشا الإسلام في نسله، فكان ثورتـه في جبل ببشتر من ناحية رية، حتى بلغ في الشقاق والفتن مبلغاً لم يبلغه ثائر في الأندلس. ابن عذاري: البيـان المغرب، ج1، ص185.

(6) بدأ خروجه أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمر في أيام ابنه المنذر وعبد الله وانتهـت فتنـة بعـد سـبع وعشرين سنة من خلافة عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر. ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص173.

(7) مثلما حدث معه آخر أيام الأمير محمد حينما حاصره المنذر وعندما اشتد عليه الحصار خـرج لقتالـه فهزمـه المنذر وأفنى جيشه، فهرب من جديد إلى حصنة ونفذت من عنده الأقوات ولكن رفع عنه الحصار بسبب مـوت الأمير محمد عام 273هـ/886م، وتكرر الأمر في آخر أيام المنذر حيث توفى وهو محاصراً له. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص457؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص185.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص307.

(9) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص27.

(10) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص200.

(11) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص103.

توفى الأمير محمد بن عبد الرحمن في 29 صفر عام 273هـ/أغسطس 886م وكان ابنه المنذر ولي العهد محاصِراً لابن حفصون فعاد فور سماعه لنبأ وفاة والده إلى قرطبة؛ ليصلي على والده وحتى تُؤخذ له البيعة[1].

بوفاة محمد بن عبد الرحمن الأوسط وصل إلى الحكم في الأندلس ابنه المنذر[2]، الذي لم يستمر طويلاً في الحكم حيث وافته المنية[3] وهو محاصِراً لابن حفصون[4] بعد عامين من ولايته يوم السبت 17 صفر 275هـ/ 5 يوليو 888م؛ ليتسلم الحُكْمَ أخوه عبد الله[5] والأندلس تمتلئ بالفتن، وأصبح في كل ناحية متغلب وخارج على الخلافة ولم تزل كذلك طوال ولايته[6] يقول ابن عذاري: "وأفضت الخلافة إليه، وقد تحيفها النكث، ومزقها الشقاق، وحلَّ عُراها النفاق، والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصا الجماعة متصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر، وقد تمالا على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس في ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراقة لصباحه، ولا أفول لنجومه، وتألب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام، فصار أهل الإسلام بين قتيل وجريح ومحصور، يعيش مجهوداً ويموت هزلاً، قد انقطع الحرث، وكاد ينقطع النسل، فناضل

(1) مجهول: أخبار مجموعة، ص132.

(2) المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط: كنيته أبو الحكم، ولد عام 229هـ/843م، له من الذكور خمسة، والإناث ثمان، بويع بالإمارة يوم الأحد ثمانية ربيع الأول عام 273هـ/886م، كان عمره أربع وأربعون سنة، وتوفى بعد سنتين إلا سبعة عشر يوماً من خلافته، وهو في غزوة على ببشتر. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص456؛ ابن حزم: رسالة، ج2، ص193.

(3) اختلف المؤرخون في سبب وفاته، فمنهم من يذهب إلى أنها وفاة طبيعية، ويذهب آخرون إلى أنه توفى بِسُمٍّ دسَّه له طبيبه بتحريض من أخيه عبد الله ليصل إلى الولاية. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص457؛ المراكشي: المغرب، ج1، ص54.

(4) لم يتمكن أثناء ولايته القليلة من القيام بكثير أعمال غير قتله لوزير أبيه هاشم بن عبد العزيز، ثم سار لقتال ابن حفصون عام 274هـ/887م فحاصره وافتتح جميع حصونه وقلاعه، وألقى القبض على عيشون وقتله، وغزا محمد بن لب ألبة والقلاع وقتلوا من المشركين عدداً كبيراً، وسير حملة إلى طليطلة، وصالح ابن حفصون مرتين ونكث فرجع لحصاره وشدد عليه لكنه مات وهو محاصراً له. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص189؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص169.

(5) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط: كنيته أبو محمد، ولد عام 230هـ/844م، له من الذكور أحد عشر، والإناث ثلاث عشر بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه، واستمرت خلافته خمساً وعشرين سنة، وكانت وفاته مستهل ربيع الأول عام 300هـ/912م وهو ابن اثنين وسبعين سنة. ابن حزم: رسالة، ج2، ص193؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص191.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص356؛ الذهبي: سير، ج8، ص264.

الأمير بجهده، وحمى بجده، وجاهد عدو الله وعدوه، وانقطع الجهاد إلى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخوف، فكان قتال المنافقين وأشباههم أوكد بالسنة وألزم بالضرورة[1].

هذا أعظم وصف لحال الأندلس في فترة الأمير عبد الله، التي بدأ يتناقص فيها أمر بني مروان بسبب ما كان من فتن وثورات[2]، حتى كانت خلافة ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد[3] فأعاد الأمور إلى نصابها، لكن على الرغم من هذه الحالة السيئة لحال الدولة في عهد ولاية عبدالله الذي قضى فترة ولايته يقاتل الخارجين على دولته ويعيد الأمور إلى نصابها فما من سنة إلا وَسَيَّرَ فيها حملاتٍ عسكرية لتأديب الخوارج والثوار، مع ذلك لم يخلُ عصره من بعض الأعمال الجهادية والحملات العسكرية لبلاد الشرك، حيث خرج لب بن محمد[4] في حملة عسكرية إلى ألبة وذلك في رمضان عام 291هـ/904م وتمكن من فتح حصن بايش وإلحاق هزيمة بالنصارى[5]، وفي ذي الحجة من العام نفسه خرج إلى بليارش وافتتح عدداً من الحصون فيها[6] وقتل قرابة سبعمائة نصراني وسبى أكثر من ألف سبية[7]، وفي عام 294هـ/907م واصل لب ابن محمد خروجه على بلاد الشرك، فوصل بنبلونة، وشرع في بناء حصن بالقرب منها، فحشد له حاكم ببلونة حشداً عظيماً وجعله في كمائن بين الجبال، وخرج له بعدد قليل موهماً له أن هذا كل جيشه، فخرج له لب بن محمد فقاتله فانهزم، فلحق به لب بن محمد، فوقع في الكمين الأول فهزمه والثاني كذلك حتى تكاثرت عليه الكمائن، فقتل لب بن محمد وتفرق

---

(1) البيان المغرب، ج1، ص192.

(2) للاطلاع على الفتن والثورات التي وقعت في عهد الأمير عبد الله. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص198 وما بعدها.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط: قتل والده محمد على يد أخيه المطرف وقام الأمير عبد الله بقتل المطرف لقتله أخيه، كان عمره عند مقتل أبيه عشرين يوماً، بويع له بالخلافة في ربيع الأول عام 300هـ/912م، وهو ابن اثنتان وعشرون سنة، وكانت ولايته من المستطرف، لأنه بويع له بالخلافة، وفي الحضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه، فلم يعترض معترض، وهو أول من تلقب بألقاب الخلافة من بني أمية في الأندلس، توفي في صدر رمضان عام 350هـ/961م، فكان أكثر بني أمية حكماً، حتى لم يبلغ أحد مدته. مجهول: أخبار مجموعة، ص135؛ ابن حزم: رسالة، ج2، ص194.

(4) لب بن محمد بن لب بن موسى بن موسى: من عائلة قسي المشهورة في الثغر الأعلى. ابن حزم: جمهرة، ج2، ص503.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص200.

(6) هذه الحصون هي: حصن إيلاس، وحصن لحروسه، وحصن قشتيل شنت، وحصن مولة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص200.

(7) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص200.

جيشه[1]؛ ليحمل الراية من بعده في قتال المشركين في هذه الفترة محمد بن عبد الملك الطويل الذي غزا أرض العدو ودخل عدداً من حصونه وفتح عدداً آخر[2] يقول ابن عذاري: "افتتح حصوناً جَمَّة، وسبي سبياً كثيراً"[3] ثم توجه إلى بليارش في شهر رمضان عام 296هـ/909م فقتل منهم خلقاً كثيراً وجاءه أهل حصن روطه يرغبون في الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية، فلم يجبهم لذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن وأخلوه، فتقدم إليه وهدمه وكذلك قام بهدم وحرق عدداً آخرَ من الحصون، واستمر في غزواته حتى بنبلونة، واتفق مع عبد الله بن لب على مهاجمة حصون الفرنجة، حيث هاجم حصن لوازة فقتل جماعة منهم، والتقى مع جيش المشركين أثناء عودته فقتل وسبى منهم عدداً كبيراً[4].

وفي عام 299هـ/911م خرج محمد بن عبد الملك من جديد إلى أرض العدو حتى وصل برشلونة وحصلت بينه وبين المشركين معركة قوية انتهت بانتصار الإسلام على الشرك وأوقع فيهم مقتلة عظيمة[5]، وفي عام 300هـ/912م كانت وفاة الأمير عبد الله آخر أمراء العهد الأموي الثاني هذا العهد الذي استنفد في قتال الخوارج والمتغلبين[6] وجعل أمراء هذا العهد كل همهم القضاء على الثورات المتتابعة وإعادة الأمن والاستقرار لدولة الإسلام.

ثانياً- الخدع العسكرية للمسلمين في الفترة الثانية من حكم بني أمية في الأندلس:

تعتبر **الخدع** و**الحيل** العسكرية في أي معركة سلاح قوي وناجع وفتّاك لمن أراد الانتصار في معركته على عدوه، والقادة العسكريون في هذه الفترة استخدموا هذا الأسلوب أثناء قتالهم مع أعدائهم، **وتتمثل هذه الخدع والحيل التي استخدمت في هذه الفترة بالتالي:**

1- في معركة وادي سليط، تحالف الخارجون على الدولة مع مملكة الجلالقة في قتالهم مع المسلمين، مما اضطر الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى **اللجوء إلى المكر والخديعة للإيقاع** بأعدائه وهزيمتهم هزيمةً نكراء، فقام بإخفاء معظم جنده خلف الجبال التي تحتضن وادي سليط، ثم زحف إلى مدينة طليطلة على رأس قوة صغيرة، فتعجب أهل طليطلة من جُرأة عدوهم وبسالته، وقالوا في أنفسهم هذه الفرصة المناسبة للقضاء عليهم، فقاموا

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص201.

(2) دخل حصن بربشتر، وحصن القصر، وحصن بريطانية، وحصن منت بطروش، وافتتح حصن أوربوالة، وحصن عليتر، وحصن الغبران، وحصن قشتيله. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص201 وما بعدها.

(3) البيان المغرب، ج1، ص201.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص202، 203.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص204.

(6) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص457.

بالهجوم على جيش المسلمين، الذين تظاهروا بالهروب فلحق بهم العدو، ليجد نفسه وقد التفَّت عليه جحافل الإسلام التي أفنت معظمهم، وبذلك تحقق النصر لجيش المسلمين بفعل هذه **الحيلة** والخديعة التي استخدمها الأمير محمد، وقام أيضاً بتعليق ثمانية آلاف رأس على أسوار قرطبة والمدن الأخرى في إجراء تأديبي؛ ولتكون عِبْرَةً لمن لا يعتبر وهي **حيلة** ووسيلة لبث الرعب في نفوس الأعداء(1).

2- الحرق والتخريب والتدمير والهدم مع توالي الغزوات واستمرارها: كلها أساليب و**حيل** و**خدع** استخدمها المسلمون مع أعدائهم، وذلك لإنهاك قواهم، وتشتيت جهودهم، وجعلهم لا يفكرون إلا بإعادة ترميم ما هدم أو حرق أو زراعة ما قلع وخرب، وهكذا يصبحون باستمرار في جهد متواصل لإصلاح وإعمار أرضهم وليس أدل على ذلك من قول ابن عبدربه عن محمد بن عبد الرحمن: "ربما أوغل في بلاد العدو الستة شهور أو أكثر يحرق وينسف"(2).

3- قيام الأمير محمد بقطع القنطرة التي ستكون عليها المعركة مع أهل طليطلة في إحدى المعارك: **خدعة** استخدمها الأمير محمد حيث أمر البنائين والمهندسين بقطع أساسات القنطرة مع بقائها قائمة، حتى إذا ما تجمع عليها أهل طليطلة اندقت بهم وتهدمت نواحيها، وهذا ما كان حيث سقطت القنطرة في النهر بمن عليها من الجند فغرقوا عن آخرهم(3).

4- تغيير الطريق التي اعتاد جيش المسلمين سلوكه لقتال أعدائهم وذلك لحظة الغزو: **حيلة** استخدمها محمد بن السديم عندما غزا مملكة الجلالقة حيث غزاهم من غير الطريق المعتاد، وكذلك حينما حاول الأمير محمد غزو مملكة الجلالقة عن طريق البحر وهو ما لم يعهده الجلالقة مستغلاً عدم تحصين الجلالقة لناحية البحر(4).

5- الالتفاف على القوات المقاتلة وإرسال المَدد لقوات المسلمين أثناء المعركة من أكثر من ناحية حتى تُطَوِّقَ جيش الأعداء: أسلوب قتال وفيه من **المكر والخديعة** للأعداء إذ أنَّ وصول القوات ساعة القتال يحدث إرباكاً في صفوف الأعداء ويُشَتِّت شملهم ويمزق صفهم(5).

6- هدم الحصون والقلاع المحيطة بالمدينة المستهدفة للغزو: **حيلة** استخدمها أمراء الجهاد في بلاد الأندلس، وذلك حتى لا يعطوا فرصة لهذه الحصون لتشكيل خط إمداد لهذه المدينة

(1) النويري: نهاية الأرب، ج23، ص227.
(2) العقد الفريد، ج4، ص455.
(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181.
(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص181، 184؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص167.
(5) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

وحتى لا يحتمي فيها المقاتلون هذه السياسة الحربية نجد الأمير عبد الرحمن بن محمد عام 251هـ/962م يطبقها في ميدان الغزو والقتال يقول ابن عذاري: "ثم انتقل من موضع إلى موضع، لا يمر بمسكن إلا خَرَّبه، ولا مَوْضِع إلا حرّقه، حتى اتصل ذلك في جميع بلادهم، ولم يبق ... حصن من حصونهم إلا وعمَّه الخراب، ثم قصد الملاحة.. فحطَّم ما حواليها وعفا أثارها"(1).

7- إيهام الخصم بالتوجه صوب مكان ما ثم تغيير الوجهة في آخر لحظات: **حيلة** استخدمها أمراء القتال في الأندلس وكانت تُؤتى هذه **الحيل والمكائد** أُكُلها حينما تهاجم المدينة وأهلها في أمن وعلى غفلة فتفتح المدينة بدون قتال وعلى حين غَرَّة من فرسانها وجيشها، مثال ذلك ما قام به الأمير محمد عام 254هـ/965م عندما أراد ماردة موّه بأنه متجه إلى طليطلة(2).

8- اعتماد أسلوب الصلح والمهادنة مع بعض الخصوم، لتجنب خطرهم: من **الحيل والمكائد** التي اعتمدها أمراء بني أمية في ميدان القتال والغزو؛ لأن الصلح كما يذهب لذلك صاحب بدائع السلك واحد من **الخدع** في الحروب يقول: "الصلح أحد الحروب التي يدفع بها الأعداء عن المضرة، فإذا كثر أعداؤك فصالح بعضهم وأَطْمِع بعضهم بصلحك، واستقبل بعضهم بحربك"(3).

9- الكمائن من **الحيل** و**الخدع** المعتمدة لدى قادة الجهاد في الأندلس وأيضاً استخدمه النصارى مع المسلمين لما يحدثه هذا الاسلوب من إرباك في صفوف الخصم بما يشكله من عنصر مفاجأة للجند في ساحة المعركة(4).

10-كذلك من **الحيل** في هذا العصر ما قام به سوار القسي في إلبيرة حينما قام أسبان المدينة بالثورة على العرب وأخرجوهم من المدينة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، وهنا قام العرب بإعادة ترتيب صفوفهم واستعادوا بعض المواقع وتحصنوا فيها وأخذوا يشنون هجمات على نصارى إلبيرة إلى أن تمكنوا من دخول إلبيرة وذلك بتوالي الهجمات وكذلك ذبحهم بلا رحمة ولا شفقة وبالكمائن فكانت هذه **الحيل والأساليب** سبب في عودتهم إلى مدينتهم بعدما أثاروا الرعب في قلوب الأسبان الذين تمكنوا من إعادة ترتيب صفوفهم بالتحالف مع أنصارهم وقاموا مرة أخرى بإخراج العرب من إلبيرة بالقتل ولاحقوهم بالسيف، ولكن

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص182.

(3) ابن الأزرق: ج1، ص163.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص184؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص136.

العرب تمكنوا من إعادة ترميم حصن الحمراء وجعلوه منطلق لشن غاراتهم علـى إلبيـرة التي خرجت لهم بجيش جَرَّار ولكن سوار تمكن من الانتصار عليهم **بحيلة** أتبعهـا وهـي الالتفاف على الفرقة التي كانت تعتلي إحدى التلال وتقصف الحصن بالمنجنيق، واسـتطاع السيطرة على المكان مما أحدث إرباكاً شديداً في صفوف النصارى وحلفائهم الذين فروا من أمام المسلمين، ولحق بهم سوار وجنده وقتلوا منهم اثني عشر ألفَ مقاتـل، ولـم يسـتطع الأسبان وقف حَمَّام الدم النازف بأبناء جلدتهم إلا بكمين نصبوه لسوار وتمكنوا مـن قتلـه وذلك عام 277هـ/890م(1).

إذاً هذه مجموعة من الحيل والخدع التي استخدمها المسـلمون فـي صـراعهم مـع أعدائهم من النصارى، ولم يغفل أمراء القتال عن استخدام المكر والكيد أيضاً مـع الخـارجين على الدولة، فالكثير من الخدع آنفة الذكر استخدمها أمراء الجهاد في عهد بني أمية الثاني في الأندلس مع الخارجين والثائرين على دولة الإسلام في الأندلس، وذلك لما كان يُشَكِّله هـؤلاء من خطر على الإسلام والمسلمين.

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص192؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2، ص154.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة الثالث

300-422هـ # 912-1031م

بعد وفاة الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وصل إلى حكم الأندلس حفيده عبد الرحمن بن محمد[1] الذي تسلم مملكة ممزّقة الأوصال، ضعيفة الموارد، تجرَّأ عليها ثوّار الداخل، وأعداء الخارج، ليبدأ بذلك عهد جديد عرف بعهد الإمارة الثالث أو الخلافة[2]، حيث تسمى أمراء هذا العهد بالألقاب السلطانية، وباسم أمير المؤمنين وكان أفراد البيت الأموي في الأندلس من قبل يلقبون بالأمراء وأبناء الخلفاء، على اعتبار أن الخليفة يجب أن يملك الحرمين كسلطة دينية، ولكن عندما رأى الأمير عبد الرحمن الناصر ضعف الخلافة العباسية، وظهور الدولة التركية والديلمية في المشرق، والفاطميون في بلاد المغرب حيث كان حكام هذه الدول يلقبون بألقاب الخلفاء، وجد الأمير عبد الرحمن أنه أحق بها تَسمَّى بأمير المؤمنين، وَتَلَقَّبَ بالناصر وعلى ذلك سار من كان بعده من الخلفاء[3].

تمكن الأمير عبد الرحمن الناصر من إعادة الأمور إلى نصابها في الأندلس بعد خمس وعشرين سنة من ولايته[4]، يقول المقري: "ووجد الأندلسي مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين، فأطفأ تلك النيران واستنزل أهل العصيان، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من أيامه"[5]، هذا وصف صاحب نفح الطيب عن الخارجين على الدولة، فما هو وصفه للنصارى المعتدين على دولة الإسلام؟ قال: "ومدت إليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان وأوفدوا إليه رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن مرضاته، ووصل إلى سدته الملوك من أصل جزيرة الأندلس

(1) لتمييزه عن من سبقه من الأمراء الأمويين، الذين كانت أسماؤهم عبد الرحمن، يلقب عبد الرحمن بن محمد بالناصر أو الثالث على اعتبار أن الأول هو عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، والثاني عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص228؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص347.

(2) لأنه بداية عهد جديد تسمى فيه الأمراء الأمويين بألقاب السلطان وأسماء الخلفاء وكان عبد الرحمن بن محمد (الناصر) أول من تسمى من أفراد البيت الأموي في الأندلس بأمير المؤمنين وتلقب بأحد الألقاب السلطانية وهو (الناصر) وذلك عام 317هـ/929م، والبعض يقول كان ذلك في 327هـ/939م. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص459؛ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص270؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص208.

(3) المسعودي: مروج، ج1، ص67؛ ابن حزم: رسالة، ج2، ص194.

(4) المغربي: المغرب، ج1، ص182.

(5) نفح الطيب، ج1، ص353.

المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب إليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه"(1).

تمكن الأمويون في بدايات هذه الحقبة من استعادة أمجادهم في الأندلس، فخضع لهم بالطاعة والولاء، أكثر مما تهيأ لأمراء المسلمين في الأندلس زمن الفتح وبعده(2) لكن هذا الحال لم يستمر حيث وصل إلى الحكم من البيت الأموي رجال غير أكفياء كانوا سبباً في نهاية الحكم الأموي في الأندلس عام 422هـ/1031م وقيام الطوائف بأمر الأندلس(3).

أولاً- معارك المسلمين مع النصارى في عهد الإمارة الثالث:

تسلم عبد الرحمن الناصر مملكة مضطربة، تجرأ عليها أعداء الداخل والخارج، فجعل على رأس أولوياته تأديب وقمع أعداء الداخل، وتطهير الأندلس من عناصر الاضطراب والقلاقل، ليتفرغ بعدها لأعداء الخارج، بعد أن يكون أَمَّنَ الجبهة الداخلية، فَكَرَّس كل جهوده وقواه لقمع الخارجين على الدولة الإسلامية واعتبر أن سياسة التصالح والتسامح التي اتبعها مَنْ سبقه من أمراء الأندلس كانت سبباً في اضطراب الأندلس وَتَجَرَّأ الثوار على الدولة(4)، فما هي إلا أسابيع قلائل حتى بدأ بتسيير الحملات العسكرية لقمع الثوار والخارجين على الدولة(5)، وفي بعض الأحيان اضطر للخروج بنفسه على رأس الجيش لتأديب الخارجين حينما رأى ضرورة ذلك(6)، ولكن أعداء الخارج من النصارى وغيرهم لم يمهلوه طويلاً لتنفيذ مخططه، ووجدوا أن الفرصة سانحة لمهاجمة الأراضي الإسلامية وعليهم انتهاز الفرصة وعدم إضاعتها، فما إنْ وصل عبد الرحمن الناصر للحكم حتى قام ملك الجلالقة بمهاجمة مناطق الغرب الأندلسي، قاصداً مدينة يابرة(7) بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل فَدمَّر المدينة وسبى

(1) المقري: ، نفح الطيب، ج1، ص354.

(2) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص177.

(3) ابن بسام: الذخيرة، ج1، ص37؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص438.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص208؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص375.

(5) للاطلاع على أخبار عبد الرحمن الناصر مع الثوار والخارجين على دولته. انظر: ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص179.

(6) عندما سار في الجيش في ما يعرف بغزوة المنتلون التي افتتح فيها أكثر من سبعين حصناً وذلك في شعبان سنة 300هـ/مارس سنة 913م. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص458؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص209.

(7) يابُرة: مدينة قديمة تقع غرب الأندلس، تتبع كورة باجة. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص424؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص615.

نساءها وقتل رجالها في محاولة منه لبث الرعب والفزع والخوف في تلك النواحي، وذلك في محرم عام 301هـ/أغسطس 913م[1]. وكَرَّر الأمر في عام 303هـ/915م قاصداً بعض الحصون والقلاع والمدن في الغرب الأندلسي، ومنها مدينة ماردة التي امتنعت عليه ولم يستطع دخولها ثم توجه إلى بطليوس[2]، فاستطاع أهلها أن يسترضوه ببعض الهدايا والأموال[3] لذلك وجد أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر من الأهمية بمكان إرسال جيش لنجدة تلك المناطق والانتقام من أعداء الله، فأرسل في 16 محرم عام 304هـ/ يوليو 916م جيشاً[4] إلى مملكة الجلالقة وذلك لتأديبهم على اعتداءاتهم المتكررة على الأراضي الإسلامية، وخاض جيش أمير المؤمنين عدة معارك مع المشركين في تلك البقاع انتهت جميعها بهزيمة ساحقة للجلالقة، وعاد الجيش إلى قرطبة سالماً غانماً[5]، وفي عام 305هـ/917م قام الجلالقة بمهاجمة طلبيرة فعاثوا فيها تخريباً وحرقاً، وذلك انتقاماً لهزائمهم، مما دفع المسلمون للاستنجاد بأميرهم ليخلصهم من عدوان الجلالقة، فاستجاب أمير المؤمنين لصرخة رعيته وأرسل لهم جيشاً كبيراً يَرُدُّ فيه على اعتداءات النصارى المتكررة ولكنَّ النصرَ لم يحالفه بسبب استشهاد قائده[6]، وعاد الجيش سالماً[7]، كان ذلك في 14 ربيع الأول عام 305هـ[8]، وبسبب هذه الهزيمة وانشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية تجرأ النصارى من جديد على بلاد الإسلام فتحالفوا مع ملك البشكنس (شابخة) وملك الجلالقة (أردونيو الثاني) في ذي الحجة عام 305هـ/ ربيع 919م، وقاموا بمهاجمة الأراضي الإسلامية في منطقة الثغر الأعلى وعاثوا فيها قتلاً وتخريباً وَنَكَّلُوا

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص212؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص392.
(2) بطليوس: مدينة كبيرة غرب الأندلس من أعمال ماردة، تقع على ضفة نهريانة (الغؤور). الحمودي، نزهة المشتاق، ج2، ص545.
(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص213؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص393.
(4) كان قائد الجيش الوزير أحمد بن محمد بن أبي عبدة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص213.
(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص213.
(6) قائد الجيش أحمد بن أبي عبدة وزير عبد الرحمن الناصر، وهناك من يرجع سبب الهزيمة عدم تماسك الجيش لأن معظمه من المتطوعين الذين يفتقدون إلى خبرة القتال ومنهجية المواجهة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص214؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص394.
(7) الرواية الإسلامية تبين أن جيش المسلمين بعد استشهاد قائده تماسك من جديد، واصبح يداً واحدة، فسلموا وعادوا إلى أرض الإسلام سالمين ومعهم دوابهم وأثقالهم وأبنيتهم؛ أما الرواية النصرانية فتوضح أن هزيمة المسلمين كانت ساحقة، وامتلأت ساحة المعركة بالقتلى والأشلاء. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص214؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص3956.
(8) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182.

بسكانها[1]، مما أثار حفيظة الناصر لدين الله، وجعلته يجعل مهاجمة النصارى والتحرك لردعهم من أولوياته[2] فبدأ بحشد جيش كبير جعل على رأسه حاجبه بدر بن أحمد، وأرسل لسكان الثغور أن يهبوا لتأييد ومؤازرة الجيش لتسديد ضربة مؤلمة للنصارى للرد على اعتداءاتهم المتكررة على المناطق الإسلامية، والتقى الجيشان[3] وتمكن المسلمون من هزيمة النصارى هزيمة ساحقة وأوغلوا فيهم قتلاً وأسراً، يقول ابن عذاري: "فكانت له على أعداء الله وقائع شفت فيها صدور المسلمين، وانتصروا على أعداء الله المشركين، وقتل في هذه الغزوة من حماتهم وأبطالهم، وأصحاب الحروب منهم، جملة عظيمة لا يأخذها عَد، ولا يُحط بها صف. وكان الفتح يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول ويوم السبت لخمس خلون من ربيع الأول (سنة 306هـ/13و15 أغسطس سنة 918م) في معارك جليلة، لم يكن أعظم منها صنعاً[4] فكانت هذه المعركة درساً قاسياً للنصارى ستوقف هجماتهم على بلاد الإسلام لفترة من الزمن. الأمر الذي دفع الناصر لدين الله للخروج لتأديب المتمردين في مدينة بِلْدة[5] فحاصر المدينة، وتداعى من كان بها من المسلمين للخروج وذراريهم؛ مُدعين أنهم كانوا مضطهدين أو مغلوب على أمرهم؛ فَأَمَّنهم الناصر لدين الله، وقاتل النصارى الذين تحصنوا في المدينة، حتى قتلهم جميعاً وأعاد المدينة إلى السيادة الإسلامية[6]، كان ذلك في 29 ذي الحجة عام 206هـ/918م[7] ثم توجه إلى غيرها من الحصون في رية وافتتحها واحداً تلو الآخر، قبل أن يعود إلى قرطبة سالماً غانماً[8].

عاد النصارى من جديد للاعتداء على مناطق المسلمين وأوغلوا فيها قتلاً وسبياً، فاستنجد الأهالي بأمير المؤمنين، ليوقف اعتداءات النصارى عليهم، فقرر أمير المؤمنين عبد الرحمن بأن يسير بنفسه لمقاتلة أعداء الله، وأثناء خروجه جاءه كتاب من عامل وادي الحجارة يخبره بأن الجلالقة قاموا بالهجوم على مدينته والحصون المجاورة ولكنهم تمكنوا من دحرهم عن المدينة

(1) المناطق التي طالها الغزو النصراني في هذه المعركة، مدينة ناجرة، وتطيلة، وبلتيرة التي أحرق مسجدها الجامع، وجزائر مسقبرة، ووادي طرسونة. أبن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص214؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص395.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص214.

(3) كان لقاء الجيشين بوادي الخياش قرب قلعة رباح على حدود مدينة ليون في منطقة مطونية وبها عرفت المعركة. الأزدي: تاريخ العلماء، ج2، ص146؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص214.

(4) البيان المغرب، ج1، ص215.

(5) بلدة: مدينة بالأندلس من أعمال رية وقيل من أعمال قمرة. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص483.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص215: ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص396.

(7) ابن عبد ربه يذكر هذه الغزوة في أحداث سنة 307هـ. العقد الفريد، ج4، ص468.

(8) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص215.

بعد أن قتلوا وأسروا كثيراً منهم، وأعملوا فيهم السيف من أول النهار إلى آخره[1]، فاستبشر بذلك ومضى في طريقه بعد أن اجتمع له جيش كبير من المجاهدين والمتطوعين الذين لحقوا به من سائر أنحاء الأندلس، "تغص بهم السبل، ويضيق بهم الفضاء الأوسع"[2]، في المقابل جمع الجلالقة والبشكنس جيشاً عظيماً لمواجهة جيش المسلمين الذي اقتحم ألبه والقلاع ووصل إلى أبعد مدى[3] دون أن يعترضه أحد، التقى الفريقان في سهل (خونكيرا) بالقرب من بنبلونة باتجاه الغرب، وتمكن جيش الإسلام من هزيمة جيش النصرانية وتمزيقه وقتل وأسر أعداداً مهولة ولم يُوقِف عنهم سيف المسلمين سوى حلول الظلام، كان ذلك في 6 ربيع أول عام 308هـ/ 26 يوليو 920م[4]، وقبل عودته إلى قرطبة قام الناصر لدين الله بهدم حصون النصارى المجاورة للأراضي الإسلامية وإعادة ترميم حصون المسلمين المطلة على حدود دولة العدو، ثم قفل عائداً إلى قرطبة راجياً أن تكون هذه الهزيمة للأعداء رادعة لهم لوقف عدوانهم على بلاد الإسلام[5]. وفي 8 محرم عام 309هـ/ 10 حزيران 921م وأثناء خروج الناصر لدين الله لتأديب الخارجين على الدولة في كورة ريه، أغار على حصن طُرُّش[6] وكان النصارى قد احتشدوا فيه وتحصنوا، فحاصره وقذفه بالمنجنيق، حتى اضطرهم إلى طلب الصلح والتسليم فوافقهم الناصر لدين الله على ذلك، وأخرج من كان فيه من النصارى ولم يبقَ أحدٌ، وبنى في موضع الكنيسة مسجداً جامعاً[7].

أعاد النصارى غاراتهم على المناطق الإسلامية، فأغار الجلالقة على مدينة (ناجرة) وسيطروا عليها وأغار البشكنس على مدينة بقيرة[8] وسيطروا عليها وأسروا من فيها من

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص216.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص217.

(3) تمكن جيش المسلمين من دخول العديد من المدن والحصون النصرانية بعد عبور نهر دوبر "دويرة" مثل: مدينة وخشمة التي أضرموا فيها النار، وحصن قاشتر مورش، وقلعة شنت أشتبين، ومدينة قلونية وهي من أمات مدنهم، ومدينة تطيلة حيث كان النصارى لتوهم قد احتلوها فأخرجهم منها، وحصن قلهرة الذي خربه المسلمون ونسفوا كل ما كان حواليه، وحصن أرنيط، وحصن مويش، وحصن بقيرة، ومدينة أنتيشة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص217، 218.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، ص217؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص396.

(5) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص363.

(6) طُرُّش: ناحية بالأندلس، من كورة البيرة، تشتمل على ولاية وقرى، تقع على نهر يسمى وادي أروا. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص29؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص28.

(7) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص472؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص219.

(8) بقيرة: مدينة أندلسية في الشرق، من أعمال تطيلة، وتجاور مدينة البيضاء، على حدود دولة البشكنس بالقرب من بنبلونة. ابن حبان: المقتبس، ج1، ص5؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص473.

الزعماء ثم قتلوهم[1]، أثار هذا الحدث ضجةً كبيرةً في البلاد، دفعت عبد الرحمن الناصر لدين الله تسيير جيش كبير بقيادة عبد الحميد بن بسيل[2] للثأر من النصارى على فعلتهم الشنيعة، وخاض الجيش الإسلامي عدة وقائع مع أعداء الله وانتصروا عليهم ودخلوا مدينة (نبرة) في بلاد البشكنس وعاثوا فيها قتلاً وتخريباً كان ذلك في سنة 311هـ/923م[3]، غير أن هذا الرد على جريمة النصارى في (بقيرة) لم يكن ليشفي صدر أمير المؤمنين، فما هي إلا أشهر حتى جهز جيشاً عظيماً وغادر قرطبة في 16 محرم عام 312هـ/ 17 إبريل عام 924م، لتأديب النصارى والتنكيل بهم، اقتحم جيش الإسلام بلاد البشكنس وافتتح العديد من الحصون التي هدم بعضها وحرق الآخر[4]، ثم زحف إلى بنبلونة أمام محاولات البشكنس وقف الزحف الإسلامي على مدينتهم فدمروها وأحرقوا قصورها وكنائسها ومزق جيش النصارى الذي حاول أكثر من مرة أن يعيد شيئاً من كرامته التي داساتها سنابك خيل المسلمين في أكثر من مكان[5]، ولكن النصرَ كان حليف أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله في كل الوقائع التي خاضها مع أعداء الله في هذه الغزوة التي استمرت أربعة شهور حيث كانت عودته إلى قرطبة يوم الخميس 22 جمادي الأولى عام 312هـ/ أغسطس 924م[6].

---

(1) من هؤلاء الزعماء: عبد الله بن محمد بن لب، ومحمد بن محمد بن لب، ومطرف بن موسى بن ذي النون، وغيرهم من وجوه رجالهم. ابن عذاري: البيان المغب، ج1، ص221.

(2) عبد الحميد بن بسيل: مولى عبد الله بن معاوية، يكنى أبا القاسم، وزير عبد الرحمن الناصر لدين الله وخازن ماله ولد في ذي القعدة عام 255هـ/نوفمبر 869م، وتوفي يوم الجمعة عام 339هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عام. القضاعي: التكملة، ج3، ص135.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص221؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص399.

(4) هذه الحصون هي: حصن قلهرة الذي هدم وأحرق ما فيه وحوله، وموضع يقال له بيطرة إلتة شمال شرق قلهرة؛ وكانت حوله حصون مانعة فقتل وسبى من كان فيها من النصارى، ثم هدمت، يقول ابن عذاري: "لم يبق منها صخرة قائمة"، ثم حصن فالجش فأحرق ودمر ما حوله من الزروع والضياع، وحصن نفاليه، وحصن قرقشتال على وادي أرغون، وقرية بشكونشة فهدمت مبانيها وأحرق كل شيء فيها، ومحلة لتبيرة، ومحلة لغين، اسديه، وما مر جيش الإسلام بموضع إلا خربه وهدمه نكاية في أعداء الله وتأديباً لهم. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص222 وما بعدها.

(5) وقع اللقاء بين الجيشين بشكل مباشر في موضعين. الأول: على مقربة من شنت اشتين، والثاني على مقربة من قلهرة، وتعرف هذه الغزوة عند المسلمين بغزوة بنبلونة. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص222؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص399.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص222 وما بعدها؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص363.

بعد معركة بنبلونة عام 313هـ/925م توفي ملك الجلالقة أردونيو الثاني، فانشغل الجلالقة في حرب أهلية لعدة أعوام بسبب الصراع على السلطة(1)، لم يتدخل المسلمون في هذا الصراع واعتبروه فرصة من أجل التفرغ للشأن الداخلي والقضاء على الخارجين على الدولة الإسلامية(2)، وتوطيد أركان الدولة وإعادة الأمن والاستقرار للأراضي الإسلامية(3)، فما أن استقر الحكم لرذمير(4) (راميرو الثاني) عام 320هـ/932م، حتى قام بتحريض أهل طليطلة على الثورة والخروج على الدولة، ووعدهم بالدعم والتأييد والمساندة، أرسل أمير المؤمنين للمدينة الثائرة وفداً من العلماء والفقهاء يدعوهم للعودة إلى الطاعة(5)، فرفضوا معتمدين على حصانة مدينتهم، ودعم وتأييد النصارى لهم، أمام تعنت وعناد الثائرين في طليطلة، لم يجد الناصر مفراً من الخروج لإعادة المدينة للسيادة الإسلامية وتأديب حلفائهم من النصارى، فسار إليها على رأس جيش كبير، وضرب حولها حصاراً مشدداً وهب ملك الجلالقة لرفع الحصار عن المدينة ولكنه فشل بسبب بسالة جيش المسلمين، وفقد الثائرين كل أمل في النجدة ورفع الحصار عن مدينتهم، مما دفعهم للاستسلام والخضوع لسلطة أمير المؤمنين الذي دخل المدينة منتصراً في رجب 320هـ، وأمر بهدم حصونها(6).

---

(1) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182.

(2) تمكن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله، خلال هذه الفترة من القضاء على كثير من الثورات والخارجين على الدولة مثل: سعيد بن هذيل، وبنو ذي النون، وأبناء حفصون عمرو سليمان وحفص وعبد الله، وبني داود، وبني أبي جوش، وعبد الرحمن بن مالك، وخلف بن بكر، والحسن بن ابي العيش، وموسى بن أبي العافية، من هؤلاء من اعتقل فقتل وصلب، ومنهم من عاد عن ثورته ودخل في طاعة الخليفة، ومنهم من قتل في ميدان القتال؛ كذلك تمكن أمير المؤمنين من استعادة سيطرة الدولة على العديد من الحصون والكور والمدن، الحصون هي: حصون إلبيرة، حصون مغيلة، ببشتر، شنت، يبطي، يمارش، الوقاع، مورة، قنيلش، الفهمين، منت روبي؛ أما المدن هي: مالقة، تاكرنا، حطرون، ماردة، شنترين، بطليوس، باجة، أكستونية، شاطبة، بلنسية، لفت، قليوشة، سرتة، وكورة شذونة، وكورة رية. يقول ابن عذاري: "فلم يبق فيها جبل غير مضبوط ولا عدو محذور"؛ كذلك انتزع سبتة من الفاطميين في المغرب. لمزيد من التفاصيل انظر: البيان المغرب، ج1، ص422.

(3) عنان: دولة الإسلام، ج2، ص400.

(4) رذمير: ملك جليقية، آخر ملوك أسرة رذمير بن أدفونش التي حكمت جليقية منذ عام 227هـ/842م وبقي الحكم فيهم حتى موت رذمير سنة 339هـ/950م، وصل رذمير إلى الحكم بعد صراع بين إخوانه بعد وفاة والدهم أردوينوا الثاني انتهى بترهب أخيه الملك أدفونش فأصبح هو الملك عام 319هـ/931م. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص255.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص230.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص232.

في عام 321هـ/933م حاول المسلمون السيطرة على مدينة وحصن وخشمة[1]، فخرج لهم ملك الجلالقة وردهم عنها واحتلها، فقرر الناصر الخروج بنفسه للسيطرة على المدينة، وذلك في 15 جمادي الأولى عام 322هـ/ مايو 934م[2] وقبل وصوله إلى أرض البشكنس أرسلت له ملكة البشكنس[3] الصلح والسلم[4] فوافقها الناصر على ذلك، توجه الناصر إلى ألبة والقلاع وبلاد الجلالقة وأوغل فيها قتلاً وتدميراً وتخريباً وانتصر عليهم في أكثر من لقاء، ثم عاد إلى قرطبة مظفراً بعد أربعة شهور من القمع والتأديب لمملكة[5] الجلالقة التي سارع ملكها لطلب الصلح والتماس السلم من المسلمين بعدما وقف على حجم التدمير والتخريب الذي قام به المسلمون في مملكته دون أن يستطيع أن يوقفهم أحد، وقع الصلح بين الجلالقة والمسلمين في منتصف ربيع الثاني عام 323هـ/ مارس 935م[6]، ساد الهدوء بين المسلمين والنصارى نتيجة لمعاهدة الصلح التي وقعها المسلمون مع البشكنس والجلالقة، ولكن أعداء الله كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لنقض المعاهدة والعودة للاعتداء على الدولة الإسلامية، فرأى النصارى أن الفرصة مناسبة للنكث واستئناف هجماتهم على المسلمين بعقد حلف مع والي سرقسطة محمد بن هاشم التجيبي، وقريبة مطرف بن منذر والي قلعة أيوب[7] وهاجم النصارى بعض الحصون والقلاع القريبة من سرقسطة وسلموها لحلفائهم واستمروا في مهاجمة الأراضي الإسلامية الأمر الذي دفع الناصر لدين الله إلى الخروج إليهم في منتصف رجب عام 325هـ مايو عام 937م لتأديب الخارجين على دولته وحلفائهم النصارى، فأعاد سرقسطة وقلعة أيوب للسيادة الإسلامية وأوغل في بلاد البشكنس وقسم جيشه ووزعه على أنحاء المملكة وافتتح أكثر من ثلاثين حصناً وعم

---

(1) وخشمة: مدينة تقع شرق شنت إشتين على مقربة من نهر دويرة، على الخط الفاصل بين الأراضي الإسلامية وقشتالة القديمة وتعتبر من أهم الثغور والقواعد الدفاعية. عنان: دولة الإسلام، ج2، ص401.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص481؛ الأزدي: تاريخ العلماء، ج2، ص45.

(3) بعد وفاة غرسية بن شانجة ملك البشكنس عام 314هـ/926م، وصل إلى الحكم أخته أو أمه طوطة بنت أنثير وتكفلت بولده الصغير ليكون الملك في المستقبل. ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص363.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص482؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص182.

(5) تمكن المسلمون في هذه الغزوة من دخول العديد من المدن والحصون كما جاء في كتاب الفتح الصادر عن هذه الغزوة وهي: مدينة وخشمة، وبرغث، ولمزمة، وحصن القصر، وانه، وبلنسية، واشكفيرش. ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص182-183؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص403.

(6) عنان: دولة الإسلام، ج2، ص405.

(7) قلعة أيوب: مدينة شرق الأندلس، قريبة من مدينة لبلة، من أعمال سرقسطة، وبها عدة حصون، وتعتبر قلعة أيوب، وسرقسطة، ودروقة، دار بني تجيب. ابن حزم: جمهرة، ج2، ص430؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص390.

الرعب والخراب المملكة، فهرعت (طوطة) تطلب الصلح والعفو فقبل الناصر اعتذارها ثم توجه الجيش إلى مملكة الجلالقة وتوغلوا فيها ثم عادوا مثقلين بالغنائم والأسلاب، وتمكن الناصر لدين الله في هذه الغزوة من إعادة السيادة الإسلامية لتلك المنطقة، وإنهاء التحالف الخطير بين حكـام الثغر الأعلى والنصارى[1]، ولكن الناصر لم يشفِ صدره ما أصاب ملك الجلالقـة، فعـاد إلـى قرطبة وفي قرارة نفسه العودة من جديد لمهاجمة الجلالقة لتأديبهم وتمزيق قوتهم فبعد عامين بدأ بحشد قواته وتعبئتها لواحدة من أهم غزواته، انطلق الجيش في صيف 327هـ/939م باتجـاه مملكة الجلالقة، وحشد النصارى كامل قوتهم لمواجهة الخطر الإسلامي، اقتحم جيش المسـلمين مملكة الجلالقة ووصل إلى مدينة سمورة[2] والتقى الجيشان في معركة فاصلة كانت الغلبـة فـي بدايتها للمسلمين، ولكن تحول النصر إلى هزيمة كبيرة للمسلمين، وكاد الناصر لدين الله أن يُقْتَلَ في هذه المعركة قبل أن يتمكَّنَ من الانسحاب بجيشه الذي كَثُرَ فيه القتل والأسر، كان ذلك فـي شوال سنة 327هـ/يوليو 939م وعرفت هذه الغزوة بالخندق أو القدرة[3]. بعد غزوة الخنـدق[4] دخل النصارى في صراعٍ داخلي وتنافسُ على الملك، الأمر الذي دفع عبـد الـرحمن الناصـر للتوقف عن الغزو بنفسه، وأناب عنه في ذلك قواده ووزراؤه، حيث أخـذوا يتـرددون بـالغزو والصوائف[5] على بلاد النصارى[6].

لم يستمر الهدوء طويلاً حتى عاد النصارى لمهاجمة الأراضي الإسلامية، الأمـر الـذي دفع الناصر لتسيير الحملات العسكرية للرد على هذه الاعتداءات فتجوس في دار الحـرب ثـم تعود سالمةً غانمةً وفي عام 332هـ/943م سَيَّرَ الناصر لدين الله حملةً إلى مملكة الجلالقة وذلك للانتقام لهزيمة الخندق، وجعل على رأس الحملة عدداً من قواده المجرَّبين، فدخل الجيش المملكة

(1) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص180-183؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص364.

(2) سمورة: عاصمة مملكة الجلالقة، تقع على ضفة نهر كبير، آخر ركن الأندلس الشمالي، لها سـبعة أسـوار وبين الأسوار فواصل وخنادق ومياه واسعة. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص324.

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص137؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص68؛ ابن خلـدون: تـاريخ، ج4، ص183؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص355؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص420.

(4) عرفت هذه الغزوة بالخندق لأنها وقعت بعد تجاوز المسلمين لأحد الخنادق التي حفرها النصـارى بجانـب أسوار مدينة سمورة، وعرفت أيضاً بغزوة القدرة بسبب الاحتفال بالجيش وعظيم الحشد الذي قدر بمائة ألف ويزيدون. مجهول: أخبار مجموعة، ص137؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص183.

(5) الصوائف: جمع صائفة، مشتقة من الصيف، هي الحملات التي جرت عادة أمراء بني أمية وخلفائها علـى توجيهها إلى دار الحرب خلال فصل الصيف، حتى أصبحت تقليد ووظيفة ثابتة يُعهد بها إلى أحـد القـواد الكبار أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة أو الخليفة نفسه. ابن حبان: المقتبس، ص267.

(6) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص183؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص363.

وقتل من النصارى ضعف ما قتل من المسلمين في غزوة الخندق وأحرق عدداً كبيراً من حصونهم ثم عاد الجيش مُظَفَّراً[1].

استمر المسلمون في هجماتهم المتكررة على أراضي النصارى[2] مستغلين في بعض الأحيان الظروف الداخلية المضطربة في بلاد النصارى[3] إلى أن بدأت الاتصالات الدبلوماسية لتوقيع إتفاقيات صلح ومسالمة بين المسلمين والنصارى[4] والتي جاءت نتيجة طبيعية لخوف النصارى من دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله، يقول المسعودي: "لم تبقَ أمةٌ سمعت به من ملوك الروم والإفرنج والمجوس وسائر الأمم إلا وجرت إليه أو وفدت خاضعةً راغبة"[5].

ويقول المقري: "وهابته أمم النصرانية"[6].

في أوائل عام 349هـ/960م أصاب الناصر مرضاً شديداً احتجب بسببه عن الناس، حتى وافته المنية في صدر شهر رمضان 350هـ/ أكتوبر 961م بعد أن تمكن من إعادة مجد بني أمية الذي كاد أن يزول قبل توليه الحكم فتداركه بقوته وشدة بأسه والقضاء على خصوم دولته في الداخل والخارج عبر سلسلةٍ طاحنةٍ من الحروب المستمرة، حتى تبوأت الدولة الأموية

---

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص183؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص145؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص234.

(2) من هذه الهجمات: قيام عامر بن مطرف بن ذي النون عام 335هـ/946م من مهاجمة بلاد المشركين فظفر بهم وقتل عدداً كبيراً منهم؛ حملة عامل طليطلة إلى جليقية عام 336هـ/947م؛ غزوة أرتقيرة عام 337هـ/948م؛ حملة أحمد بن يعلي على جليقية عام 339هـ/950م؛ حملات عام 340هـ/951م على بلاد المشركين والتي خرج بها عامل بطليوس، وأحمد بن يعلي، ويحيى بن هاشم التجيبي، ورشيق قائد الناصر وجميعها عادت مظفرة سالمة غانمة، عام 342هـ/953م كانت حملة أحمد بن يعلي على جليقية، وحملة القائد غالب على بلاد البشكنس فأمكنهم الله من المشركين قتلاً وسبياً؛ حملة 343هـ/954م على قشتالة والتي قتل فيها عشرة آلاف نصراني؛ حملة عام 346هـ/957م على التوالي هاجم القائد غالب الناصري، ثم أحمد بن يعلي، بلاد الجلالقة. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص235، 237، 239.

(3) في عام 339هـ/950م مات ملك جليقية ردمير فتنازع أبنائه لسنوات .ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص236.

(4) بدأت هذه السفارات منذ عام 334هـ/945م برسل ملك القسطنطينية ثم استمرت فلم يبق أحد من ملوك الكفر إلا وذهب إلى قرطبة يطلب الصلح ويقدم الطاعة لأمير المؤمنين. للمزيد حول هذه السفارات انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص235 وما بعدها؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص184؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص364-365.

(5) التنبيه، ج1، ص121.

(6) نفح الطيب، ج1، ص363.

في الأندلس في عهده مركز الصدارة بين الدول الإسلامية، فكان عصره أعظم عصور الأندلس وذروة مجدها وعظمتها، وبداية عهد جديد في حكم الدولة الأموية في الأندلس[1].

وصل إلى الخلافة بعد موت عبد الرحمن الناصر لدين الله، ابنه الحكَم[2] الذي تلقب بالمستنصر بالله، فقام بأعباء الخلافة أتم قيام، وبدأ مبكراً مشواره الجهادي مع أعداء الله الذين نكث بعضهم العهود والمواثيق التي وقعوها مع والده الناصر لدين الله، فسار بنفسه إلى دار الحرب عام 351هـ/962م، ففتح عدداً من المدن والحصون، وسبى، ثم عاد سالماً غانماً[3]، وبهذه الغزوة أرسل إشارةً إلى النصارى الذين لم يفهموا الرسالة جيداً فخرج الحكَم مرة أخرى إلى بلاد البشكنس فأغار ودمَّر وخرب، وسار جيش آخر إلى قلهرة فافتتحها وأصبحت أرضاً إسلامية وقاعدة متقدمة للقوات الإسلامية، وسار حاكم وشقة بجيش آخر متوغلاً في شمال البشكنس، فحققت هذه الحملات نصراً ونجاحاً والهدف المطلوب منها حيث سارع بعض النصارى لتجديد معاهدات الصلح مع المسلمين[4].

وفي عام 354هـ/965م توجهت حملة إلى ألبة والقلاع وتمكنت من السيطرة على حصن غرماج والتوغل في بلاد النصارى والعودة مظفرين[5]، ويقدم لنا ابن عذاري سلسلة من الغزوات الناجحة والمظفرة والتي وقعت في الأعوام 354هـ، 355هـ، 356هـ دون ذكر تفاصيل[6]، أما ابن خلدون يوضح أنه في عام 355هـ/966م بدأت تتوافد رسل النصارى إلى قرطبة تطلب تجديد الصلح والسلم وتقدم قرابين الطاعة والولاء[7].

---

(1) ابن حزم: رسالة، ج2، ص193؛ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص270؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص239.

(2) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط: كنيته أبو المطرف، تاسع أمراء بني أمية في الأندلس، كان مولده في قرطبة يوم الجمعة مستهل شهر رجب عام 302هـ/915م ومات وعمره ثلاث وستون سنة وأشهراً في 10 محرم عام 366هـ/982 ومدة ولايته خمسة عشر سنة وأشهراً، حيث بويع بالخلافة في شهر رمضان سنة 350هـ/ أكتوبر 961م، كان من أهل الدين والعلم ولم يعرف خليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والاهتمام بالعلم والعلماء. القضاعي: الحلة، ج1، ص201؛ النويري: نهاية الأرب، ج23، ص234.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص244؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص185.

(4) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص185، 186؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص486-487.

(5) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص186.

(6) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص245 وما بعدها.

(7) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص186 وما بعدها.

كذلك تمكن المسلمون من رد هجمات النورمان على بلاد المسلمين في عام 356هـ/967م وإلحاق الهزيمة بهم وخسائر مادية وبشرية[1]، عاد النصارى لنكث عهودهم في عام 365هـ/975م وهاجموا بلاد المسلمين ولكن المسلمين تمكنوا من هزيمتهم في أكثر من واقعة واقتحم جيش المسلمين أرض النصارى وعاد بالأسلاب والغنائم[2].

انتهت خلافة الحَكَم المستنصر بالله وأهمّ ما ميزها على الصعيد العسكري نُدرة في هجمات النصارى على الأراضي الإسلامية وقلة الخارجين على الدولة والتوجه نحو الغرب الأندلسي وبلاد المغرب العربي[3] **فنستطيع أن نقول أن عصر الحكم يمثل ربيع الدولة الأموية في الأندلس.**

بوفاة الحكم المستنصر، وصل إلى الخلافة ابنه هشام[4] الذي تلقب بالمؤيد ولم يكن يجاوز الحادية عشرة من عمره وكان متغلباً عليه[5]، لا أمر ولا نهي له، وخلع مرة بعد مرة[6]، وتعتبر خلافة هشام المؤيد النهاية الحقيقية للحكم الأموي في الأندلس، حيث لم يبقَ من الخلافة الأموية إلا الاسم والرسم، وأصبح الخلفاء الأمويون مجرد أداة في يد المتغلبين، بل أصبحت الدولة تسمى باسم هؤلاء المتغلبين عند بعض المؤرخين[7]، ووصل إلى الحكم من أفراد البيت الأموي خمسة[8] خلفاء قبل أن يعلن رسمياً انتهاء الحكم الأموي في الأندلس ويتوقف ذكر خلفاء بني أمية من على المنابر في الأندلس وذلك في عام 422هـ/1031م[9] وشهدت هذه الفترة

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص383.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص250؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص501.

(3) لمزيد من المعلومات حول تدخل قرطبة في الشأن المغربي وقمع المخالفين هناك والداعمين للفاطميين والشيعة انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص249 وما بعدها.

(4) هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله: عاشر الخلفاء، تلقب بالمؤيد بالله، ويكنى أبا الوليد، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه 366هـ/982م وعمره عشرة أعوام وأشهر، وكانت وصية عليه أمه صبح البشكنسية، قتل في شوال سنة 403هـ/مايو 1013م ولم يولد له قط. الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص6.

(5) تغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، فكان هو المتصرف بأمور الدولة. ابن حزم: رسالة، ج2، ص196.

(6) خلع هشام المؤيد عام 399هـ/1008م حيث قام بذلك محمد بن هشام بن عبد الجبار، ثم أعيد للخلافة عام 400هـ/1009م، ثم خلع وقتل عام 403هـ/1012م. ابن حزم: جمهرة، ج1، ص100.

(7) ابن سعيد: القرط، ج1، ص3؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص38؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص269.

(8) انظر ملحق رقم (6).

(9) بعض المؤرخين يعتبر موت هشام بن محمد الملقب بالمعتمد في عام 427هـ/1035م هو نهاية الدولة الأموية في الأندلس، في حين يعتبر آخرين نهايتها في سنة خلعه ونفيه عن قرطبة عام 422هـ/1031م. ابن حزم: الرسالة، ج2، ص203؛ ابن كثير: المختصر، ج1، ص249.

العديد من الفتن والاضطرابات والخروج على الحاكم والاستعانة بالنصراني، بل ومشاركته في العمليات القتالية جنباً إلى جنب مع الخارجين على الدولة وإقامة عدد من الجند النصارى ضمن الحمايات الإسلامية لبعض المدن[1]؛ لتدخل بذلك الأندلس حقبة خطيرة في تاريخها، من التمزق والفوضى والاضطراب، بعدما وصلت إلى قمة المجد والعظمة وكان يحسب لها ألف حساب.

ثانياً- الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الإمارة الثالث (الخلافة):

تمكن المسلمون في هذا العصر تحقيق العديد من الانتصارات على أعدائهم وتحقيق إنجازات على أكثر من صعيد حتى أن سائر الأمم خطبت ودهَّم وسعت للصلح معهم وملأ الرعب صدورهم من هجمات المسلمين عليهم **فكان أحد أسباب تحقيق هذه النتائج المبهرة، استخدام المسلمين للحيل والخدع والمكر مع أعدائهم والتي كان من أهمها:**

1- الحصار الشديد وعدم إعطاء المحاصرين أي فرصة للخرق، مع استمرار قصف المكان المحاصر بالمنجنيق، الأمر الذي يسبب إرهاق شديد للمحاصرين ويبلغ الجهد بهم مبلغه ويجعلهم يشرفوا على الهلاك فيندفعوا لطلب الصلح والأمان، فكان استخدام الناصر المنجنيق تزامناً مع الحصار **إحدى الحيل والأساليب** التي استخدمها لإخضاع الحصون والقلاع والمدن النصرانية، مثلما فعل عند حصار طُرش عام 308هـ يقول ابن عذاري: "فأحدقت العساكر به من جميع جهاته، وعَهِد بمحاربتهم والتضييق عليهم ونصب المجانيق على مَرْمَى تصل منه حجارته إلى الكفرة"[2].

2- سياسة الأرض المحروقة: أسلوب قتال و**حيلة** استخدمها قادة الجيش الإسلامي في هذا العهد، بحيث يتم هدم وحرق ونسف كل المباني والحصون والقلاع وأحياناً الزروع قبل التقدم باتجاه العدو، وذلك بُغية تحقيق عدة أهداف أهمها:

أ- عدم تحصن أو إختباء العدو في هذه الأماكن.

ب- عدم إعطائه فرصة لنصب الكمائن من خلال هذه المواقع أو الالتفاف على جيش المسلمين.

ت- النكاية في الأعداء وذلك لينشغلوا في أنفسهم، ويأخذوا وقتاً وهم يصلحون ويرممون ما قام به المسلمون وبالتالي يتوقفوا عن مهاجمة المسلمين.

---

(1) النويري: نهاية الأرب، ج23، ص248؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص192؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص646.

(2) البيان المغرب: ج1، ص219.

حتى غدت هذه السياسة سمة غالبة على معظم معارك المسلمين مع النصارى، مثال ذلك ما قام به الناصر في سنة 312هـ/924م في الغزوة المعروفة بغزوة بنبلونة(1).

3- تغيير طرق الغزو وسلوك طريق آخر: **خدعة** استخدمها قادة الجيش في هذا العهد وذلك حتى لا تأخذ المنطقة المستهدفة احتياطاتها، وتكون الغزوة مفاجئة لها، مثال على ذلك عندما قام جيش المسلمين بغزو مدينة بشكونشة وذلك في 11 ربيع الآخر 313هـ/925م، كما يقول ابن عذاري: "فدخلت الجيوش من مواضع لم تدخلها من قبل"(2).

4- إيهام العدو بقبول الصلح معه حتى يأمن على نفسه، ثم يداهمه فجأة وعلى حين غفلة: **خدعة** استخدمها الناصر، عندما افتتح حصن وخشمة حيث راسله حاكم الحصن مبدياً له الجنوح للسلم ويعده بأشياء يقطعها على نفسه، فأوهمه الناصر بقبول ذلك، وهو يضمر الكيد به، ثم أغار عليهم فاستولى على الحصن دون قتال يذكر(3).

5- هَدْمُ الحصون والأبراج القريبة من الأراضي الإسلامية: أسلوب قتال فيه من **الحيلة** و**المكر لأعداء الله وذلك في أكثر من اتجاه:**

أ- حتى لا تقوم جيوش النصارى بشن غارات سريعة على المواقع الإسلامية.

ب-حتى لا تشكل نقاط لرصد تحركات المسلمين وبالتالي تفقد أي خطوة يقوم بها جيش الإسلام اتجاه النصارى عنصر المفاجأة.

ت-حتى لا تشكل حواجز صد ومنع وإعاقة لجيوش المسلمين أثناء تقدمها باتجاه بلاد الأعداء.

هذا الأسلوب نجده واضحاً عندما وَقَّع الناصر ومِنْ بعده ابنه الحكم اتفاق مصالحة كان من بين شروط الاتفاق هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين(4)، ويتضح أيضاً من كلام صاحب البيان المغرب: "ثم انتقل إلى حصون المسلمين يسكنها وينظر في مصالح أهلها، فكلما ألفى بقربها معقلاً للمشركين هدمه وأحرق بسيطه"(5).

6- توقيع معاهدات صلح وعقود أمان: **حيل** استخدمها المسلمون في عهد الإمارة الثالث وذلك لتحييد أكبر قدر ممكن من النصارى أثناء المعارك؛ وكذلك لأخذ قسط من الراحة وإعادة ترتيب وتنظيم صفوف الجيش والانتباه للوضع الداخلي، سواء على صعيد القضاء على الخارجين على الدولة أو الإصلاحات الإدارية والعمرانية وغيرها من الإصلاحات، وهذا

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص222.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص222.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص217.

(4) المقري: نفح الطيب، ج1، ص384.

(5) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص218.

واضح من خلال نصوص المعاهدات والمواثيق والتي منها "وأن لا يظاهروا على المسلمين أهل ملتهم، وأن ينذروا المسلمين بما يكون من النصارى في الإجلاب على المسلمين"(1).

7- مناصرة ودعم الخارجين من النصارى: **حيل** استخدمها المسلمون من أجل إضعاف الجبهة الداخلية للنصارى، وتمزيق جهودهم وتشتيت قوتهم، والوصول إلى كرسي الحكم برجال تربطهم بالمسلمين علاقات تحالف وولاء، وكانت حدود المساندة تصل إلى حد تسيير الجيوش لتمكين الحليف من الجلوس على كرسي الحكم مثال على ذلك: عندما انتفض على شانجة ملك الجلالقة ابن عمه أردون، وبمساندة البشكنس استولى على الحكم استنجد شانجة بالناصر لدين الله، فجهز الناصر له جيشاً وسيره معه حتى استعاد كرسي الحكم(2)، وكذلك مساندة غرسية ملك الجلالقة بالعساكر حتى تمكن من استرداد ملكه(3).

8- قتل جميع النصارى المتحالفين مع المسلمين والمشاركين معهم في القتال: **حيلة استخدمها** المسلمون لبث الرعب في صدور الأعداء ومن أجل أن يتوقفوا عن دعم الخارجين خاصة عندما يشاهدوا العفو والصفح عن المسلمين الخارجين على الدولة وهم ليس لهم إلا الذبح والقتل وجز الرؤوس وتعليقها على أبواب المدن، وذلك واضح عندما غزا الناصر قلعة أيوب وتحصن بها عدد من الخارجين على الدولة وكان معهم من نصارى ألبة والقلاع ومع اشتداد الحصار طلب الخارجون الأمن والعفو، فوافقهم على ذلك الناصر لدين الله وقتل من كان معهم من النصارى(4)، كذلك قتل جميع النصارى الذين ضبطوا مع ابن حفصون يقول ابن عذاري: "أفناهم عن آخرهم"(5).

9- استغلال حالة السلم والمهادنة مع النصارى بتكثيف إرسال السفراء إلى بلاد العدو تحت أي ذريعة: **حيلة استخدمها** حكام الأندلس في هذا العصر، وذلك للوقوف على تحركات العدو وتصرفاته والتعرف على أخباره ونياته، واستمالة بعض الشخصيات؛ ليكونوا عيناً للمسلمين، وقد انتدب لهذه المهمة أمهر رجاله وأخلصهم(6) للسفارة بينه وبين ملوك النصارى ومقابلة

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص384.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص255.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص366.

(4) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص180.

(5) البيان المغرب، ج1، ص211.

(6) من هؤلاء الرجال: هشام بن كليب، عبد الرحمن بن جحاف قاضي بلنسية، وقائد الجيش ايوب الطويل، والعريف ابن أبي عمروس. انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص238، 244؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص183.

قواميسها والتردد عليهم، الأمر الذي يعطينا تصور عن بعض الوسائل والأساليب التي استخدمها حكام الأندلس للإحاطة بأخبار الأمم النصرانية وخططها ونياتها(1).

10- استغلال الخلاف القائم بين النصارى، وذلك لاقتحام أرضهم على حين غفلة وتحقيق إنجازات بأقل الخسائر: **حيل** استخدمها المسلمون في هذا العصر، مثال ذلك الخلاف الذي وقع في مملكة الجلالقة بعد وفاة ملكها ردمير، ودخول ابنيه أردون وغرسية في صراع على السلطة، فاقتحم المسلمون عليهم أرضهم واستولوا على ثلاثةِ حصون منهم كان ذلك في أواخر رجب عام 339هـ/951م(2).

11- العفو عن الثوار العتاه والإحسان إليهم والعمل على استمالتهم وضمهم للجيش: **حيلة استخدمها** الخليفة الناصر، وذلك للاستفادة منهم لما يشكلونه من بأسٍ وقوةٍ وعصبةٍ وأنصار على أكثر من صعيد:

أ- توقف هؤلاء الثوار عن استنزاف جيش المسلمين في القضاء على ثوراتهم مما يسبب إرهاق شديد لجيش المسلمين.

ب- زيادة عدد الجيش ورفده بعناصر صاحبة قوةٍ وبأسٍ وخبرة بأرض العدو سيما وأن عدد منهم قد دخل في تحالفات من العدو وأقاموا في أرضهم مثل أمية بن اسحاق(3) وغيره(4).

فهذا الأسلوب يعطينا فكرة عن سياسة مستنيرة وواعية من الخليفة القائد الذي يجب أن تمتاز سياسته بالشدة واللين مع رعيته وفق ما تقتضيه مصلحة العباد والبلاد.

12- طلب رهائن من النصارى عند توقيع معاهدات واتفاقيات صلح: **حيلة** استخدمها الحكم؛ ليضمن التنفيذ الدقيق من قبل النصارى لبنود الاتفاق، وغالباً ما تكون الرهينة من الأقارب درجة أولى، مثل ما فعل مع أردون ملك الجلالقة عندما جاءه يطلب مناصرته وأعانته على

---

(1) عنان: دولة الإسلام، ج2، ص512.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص236.

(3) أمية بن اسحاق: هو أخ أحمد بن اسحاق أحد وزراء عبد الرحمن بن محمد الناصر، قتله الناصر لجريمة استحق بها القتل، وبعد قتل أخيه منع من دخول مدينة شنترين وكان نائباً لحاكمها، فراسل رذمير ملك الجلالقة، فاصطفاه واستوزره، وجعله في جملته، وكان له دور في إعانة الجلالقة في معركة الخندق التي هزم فيها المسلمون، ثم استأمن إلى عبد الرحمن فأكرمه وأمنه. المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص183.

(4) من أمثال محمد بن هشام التجيبي، وثعلبة بن محمد بن عبد الوارث، والشيخ اسحاق وأبنائه في إشبيلية، وأحمد بن أضحى الهمداني: انظر: ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص179 وما بعدها.

ابن عمه شانجة بن رذمير فوافق الحكم مقابل موالاة الإسلام ومقاطعة من يعادون الإسلام فوافق ورهن ابنه غرسية(1).

13-تقسيم الجيش عند الوصول إلى مكان القتال إلى أكثر من قسم: **حيلة وأسلوب قتال استخدمها قادة الجيش** في هذا العصر وذلك لإرباك العدو وتشتيت قوته وعدم تركيزه لأي الجبهات يتصدى، سيما وأنه يكون قد جهز نفسه ورتب قواته على أساس الهجوم من اتجاه معين فإذ به يفاجئه المسلمون بالهجوم من أكثر من اتجاه، مثلما فعل الناصر عندما هاجم ألية والقلاع عام 326هـ/937م حيث قسم الجيش قبل وصوله إلى مكان القتال إلى ثلاثِ فرقٍ الأمر الذي جعله يحقق أهداف غزوته بأقل الخسائر(2).

14-في الغزوة المعروفة بالخندق عام 327هـ/938م والتي انتصر فيها النصارى على المسلمين بسبب وقوع المسلمين في كمائن جيش النصارى، وكذلك وجود بعض المخذلين والمرجفين والمنافقين في الجيش الذين أظهروا انهزامهم أمام ضربات النصارى مما أربك الجيش، تجلّت هنا حكمة القائد الناصر لدين الله حيث قام بخداع النصارى موهماً لهم أنه ينسحب انسحاب تكتيكي من ميدان المعركة وذلك بانسحابه باتجاه أحد المواقع داخل الأراضي النصرانية وليس الانسحاب باتجاه الأراضي الإسلامية، فخشي هنا العدو أن يكون الناصر قد أعد لهم كميناً فتوقفوا عن ملاحقة جيش المسلمين؛ ليتمكن بعدها الناصر من الانسحاب باتجاه الأراضي الإسلامية مجنباً جيشه الإبادة الكاملة داخل الأراضي النصرانية(3) وبعض المؤرخين ينسب عدم ملاحقة النصارى لجيش المسلمين إلى أمية ابن اسحاق الذي أوهم النصارى بأن انسحاب جيش الناصر نتيجة لكمين أعده لهم، وذلك عندما شاهد كثرة القتل في صفوف أبناء جلدته تحركت عاطفته والتي جعلته فيما بعد يعود لصفوف المسلمين(4).

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص384.

(2) ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص165؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص412.

(3) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص183؛ المقري: نفح الطيب، 1، ص355؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص416.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص145.

الفصل الرابع

الخدع العسكرية للمسلمين من الدولة العامرية حتى سقوط غرناطة

368-897هـ # 978-1492م

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الدولة العامرية ودول الطوائف.**
- **المبحث الثاني: الخدع العسكرية للمسلمين في عهد دولتي المرابطين والموحدين.**
- **المبحث الثالث: الخدع العسكرية للمسلمين في عهد دولة بني مرين ومملكة غرناطة.**

المبحث الأول

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد الدولة العامرية[1] ودول الطوائف[2]

368-484هـ # 978-1091م

جمع هذا المبحث بين حقبتين متباينتين بشكل كبير، حيث بلغت دولة الإسلام في الأندلس خلال الحكم العامري وما قبله ذروة المجد والعظمة والقوة، ومع نهاية الدولة العامرية وتفكك الخلافة الأموية بدأت تنحدر الدولة الإسلامية في الأندلس باتجاه الاضطرابات والفتنة وعدم الاستقرار، وحالة من التشرذم والتمزق نشأ معها دول صغيرة على أنقاض دولة الإسلام الكبيرة، عرفت بدول الطوائف ودخل زعماؤها الذين عرفوا بملوك الطوائف في حالة من الخصومة والنزاع التي وصفها ابن بسام بقوله: "فركبت سنن من تقدمني، فيما جمعت من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية، ونظمته وكشفت عنه، وأوعيت فيه ذكر دولهم المضطربة، وسياساتهم المنفرة، واسباب كبار الأمراء المنتزين في البلاد عليهم، وسبب انتقاض دولهم، وحالٍ فحالٍ بأيديهم، ومشهور سيرتهم وأخبارهم، وما جرى في مددهم وأعصارهم من الحروب والطوائل، والوقائع والملاحم، إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان، ووفاة العلماء والأشراف"[3].

هذا الوصف لابن بسام يعطينا فكرة عن حالة التشرذم والتمزُّق التي أصابت الأندلس، وظلت معها تترنَّح سنوات طويلة، حتى تهيأت لها ظروف جديدة في ظِلِّ حكامٍ جُدد[4] تمكنوا من لَمِّ شمل الدولة وإعادة تفوقها العسكري على النصارى.

(1) الدولة العامرية: المقصود بها الفترة التي تغلب فيها المنصور بن أبي عامر على الخليفة هشام المؤيد وجعل جميع السلطات في يده ولم يكن الخليفة سوى أداة في يده واستمرت حتى عام 399هـ/1009م. الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص6.

(2) دول الطوائف: يقصد بها تلك الحقبة التي جاءت بعد انهيار الدولة العامرية وتفكك الخلافة الأموية ومن ثم الدولة الأندلسية وانقسامها إلى دويلات تزعم كل دويلة منها السيادة والاستقلال وانتهت عام 484هـ/1091م وشغلت قرابة الثمانين عاماً من حكم الأندلس. عنان: دولة الإسلام، ج3، ص3.

(3) الذخيرة، ج1، ص578.

(4) المقصود دولة المرابطين ودولة الموحدين.

أولاً- الخدع العسكرية في الدولة العامرية:

تمت بيعة هشام المؤيد ولكن دون أن يباشر الحكم بسبب صغر سنه، وأصبحت السلطة ومقاليد الحكم في يد ثلاثة(1) هم: جعفر بن عثمان المصحفي(2)، ومحمد بن أبي عامر(3)، ووالدة الخليفة هشام المؤيد(4) الذين جمعتهم غاية مشتركة وهدف واحد، ولكن هذا التحالف انتهى سريعاً أمام الرغبة القوية لابن أبي عامر في السيطرة والاستحواذ بالحكم، فكانت أولى خطواته بالحجر على الخليفة ولم يسمح لأحد برؤيته أو مخاطبته أو الاقتراب منه(5)، ثم بدأ يخطط للسيطرة على الجيش، ويدبر المكائد لإزاحة جعفر المصحفي من طريقه حتى نجح في ذلك بمساعدة والدة الخليفة(6)؛ ليصبح صاحب الحكم والسلطة بعد أن قضى على جميع خصومه ومنافسيه، وأخذ ينسج لنفسه ثوب الملك حتى أعلن نفسه رسمياً ملكاً وتسمَّى بالمنصور وأمر بالدعاء له على المنابر وذلك عام 371هـ/981م(7) ثم رشَّح ابنه عبد الملك للولاية من بعده وبالتالي أحكم سيطرته الفعلية على الدولة واستأثر بالسلطة والحكم ولم يبقَ له إلا ينتزع الصفة الشرعية من بني أمية ويعلن عن دولة له ولعقبه من بعده(8).

---

(1) الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص6؛ القضاعي: الحلة، ج1، ص258؛ مجهول: بلاد الأندلس، ج1، ص178.

(2) جعفر بن عثمان المصحفي: يكنى أبو الحسن، من برابر بلنسية وينتمي إلى قيس بالمخالفة، كان والياً على جزيرة ميورقة في أيام الناصر، واستوزره الحكم وجعله على كتابته الخاصة وضم إليه الشرطة ثم جعله حاجبه، وأخذ البيعة لهشام، وأقر على الحجابة، إلى أن عزل عام 367هـ/977م ثم سجن وقتل في السجن خنقاً عام 372هـ/982م وقيل أنه مات طبيعياً. القضاعي: الحلة، ج1، ص257 وما بعدها.

(3) محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر المعافري: يكنى أبو عامر، ولقب بالمنصور، كان جده عبد الملك من أوائل العرب الذين دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد أصله من الجزيرة الخضراء، تدرج في مراكز الدولة بدعم وتشجيع من زوجة الحكم والدة هشام المؤيد حتى تمكن من السيطرة على الأندلس بشكل فعلي والخليفة كان له الاسم فقط، بلغت غزاوته أكثر من خمسين غزوة، كانت وفاته في صفر عام 392هـ/1001م. ابن سعيد: المغرب، ج1، ص199 وما بعدها.

(4) هي صبح البشكنسية كانت جارية في قصر الحكم وأم ولده عبد الرحمن الذي مات صغيراً وهشام المؤيد، وسماها الحكم بجعفر زادت مكانتها عند الحكم لإنجابها الولد له حتى غدت ذات مكانة ومركز في قصر الخلافة، كانت على علاقة بابن أبي عامر ويقال إنها تزوجته سراً. ابن حزم: نقط العروس، ج2، ص68؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص244-252.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص369؛ النويري: نهاية الأرب، ج23، ص237.

(6) الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص28؛ ابن سعيد: المغرب، ج1، ص195.

(7) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص265.

(8) الحميدي: جذوة المقتبس، ج1، ص6؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص272.

بدأ ابن أبي عامر مشواره الجهادي مبكراً حيث كانت أول غزواته في رجب عام 366هـ مارس 977م(1) واستمر في الجهاد والغزو ضد النصارى لا يشغله عنه شيء حتى وفاته(2) في رمضان عام 392هـ أغسطس 1002م(3) حيث بلغت غزواته أكثر من خمسين غزوة(4) لم يهزم قط في غزوة منها وكان فيها غانماً منتصراً، وفتح في بلاد الأعداء كثيراً ووصل إلى أماكن لم يصل إليها أحد قبله، وامتلأت بلاد الأندلس بالسبي والغنائم(5) **وما كان للمنصور بن أبي عامر أن يحقق هذا الظفر والانتصار بدون مكر وخديعة حيث أعمل الحيلة والخديعة في كل مناحي حياته حتى وصل إلى ما هو فيه من سلطة وسيادة واقتدار فكان من أهم الحيل والخدع التي استخدمها في حياته العسكرية ما يلي:**

1- **الحصار الشديد:** أحد الوسائل والأساليب التي استخدمها المنصور بن أبي عامر لإخضاع المدن والقلاع والحصون، وبغير هذه **الخدعة** ما كان له أن يفتح تلك الحصون والمدن حيث كان من خلال هذه **الخدعة** يوهم السكان بأنه لن يرفع عنهم الحصار حتى يستسلموا ويسلموا أو يفنوا عن آخرهم، وكان يساعده في ترويج ذلك قيامه بتخريب وهدم كل ما يحيط بالحصن أو المدينة، وهذا نجده واضحاً في فتحه لمدينة سمورة عام 371هـ/981م في غزوته السادسة فعندما امتنعت عليه المدينة قام بحصارها ثم باشر بهدم ونسف كل ما يحيط بالمدينة(6)؛ وكذلك عندما فتح حصن الحامة(7) في غزوته الأولى عام 366هـ/977م حيث لم يتمكن من فتح الحصن إلا بعد تشديد الحصار على سكانه مما دفعهم للاستسلام وتسليم الحصن(8).

2- **مساندة ومعاونة أحد الفريقين المتنازعين في بلاد النصارى: حيلة وخدعة** اعتمدها المنصور بن أبي عامر، لتمزيق وحدة النصارى وإضعاف قوتهم وإخضاعهم لطاعة الدولة

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص257؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص88.

(2) اعتبر ابن سعد أن وفاة ابن أبي عامر من الحوادث التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي في الأندلس. القرط، ج1، ص3.

(3) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص202.

(4) للمزيد عن هذه الغزوات: ابن الدلائي: نصوص، ص74 وما بعدها؛ مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص185وما بعدها.

(5) المراكشي: المعجب، ج1، ص38؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص268-276؛ النويري: نهاية الأرب، ج23، ص237.

(6) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص186؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص527.

(7) حصن الحامة: يقع جنوب بلدة بخار في السفح الغربي لجبال جريدوس، يعرف اليوم (بلوس بانيوس)؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص527.

(8) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص257؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص88.

الإسلامية بأقل الخسائر، ويتضح ذلك من خلال مساندته (برمود) ضد (راميرو) أثناء الصراع بينهما للسيطرة على كرسي الحكم في مملكة البشكنس وذلك مقابل الاعتراف بالطاعة والخضوع للمسلمين فأمده المنصور بالجيش، وتمكن (برمودو) من السيطرة على الحكم وإخضاع المملكة لسيطرته وبقيت في المملكة قوة كبيرة من المسلمين، وبذلك دخلت مملكة البشكنس النصرانية لأول مرة تحت السيادة الإسلامية وغدت ولاية تابعة للدولة الإسلامية تنفذ سياستها وتخضع لطاعتها، **وما كان للمنصور تحقيق ذلك لولا سياسة المكر والدهاء والخديعة التي اتبعها موهماً خصمه أنه يعمل لصالحه**، وفي سبيل توطيد حكمه ولكن الحقيقة أن المنصور أراد السيطرة على المملكة مستغلاً الخلاف والنزاع الحاصل بين النصارى كان ذلك في عام 373هـ/984م[1]. كذلك نجد أن النصارى استخدموا هذا الأسلوب مع المسلمين فنجد (غرسية) صاحب ألبه ساند ودعم عبد الله بن أبي عامر في خروجه على أبيه المنصور[2].

3- تدمير وحرق المدن:

حيلة وخدعة وأسلوب قتال اعتمده المنصور لوقف هجمات النصارى على الأراضي الإسلامية حيث:

أ- خرج المنصور في غزوته الثالثة والعشرين من قرطبة في ذي الحجة عام 374هـ/ مايو 985م[3] قاصداً برشلونة التي سيطر عليها النصارى عام 185هـ/801م أثناء خلافة الحكم بن هشام، وجعلوا منها قاعدة متقدمة لمهاجمة الأراضي الإسلامية[4]، فأراد المنصور أن يضع حداً لتجاوزات النصارى في هذه المدينة فدارت على أبواب المدينة معركة قوية بين الطرفين كانت الغلبة فيها لقوات ابن أبي عامر التي تمكنت من دخول المدينة منتصف صفر عام 375هـ/6 يوليه عام 985م[5]، فقامت بتدمير المدينة وحرقها، وقتل معظم سكانها، وتركوها أثراً بعد عين تم تركها ولم تكن لديه نية في الاحتفاظ بها[6].

يتضح لنا من خلال هذه الغزوة أن ابن أبي عامر استخدم أكثر من **حيلة** لوقف تجاوزات مدينة برشلونة على الأراضي الإسلامية، حيث قام جيش المسلمين بتدمير

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص256؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص542.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص267.

(3) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص188؛ القضاعي: الحلة، ج2، ص312.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص309-323؛ ابن كثير: المختصر، ج1، ص157.

(5) القضاعي: الحلة، ج2، ص311.

(6) عنان: دولة الإسلام، ج2، ص544.

المدينة وحرقها وقتل معظم أهلها وذلك حتى لا تعود لما كانت عليه من قبل، فقيامه بتدمير المدينة فقط دون قتل سكانها يسمح للسكان بالعودة لبناء المدينة من جديد، وقتل السكان مع بقاء المدينة على حالها، يعطي فرصة لقوم آخرين للإقامة فيها، ولكن تدمير المدينة وقتل سكانها شكل ضمان حقيقي لوقف الاعتداءات من تلك الناحية على الأراضي الإسلامية بعد تدمير قوة النصارى.

يقول ابن الخطيب: "وقومس الفرنجة بمدينة برشلونة، وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعاً، وأوسعها وأوفرها من الاستعداد، وما أوطئ من الممالك والبلاد، وفتح من القواعد، وهزم من الجيوش، وقف المنصور عنها، وهو أطمع الناس في استيصالها"(1).

كذلك استخدام ابن أبي عامر لهذه **الحيلة والأسلوب** مكنه من عدم إقامة قوات إسلامية في تلك المنطقة البعيدة عن عاصمة الخلافة وفَوَّت الفرصة على النصارى للانفراد بجيش المسلمين في ذلك الطرف النائي من الأندلس، وبهذا تمكن المنصور إخماد واحدة من جبهات القتال المستعرة في الشمال الأندلسي والتي أذاقت المسلمين في تلك النواحي ويلات الحرب والقتال.

ب- في عام 378هـ/987م توجه المنصور إلى مدينة قُلُمرية، لتأديب النصارى على ما فعلوه بحامية ليون المسلمة، فاستولى عليها، وقام بتخريبها وتدميرها وبقيت لمدة سبعة أعوام لا يستطيع أحد أن يسكنها نتيجة التخريب والدمار الذي لحق بالمدينة(2).

ويعكس هذا الأسلوب مهارة ابن أبي عامر في جعل النصارى ينشغلون في أنفسهم ويوقفون هجماتهم على المسلمين؛ وذلك خوفاً من أن يلحق بمدائنهم الخراب والتدمير وكذلك لانشغالهم بإعادة بناء وترميم ما تم تدميره وتخريبه.

4- تغيير الاتجاه:

في عام 378هـ/988م خرج المنصور في جيش كبير موهماً النصارى أنه يريد سمورة فتحفز النصارى لذلك ورتبوا أنفسهم ووضعوا خططهم لمواجهة جيش المنصور لاعتقادهم أن الهجوم سيكون على مدينتهم، ولكن المنصور فاجأهم بتغيير سير قواته إلى مدينة ليون فلم يعق دخوله المدينة إلا مناعة أسوارها ولكنه سرعان ما تغلب عليها ودخلها المسلمون بعد أن قتلوا قائدها (الكونت جونزا الفو كونثالث) وقام المسلمون بتخريب المدينة وقتل

---

(1) الإحاطة، ج2، ص59.

(2) عنان: دولة الإسلام، ج2، ص547.

سكانها وتركوها قاعاً صفصفاً؛ ثم توجه المنصور إلى مدينة سمورة، فحاصرها حتى اضطر سكانها إلى تسليمها والاعتراف بطاعتهم للمنصور(1).

ومن هنا يتضح لنا مهارة المنصور في فتح مدينة ليون الحصينة بأقل الخسائر وبسرعة كبيرة وذلك باعتماده **المكر والخديعة** والتضليل حيث أوهم النصارى بأن هدف غزوته مدينة سمورة فرتبوا أنفسهم وأخذوا احتياطاتهم وجهزوا قواتهم على ذلك وإذا بهم يفاجأوا بجيش المسلمين على أبواب مدينة ليون مما أربك حساباتهم وبَدد خططهم واتبع هذه **الحيلة، بحيلة** أخرى حينما ركز على قتل قائد المدينة؛ ليقضيَ على أي أمل لدى سكان المدينة في إعادة ترتيب صفوفهم، ثم قيامه بتخريب المدينة وقتل سكانها في **حيلة** أخرى؛ حتى لا تعود المدينة لسابق عهدها في مهاجمة الأراضي الإسلامية وينشغل النصارى في إعادة بناء وترميم مدينتهم.

كذلك مهاجمة مدينة سمورة بعد الانتهاء من مدينة ليون **خدعة** أخرى استخدمها المنصور، حيث هاجم المدينة بعد أن اعتقد سكانها أنهم غير مستهدفين وأن الهجمة تجاوزتهم لغيرهم فأخلدوا للراحة، وأوقفوا الاستنفار، ففاجأهم المنصور بمهاجمة المدينة الأمر الذي دفع سكانها إلى التسليم والاعتراف بالطاعة للمنصور وهرب حاكمها (برمودو) (2).

وعليه تتضح لنا براعة المنصور في السيطرة على مدينة سمورة المنيعة والتي تشكل قصبة ملك النصارى فما كان له أن يحقق ذلك الانتصار بهذه السرعة وبخسائر قليلة بدون المكر والخديعة.

5- **إرسال الرسل والسفراء بشكل مستمر إلى بلاد الشرك: خدعة وحيلة** أراد منها ابن أبي عامر الوقوف على أخبارهم ومعرفة أحوالهم، يذكر ابن عذاري: أن أحد الرسل كان كثير التردد على بلاد البشكنس فوقف على عدد من الأسرى القدامى لازالوا في الأسر وكانت الهدنة مع المسلمين تقضي بإرجاع جميع الأسرى وعدم إبقاء أحد منهم، فاعتبره ابن أبي عامر نقضاً للاتفاق والعهد الذي بينهم فجهز جيشاً لمهاجمة بلاد البشكنس وإنقاذ الأسرى، وعندما علم النصارى بذلك بادروا بإرسال الأسرى قبل أن يقتحم جيش المسلمين أرضهم طالبين العفو والصفح لعدم علمهم بوجود هؤلاء الأسرى وقدموا بين يدي ابن أبي عامر هدم الكنيسة التي كان يحتجز فيها الأسرى تكفيراً عن فعلهم فقبل منهم ابن أبي عامر ذلك(3).

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص256؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص548.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص256.

(3) البيان المغرب، ج1، ص274.

فبدون هذه **الخدعة** والأسلوب الذي اعتمده ابن أبي عامر كوسيلة للوقوف على أخبار بلاد الأعداء لما تمكن من تحرير أسرى المسلمين.

6- **تتابع واستمرار الغزوات على بلاد النصارى: خدعة** وأسلوب قتال أراد منه ابن أبي عامر إرهاق النصارى وإشغالهم في أنفسهم وعدم إعطائهم فرصة لإعادة ترتيب صفوفهم وبناء قوتهم فيجعلهم طوال الوقت يعاودون بناء ما دمر وإصلاح ما تم تخريبه ويصبح كل همهم الدفاع عن أنفسهم يقول ابن سعيد المغربي: "وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة"(1) فبهذا الأسلوب تمكن ابن أبي عامر من تحقيق الانتصار دوماً، ولم يهزم قط أمام المشركين(2)، فبدون هذه **الخدعة** و**الحيلة** ما كان لابن أبي عامر أن يحقق هذا الفوز والظفر على أعداء الله يقول ابن عذاري (نقلاً عن الفتح بن حاقان): "وتمرس المنصور ببلاد الشرك أعظم تمرساً، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس، وغادرهم صرعى البقاع، وتركهم أذل من وتد بقاع، ووالى علم بلادهم الوقائع، وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع، وأغص بالحمام أرواحهم، ونَغَّص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم"(3).

7- **من دهائه ومكره في الحروب ما ذكره ابن الأثير**: "من محاسن أعماله أنه دخل بلاد الفرنج غازياً فجاب الدرب إليها وهو مضيق بين جبلين وأوغل في بلاد الفرنج يسبى ويخرب ويغنم فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدروب، فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات وأحضروا الحطب والميرة وما يحتاجون إليه، فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم فراسلوه في ترك الغنائم والجواز إلى بلاده فقال: أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم إلى الصلح فبذلوا له مالاً ودواباً تحمل له ما غنمه من بلادهم فأجابهم إلى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز إلى بلاده"(4).

ومن هنا يتضح لنا كيف تمكن من الجواز بجيشه إلى بلاده وتجنيبه خطر الإبادة في ذلك الطريق الضيق بالحيلة والمكر والخديعة حينما أوهمهم بأنه لا حاجة له في العودة إلى بلاده وإنه عازم على الإقامة في بلادهم وتوطين المسلمين بين ظهرانيهم فما كان منهم إلا أن فتحوا له الدرب وقدموا له أموالاً ومتاعاً من أجل أن يغادر بلادهم، ولو أنه لم يستخدم تلك **الحيلة** وقام بمهاجمتهم في تلك الشعاب الضيقة التي أعد له النصارى فيها الكمائن وأخذوا احتياطاتهم وجهزوا أنفسهم للانقضاض على جيش الإسلام لكان مصير الجيش الفناء.

(1) البيان المغرب، ج1، ص199.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص400.

(3) البيان المغرب، ج1، ص274.

(4) الكامل، ج7، ص369.

8- الرباط على مداخل المدن:

إرسال الفرسان للرباط في مداخل المدينة في أوقات غير معهودة الحركة فيها: **حيلة وخدعة** اتبعها ابن أبي عامر للوقوف على تحركات أعداء دولته يذكر ابن عذاري: "أن المنصور دعا في ليلة شديدة البرد والريح والمطر أحد الفرسان، وقال له: اذهب إلى طريق طليارش، وأقم فيه، فأول من يمر عليك احضره إليَّ، فذهب الفارس إلى الفج ورابط فيه حتى قريب الفجر، فمر عليه شيخ كبير على حمار له ومعه آلة الحطب، فقال له الفارس: إلى أين تذهب يا شيخ؟ فقال: وراء الحطب، فقال الفارس في نفسه: هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يطلب الحطب، فما عسى المنصور أن يريد منه؟ قال: فتركته فسار عني قليلاً، ثم فكرت في قول المنصور وخشيت سطوته، فأوقفت الشيخ وقلت له: ارجع معي إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي فقال له الفارس: لا أفعل، ثم قدم به على المنصور فطلب من حراسه أن يفتشوه فلم يجدوا معه شيئاً، فقال: فتشوا بردعة حماره فوجدوا فيها كتاباً من نصارى قرطبة يدلون فيها النصارى على عورات المدينة ويطلبون منهم الانقضاض عليها من مكان معلوم وفي وقت محدد، فلما انبلج الصبح، جاء بالنصارى وضرب أعناقهم جميعاً ومعهم الشيخ[1]. **وبذلك تمكن المنصور بهذه الحيلة والخدعة** أن يُفشل مؤامرة كبيرة كان يراد منها إسقاط حكمه وتمزيق دولته، وهذا يدلنا على الأسلوب والطريقة التي كان يتبعها المنصور لمتابعة تحركات أعدائه والتي مكنته من الوقوف على معلوماتٍ قيمة، ربما لو نجح أعداؤه في تمريرها لكانت العاقبة وخيمة والآثار جسيمة.

9- غزوة قبيلة صنهاجة:

في عام 373هـ/984م جاء إلى الأندلس جماعة من قبيلة صنهاجة[2]، يريدون الغزو والجهاد في سبيل الله فأرسلهم ابن أبي عامر لغزو جليقية وأمدهم بالمال والسلاح والخيل وبعث معهم دليل، فعندما وصلوا أرض جليقية دخلوها ليلاً وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل مَنْ فيه وقطعوا أشجاره وفي الصباح وجدوا جماعة من النصارى فقتلوهم، فسمع بهم العدو فخرجوا في جيش كبير للقضاء عليهم فكمنوا في رَبْوَة فلما جاوزها العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا مؤخرة الجيش وأخذوا في التكبير، فلمَّا سمع العدو تكبيرهم ظن أن عددهم كبير فانهزموا وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً وغنموا وعادوا إلى قرطبة سالمين[3].

(1) البيان المغرب، ج1، ص270.

(2) صنهاجة: قبيلة مشهورة من حمير، انتقلوا مع زعيمهم إفريقس بن قيس، وتناسلوا هناك، واشتهر بهم جماعة كبيرة من المغاربة. ابن منصور: الأنساب، ج2، ص560؛ ابن خلدون: تاريخ، ج2، ص59.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص413.

يتبيَّن لنا من خلال هذه المعركة العديد من الخدع التي استخدمها جيش صنهاجة للظفر والانتصار على الجلالقة والتي بدونها ما كان لهم أن ينتصروا على تلك القوة الكبيرة لجيش النصارى حيث تمثلت هذه الخدع في الآتي:

أ- دخول أرض جليقية ليلاً ثم الكمين في بستان وذلك حتى لا ينكشف أمرهم ولا يشعر بهم عدوهم إذ أنهم لو دخلوا في النهار لانتبه لهم العدو ودخلوا معه في مواجهة غير محمودة العواقب؛ ثم الكمين وعدم التحرك في الليل، لأنه مخالف للعادة وأيضاً يترتب عليه انكشاف أمرهم؛ ثم قتلهم لكل من كان في البستان حتى يضمنوا عدم تسريب خبر وجودهم في البستان؛ ثم قطع أشجار البستان؛ ليتأكدوا من عدم اختباء أحد بين الأشجار.

ب- الكمين وراء ربوة حينما لحق بهم جيش الجلالقة: **خدعة** أخرى استخدمها جيش صنهاجة وبعد تجاوز الربوة خرجوا لهم وانقضوا على مؤخرة الجيش الأمر الذي أحدث خللاً واضحاً في بنية جيش الجلالقة وإرباكاً شديداً، ثم قيام الجيش بالتكبير أوهم العدو ضخامة الجيش الإسلامي مما أثار الفزع والرعب بين صفوفهم وبذلك تمكنت قوة صغيرة من الانتصار على جيش كبير بهذه **الحيل** و**الخدع** التي كان لها أثر واضح في رجحان الكفة لصالح المسلمين.

10-غزوة "شنت ياقوب"(1):

يعتبر المؤرخون هذه الغزوة من أبرز وأهم غزوات المنصور بن أبي عامر؛ لأنه وصل إلى مكان لم يصل إليه أحد من ملوك الإسلام قبله، وذلك لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها ووعورة أرضها، وبعد شقتها.

وقعت هذه الغزوة في جمادي الآخرة عام 387هـ/ يوليه 997م، وهي الغزوة الثامنة والأربعون، انطلق جيش المسلمين مخترقاً الغرب الأندلسي، متجاوزاً الجبال والأنهار العظيمة، مستولياً في طريقه على عدد من المدن والحصون(2)، حتى وصل إلى مدينة شنت ياقوب، يرافقه أسطول كبير يحمل المشاة والأقوات والعُدد والأسلحة والأقوات يقول ابن عذاري: "ثم نهض يريد شنت ياقوب، فقطع أرضين متباعدة الأقطار، وقطع بالعبور أنهار

---

(1) شنت ياقوب: كنيسة عظيمة على أنف بحر الأنقليشين، وهي من ثغور ماردة، وتعتبر من أعظم كنائس النصارى في الغرب، لأنها مبنية على جسد يعقوب الحواري أحد الاثنى عشر الذين اختارهم عيسى لميقات ربه، وهي بمنزلة الكعبة عند المسلمين، أيضاً يطلق اللفظ على مدينة ونهر في الأندلس. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص535؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص348.

(2) هذه المدن: قورية، وغليسية، وأوبنة، وقرجيطة، وشنت بريه، وشنت ياقوب، وبلدة إيليا، وحصن شنت بلايه. المقري: نفح الطيب، ج1، ص415، 416.

كبار وخلجان يمدها البحر، ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى بسائط جليلة.. وانتهى العسكر إلى جبل مراسيه المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط، فتخللوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورقي في معبرين أرشد الأدلاء إليهما... وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقوب البائسة، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان، فوجدها المسلمون خاليةً، فجاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها، وعفوا آثارها، ووكَّلَ المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الأذى عنه. وغادرها هشيماً كأن لم تغنَ بالأمس، .. وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط، وانتهت إلى جزيرة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم، ولا وطئها لغير أهلها قدم، فلم يكن بعدها للخيل مجال، ولا وراءها انتقال"[1].

إذاً عاد المنصور بجيشه إلى قرطبة سالماً غانماً، وما كان له أن يحقق الانتصار والغلبة على أعداء الله في تلك المنطقة الوعرة البعيدة بدون أن يستخدم **الحيلة** والخديعة مع أعداء الله **والتي تمثلت في الآتي:**

أ- **التوجه إلى منطقة (شنت ياقوب): خدعة** استخدمها المنصور حيث شكل توجهه إلى هذه المنطقة عنصر مفاجأة لم يكن يتوقعه أعداء الله، حيث لم يفكر أحد قبله في الوصول إليها لبعدها ووعورتها لذلك أربك المنصور حساباتهم.

ب-**استخدام أدلاء من سكان المنطقة والعارفين بها:** خدعة أخرى استخدمها المنصور وبدونها ما كان له أن يصل إلى تلك المنطقة البعيدة حيث نجده في بعض الأحيان احتاج إلى شق طريق لعبور جيشه. يقول ابن عذاري: "ثم أفضي إلى جبل شامخ شديد الوعر، لا مسلك فيه، ولا طريق لم تهتد الأدلاء إلى سواه، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر وعبروا"[2] فكان هؤلاء الأدلاء يدلُّونه على الطرق ومسالكها وعورات الأعداء ونقاط ضعفها.

ت-**التحالف مع بعض الخارجين على مملكة جليقية وانضمامهم لجيش ابن أبي عامر: خدعة** أراد منها تمزيق قوتهم وإضعاف جبهتهم وإرشاد جيش المسلمين إلى عورات النصارى وأماكن ضعفهم يقول ابن عذاري: "وافاه عدد عظيم من القوامس في رجالهم، وعلى أتم احتفالهم، فصاروا في عسكر المسلمين"[3].

(1) البيان المغرب، ج1، ص273.
(2) البيان المغرب، ص273.
(3) البيان المغرب، ص272.

ث-**تجهيز الأسطول لنقل الجيش والخيل والعتاد والطعام والأقوات والوصول بها إلى أقرب نقطة من مكان المعركة عبر جسر أُنشئ لهذا الغرض: خدعة** أراد منها المنصور أن يصل جيشه بكامل قوته دون أن يرهقه بعد المسافة وربما تنبه العدو لخط سير الجيش وَعَلِم بوجهته والمكان الذي يقصده فأخذ حذره واحتياطه يقول المقري: "كان المنصور قد تقدم في إنشاء اسطول كبير .. ,جهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحملت الأقوات والأطعمة والعُدد والأسلحة، استظهاراً على نفوذ العزيمة.. فعقد هناك من هذا الأسطول جسراً"[1].

ج-**تدمير المدينة وتخريبها: خدعة** استخدمها ابن أبي عامر حتى لا يعود النصارى إلى المدينة ويتخذوها مرة أخرى معقلاً يلجأ إليه كل الهاربين والمعتدين على الدولة الإسلامية كما كان حال المدينة من قبل، على اعتبار أنه مكان لا تصل إليه جيوش المسلمين[2].

وهكذا تمكن المنصور من تحقيق هذا الإنجاز العظيم، الذي استبشر به المسلمون، واضطرب به المشركون واستمر أثره الكبير سنوات طويلة وتوفى ابن أبي عامر ودولته مهابة الجانب يخطب ودها النصارى وجاء من بعده ابنه عبد الملك[3] الذي سار على خطى أبيه في الغزو والحكم والسياسة، وبأيامه يضرب المثل بالأندلس عدلاً وأمناً[4]، وغزا النصارى ثماني غزوات تركزت نتائجها في الغالب على استعادة الاتفاقيات والمواثيق السابقة بين النصارى والمسلمين وتأكيد التزام النصارى بالطاعة والولاء لدولة الإسلام[5]، وجاء من بعده أخوه عبد الرحمن[6]، فضيع ميراث والده وأخيه ولم يستمر أكثر من أربعة أشهر؛ لتنتهي بمقتله الدولة العامرية[7].

---

(1) نفح الطيب، ج1، ص414.

(2) الحميدي: التاريخ، ص243.

(3) عبد الملك بن محمد بن أبي عامر: تلقب بالمظفر، ويكنى أبو مروان، كانت ولايته ستة أعوام وأربعة شهور، توفي في 18 صفر عام 399هـ/ 22 أكتوبر 1008م، عن ست وثلاثين سنة. النويري: نهاية الأرب، ج23، ص238.

(4) المراكشي: المعجب، ج1، ص40؛ ابن كثير: المختصر، ج1، ص241.

(5) النويري: نهاية الأرب، ج23، ص238؛ عنان: دولة الإسلام، ج2، ص611.

(6) عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر: تلقب بالناصر، فخلط وتسمى ولي العهد، لم يستقر له الحكم حتى قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار في 18 جمادي الآخرة سنة 399هـ/ 3 مارس 1009م وقتل وصلب. المراكشي: المعجب، ج1، ص40.

(7) ابن سعيد: المغرب، ج1، ص213.

ثانياً- الخدع العسكرية في عهد ملوك الطوائف:

بسقوط الدولة العامرية دخلت الأندلس معترك مروّع من التشــرذُم والفوضـــى والفــتن والاقتتال الداخلي والاستعانة بالنصارى من أجل الظفر بالحُكْمِ والسلطة علـــى حســاب الــوطن والدين[1]، حيث كان التحالف مع النصارى يتم على أساس التنازل عن عدد من المدن والحصون والقلاع[2]، وأصبحت المصلحة الخاصة هي التي تسيطر على من يصل لحكم الأندلس في الفترة التي أعقبت سقوط الدولة العامرية[3]. ووصول بني حمود[4] للحكم ثم عودته إلى بني أميــة ثــم تفرَّق الأمر في زعماء الدولة من العرب والموالي والبربر، فيما عرف بدول ملوك الطوائــف[5] وتفككت الأندلس وانقسمت إلى ممالك ودول تزعم لنفســها الاســتقلال والســيادة المطلقــة، ولا تربطها بجاراتها، أية صلة أو رابطة مشتركة، إلا المنافسة والصراع والتآمر مع النصراني فــي سبيل البقاء والتوسع والظفر.

أصبح قوام عصر الطوائف المنافسة والنزاع والحرب الأهلية وتغلب النصــارى علـــى المسلمين حيث استغل النصارى تفكك البلاد وانحلالها فعملوا على إضعاف ملوك الطوائف مــن خلال استنزاف أموالهم بإجبارهم على دفع الجزية، وقد فرضت عليهم جميعاً[6]، ثم بشن غارات وهجمات لتخريب أرضهم وانتساف محاصيلهم وزروعهم، ثــم العمــل علـــى الســيطرة علـــى

---

(1) المراكشي: المعجب، ج1، ص40؛ ابن سعد: القرط، ج1، ص2-4.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص58.

(3) المقصود بالمصلحة الخاصة أصبح كل حاكم يصل للحكم في الأندلس يسعى للحفاظ على مكانتــه وســلطته على حساب المصلحة العامة للبلد فمثلاً سليمان الملقب بالمستعين ومعه البربر راسلوا الفرنج من أجــل أن يساندوهم عسكرياً مقابل أن يتنازلوا لهم عن عدد من الحصون والمدن في مناطق الثغور؛ وكذلك فعل محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي؛ وأصبح يتحكم في تحديد اسم الخليفة أو الحاكم للأنــدلس أهــواء ومصالح أصحاب المحاور المتنفذة في الأندلس مثل البربر، والفتيان الصقالية، وسكان قرطبة. ابن الأثيــر: الكامل، ج8، ص58 وما بعدها؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص193.

(4) بني حمود: قامت دولتهم في الأندلس عام 407هـ/1016م، وكانت مدتها سبع سنين وانقرضت، وتنســب إلى قاسم وعلى ابني حمود بن ميمون بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علـــي بــن أبي طالب، الذين كانا في جيش سليمان المستعين فجعلهما قائدين على المغاربة، ثم ولي على سبتة وطنجة، وولى القاسم الجزيرة الخضراء، وكانت أيام دولتهم مليئة بالفتن والاضطرابات ولــم يســتقر لهــم الأمــر. المراكشي: المعجب، ج1، ص43؛ ابــن خلــدون: تــاريخ، ج6، ص239؛ الناصــري: الاستقصــا، ج1، ص282.

(5) المقصود بها الدويلات الستة عشر والتي قامت في الفترة الممتدة من بعــد ســقوط الخلافــة إلـــى دخــول المرابطين الأندلس. ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص194؛ جودة: تاريخ، ص234.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص266؛ دوزي: ملوك الطوائف، ص266.

حصونهم ومدنهم كلما سنحت الفرصة[1]، وملوك الطوائف أمام هذه الخطة الممنهجة للنصارى كانوا أوهن من بيت العنكبوت[2]، هذا ما عبر عنه ملك الفرنجة (الأذفونش) حينما قال: "كيف أترك قوماً مجانين تسمَّى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم..، وكل واحد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، وقد أظهروا الفسوق والعصيان، ... وكيف يحل البشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سداً"[3].

لذلك لم نقف في عصر ملوك الطوائف على خدع أو حيل استخدمها المسلمون مع النصارى باستثناء ما أخبرنا به (دوزي) عن حيلة استخدمها الوزير ابن عمار فيقول[4]: "إن ملك الفرنجة (الأدفونش)[5] جمع جيشاً كبيراً، وتقدم به لغزو إشبيلية فاستولى على المسلمين الرعب وشملهم حزن يفوق الوصف، وذلك لما كانوا عليه من الضعف، وعدم المقدرة على الدفاع عن أنفسهم، غير أن الوزير ابن عمار أيقن أنه بالإمكان التغلب على الأدفونش **بالحيلة** والخديعة، لما عرفه عنه من الطمع والميول الخاصة، فتوجه إلى معسكر العدو ومعه رقعة شطرنج غاية في الإتقان والفخامة ولا يوجد لها نظير عند الملوك، وذاع خبر الشطرنج حتى وصل إلى أسماع الأذفونش، فأرسل إلى ابن عمار وسأله: هل تجيد لعب الشطرنج؟ فأجابه ابن عمار: اشتهر عني بين أصحابي أني أجيد لعبة الشطرنج. قال الأدفونش: قيل لي أن عندك شطرنج ليس له مثيل. قال ابن عمار: نعم. قال الأدفونش: هل يمكن أن أشاهده؟ قال ابن عمار: لا مانع، ولكن بشرط أن نلعب معاً، فإذا غلبتني كان الشطرنج لك، وإذا غلبتك فلي حكمي، قبل الأدفونش بالشرط، وجيء بالشطرنج فانبهر الأدفونش لروعته وفخامته وإتقان صنعه وقال: ما خطر ببالي قَط أن في وسع بشر أن يتقن في صنع شطرنج بمثل هذه الروعة والفن والجمال، ولكنه تراجع عن اللعب مع ابن عمار على شرط مجهول ورفض ابن عمار اللعب إلا على شرطه، وافترق الاثنان دون اتفاق، ولكن ابن عمار لم ييأس، فذهب إلى بعض النبلاء يعدهم ويمنيهم بالمال والذهب إذا ما أقنعوا (الأذفونش) باللعب، فاستهوتهم وعود ابن عمار البرَّاقة،

(1) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص439.

(2) ابن بسام: الذخيرة، ج3، ص248.

(3) عنان: دولة الإسلام، ج3، ص74.

(4) ابن عمار: ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي، عمل وزيراً للمعتمد بن عباد أحد ملوك الطوائف في غرب الأندلس، ثم خرج على المعتمد، ولكن تمكن منه المعتمد فقتله في عام 477هـ/1084م بإشبيلية، كانت ولادته عام 422هـ/1031م في مدينة شلب. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص425.

(5) الأدفونش بن فردلند: ملك قشتالة، إحدى ممالك الأندلس، وهو الذي عاصر ملوك الطوائف وتغلب عليهم وفرض عليهم الجزية، وكان قائد النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص27.

وذهبوا إلى (الأذفونش) يقنعوه باللعب، قائلين له: ماذا عسى أن يطلب ابن عمار؟ فلن يطلب المستحيل وأنت ملك ملوك النصارى فلا ينبغي أن تظهر أمامه بمظهر العاجز، ومتى غلبته وفزت عليه ظفرت بشطرنج يحسدك عليه الملوك، فاقتنع الأدفونش وأرسل إلى ابن عمار يخبره بنزوله على شرطه واستعداده للعب، وطلب ابن عمار شهوداً من نبلاء القشتاليين سمّاهم بالاسم؛ ليكونوا شهوداً على اللعب، فقبل الأدفونش، وأخذا يلعبان حتى انتهت اللعبة بفوز ابن عمار، فقال للملك: عليك أن تنفد ما أريد، فقال له الملك: بالتأكيد ماذا تريد؟ قال ابن عمار: أن تعود إلى مملكتك وتكفّ عن القتال. فهاج الأدفونش وبلغ به القلق والاضطراب مبلغه، وعاتب ووبَّخ النبلاء الذين أقنعوه باللعب، وأراد الامتناع عن تنفيذ الشرط، فمنعه النبلاء؛ لأن في ذلك رجوع عن العهد ومساس بالشرف وقالوا له: هل تريد أن يتحدث عنك الناس، أنك نقضت عهدك، ورجعت في قولك، وأنت ملك ملوك النصارى؟ فهدأ الأذفونش وقبل تنفيذ الشرط، مقابل دفع الجزية مرتين، فقبل ابن عمار؛ لينجي قومه من القتل والتدمير[1].

وهكذا تمكن ابن عمار من أن يجنب قومه القتل؛ لأنه يعلم أن جيش إشبيلية لا يستطيع أن يواجه جيش قشتالة، ولا يمكن ردهم إلا بالمكر والخديعة فتمثَّلت براعته في رد جيش النصارى في الآتي:

1- وقوفه على صفة للأذفونش: وهي الطمع والميول الخاصة مما جعله يستغل هذه الصفة لصالحه، وذلك بإغرائه برقعة الشطرنج والتي أبهرت الأدفونش وجعلته يسعى لتملكها ليباهي بها الملوك.

2- إخفاء ابن عامر لطلبه في حال فوزه: **خدعة** استخدمها ابن عمار، إذ أنه لو أعلم الأدفونش بطلبه قبل اللعب لما تحقق له ما يريد.

3- إغراء بعض النبلاء بالمال والذهب: **حيلة** أخرى استخدمها ابن عمار لإقناع الأدفونش باللعب، فما من سبيل إلى الملك إلا عبر خاصته الذين هَوَّنوا عليه الأمر ورغَّبوه فيه؛ طمعاً في الحصول على المال والذهب.

4- وجود شهود من النبلاء سمَّاهم ابن عمار بنفسه؛ ليشهدوا اللعبة بين ابن عمار والأدفونش: **حيلة وخدعة** مركبة لجأ إليها ابن عمار حتى يقطع على الملك أي سبيل لنكث وعده وعدم الوفاء بعهده، ونجد ابن عمار قد سمَّي الشهود بنفسه ممن يعلم مكانتهم وشرفهم في الدولة ولم يترك للملك إحضار شهود ربما لا يستطيعون أن يقفوا في وجه الملك لو قرر عدم تنفيذ طلب ابن عمار وفاءً بوعده والتزاماً بعهده.

(1) ملوك الطوائف، ص238 وما بعدها.

في ظل نُدرة الخدع التي استخدمها المسلمون ضد النصارى وذلك بسبب انشغال ملوك الطوائف بتغلب بعضهم على بعض[1]، كان على الطرف المقابل النصارى لا يــألون جهــداً ولا يتركون وسيلة للكيد بالمسلمين من أجل أن يخرجوهم من الأندلس، فنجدهم قد استخدموا وســائل الاستنزاف المالي **كخدعة،** لانهاك اقتصاد المسلمين وذلك عبر فرض جزية باهضة على ملــوك الطوائف[2] واستخدموا وسائل الاستنزاف العسكري **كخدعة** لإنهاك قوة وجيش المسلمين وذلــك عبر غاراتهم التخريبية التدميرية على الأراضي الإسلامية[3]، وكذلك مساندة طرف على آخــر من أطراف النزاع وإثارة الفتن والخلاف بين ملوك الطوائف[4]، وقد نجحوا في ذلك حتى أصبح هَمُّ كلِّ واحد من ملوك الطوائف كما قال ابن سعد: "أما العلاقات بين هؤلاء الملــوك والأمــراء أنفسهم فقد كان أساسها وبناؤها على حذر ونفاق ومنافسة ومعاداة ومؤامرة، مما أشعلت به نــار الفتن بينهم جميعاً فأخذوا يتحاربون ويتطاحنون ويستمدون عــدوهم الأجنبــي المتــربص بهــم الدوائر، وكان كل واحد منهم إذا أحسَّ بالقوة أو أَنِس في نفسه بالبــأس، انقــضَّ علــى جــاره الضعيف لتحقيقِ مجده الشخصي، فلم يكن أمام المغلوب الضعيف إلا طريقان: إمــا أن يتحــالف مع جار أقوى أو يستنصر من الإفرنج"[5].

بقي الحال كذلك حتى لبَّى المرابطون صرخاتِ أهل الأندلس وهرعوا لنجدة الأندلس من خطر النصارى.

---

(1) ابن سعد: القرط، ج1، ص2؛ ابن خلدون: تاريخ، ج4، ص200.

(2) دوزي: ملوك الطوائف، ص266.

(3) المقري: نفح الطيب، ج4، ص356؛ دوزي: ملوك الطوائف، ص269 وما بعدها.

(4) ابن بسام: الذخيرة، ج4، ص65.

(5) القرط، ج1، ص3.

المبحث الثانـي

الخدع العسكرية للمسلمين في عهد دولتي المرابطين والموحِّدين

479-626هـ # 1086-1229م

شَكَّل عبور المرابطين إلى الأندلس بداية عصر جديد فيها(1)، حيث لاح في الأفق قُبيل عبورهم أن الإسلام في الأندلس قد أوشك على الانتهاء، وتسمَّى (الأدفونش) ملكاً على جميع أنحاء الأندلس، ولكن كل شيء تغيَّر بعد العبور المبارك للمرابطين، وأضحى خطر الفناء يهدد النصارى في الأندلس على يد المسلمين، ولكن هذا الخطر سرعان ما تلاشى بسبب انهيار سلطان المرابطين في الأندلس(2) واتحاد قوى النصرانية تحت قيادة (ألفونسو ريموندیز) (3) فتمكّن النصارى من الغلبة على المسلمين من جديد(4).

ولكنَّ الأحداثَ سرعان ما تغيَّرت واستعاد الإسلام تفوقَه من جديد على النصرانية، وتقلَّصت سيادتهم على الأندلس وظنَّ الناس أنها لن تستطيع النهوضَ من كبوتها وذلك بسبب ظهور الموحدين وعبورهم إلى الأندلس(5)، وانتصارهم على النصارى الذين تمزَّقت قوتهم عقب وفاة ملكهم القوي (ألفونسو ريموندیز) حيث نجح الموحدون في صَد الزحف النصراني عن الأندلس وإخضاعها لحكمهم(6).

---

(1) كان عبور المرابطين إلى الأندلس استجابة لصرخة ملوك الطوائف وفقهاء ووجهاء الأندلس عام 479هـ/1086م ولكن أصبحت الأندلس ولاية مرابطية عام 483هـ/1090م بعد القضاء على ملوك الطوائف في الأندلس وإخضاعها للسيادة المرابطية. المراكشي: المعجب، ج1، ص131؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص34، 54.

(2) انهار سلطان المرابطين في الأندلس عام 543هـ/1148م باستثناء غرناطة التي دخلت في طاعة الموحدين عام 551هـ/1156م. المراكشي: المعجب، ج1، ص211؛ السامرائي: علاقات المرابطين، ص9.

(3) ألفونسو ريموندیز: حاكم قشتالة ثم جمع حكم أسبانيا النصرانية، تولى الحكم بعد وفاة والدته الملكة أوراكا، وتسميه المصادر الإسلامية بالسليطين، كانت وفاته في عام 552هـ/ 21 أغسطس 1157م. أشباخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص244.

(4) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص178.

(5) كان عبور الموحدين إلى الأندلس عام 541هـ/1146م وانهار سلطانهم عام 626هـ/1229م باستثناء مدينتي لبلة وبلنسية اللتين استمرتا على طاعتهما للموحدين حتى خضوعها لحكم النصارى. الزركشي: تاريخ الدولتين، ص9، 22؛ أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص213.

(6) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص246.

أولاً- الخدع العسكرية في عهد دولة المرابطين[1]:

استجاب المرابطون لاستغاثة أهل الأندلس[2]، فكان لهم دور مشرف في الحفاظ على كيان الإسلام ودولته في بلاد الأندلس، والوقوف في وجه المطامع النصرانية التي كانت تسعى جاهدةً لإسقاط الحكم الإسلامي في الأندلس، خاصة بعد نجاح النصارى في السيطرة على مدينة طُلَيْطِلة في صفر عام 478هـ/ أيار عام 1085م والتطلع إلى مدن أخرى[3] في ظل تخاذل ملوك الطوائف الذين وصل بهم الأمر إلى حد تهنئة النصارى بسيطرتهم على طليطلة[4]، وبلغت عنجهية وغرور (ألفونسو) إلى أبعد مدى حينما أدخل قوائم فرسه في البحر وبعث برسالة[5] إلى يوسف بن تاشفين[6] متهكماً ومتحدياً فكان رد يوسف بن تاشفين على ظهر رسالته ما تراه لا ما تسمعه فكانت معركة الزلاّقة[7].

معركة الزَّلاَّقة[8]:

عبرت قواتُ المرابطين على دفعات إلى الجزيرة الخضراء التي اتخذ منها ابن تاشفين مركزاً لتجميع قواته وقاعدة متقدمة لهم[9] وتمكن من جمع عشرين ألف مقاتل إلى جانب قوات

---

(1) دولة المرابطين: يعود المرابطون في نسبهم إلى قبيلة لمتونة البربرية الصنهاجية التي أطلق على قبائلها اسم الملثمين وأصبح اللثام شعاراً لهم حتى سموا بالمرابطين، وكانوا مجوساً حتى قدم الإسلام، كان موطنهم في المنطقة الواقعة من غدامس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن جبال درن شمالاً إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوباً (موريتانيا حالياً) ولكن دولتهم امتدت لتشمل المنطقة الممتدة من تونس شرقاً حتى المحيط غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً حتى السودان جنوباً بالإضافة إلى الأندلس. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص129؛ ابن خلدون: تاريخ، ج6، ص242؛ جودة: تاريخ، ص249؛ نصر الله: دولة المرابطين، ص11؛ بروكمان: تاريخ الشعوب، ص318.

(2) إن فكرة الاستعانة بالمرابطين واستدعائهم لنجدة الأندلس مرت بالعديد من المراحل. للمزيد انظر: السامرائي: علاقات المرابطين، ص122.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص439؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص62؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص128.

(4) ابن الخطيب: أعمال، ص241؛ دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص127.

(5) انظر نص الرسالة كاملة عند ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص304.

(6) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، يكنى أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك الملثمين، كان مولده في صحراء المغرب عام 410هـ/1019م، وينسب له بناء مدينة مراكش، وقائد معركة الزلاقة الشهيرة، وكانت وفاته في 500هـ/1106م. الذهبي: سير، ج19، ص252؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص222.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص446.

(8) الزلاقة: أرض بالأندلس، بقرب قرطبة، كانت عندها وقعة كبيرة بين الإفرنج بقيادة الأذفونش، والمسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين ، وتعرف الآن باسم سجرجاس على ضفاف نهر (ريوجريزو). الحموي: معجم البلدان، ج3، ص146؛ زبيب: الموسوعة، ج2، ص265.

(9) وافق يوسف بن تاشفين على مساعدة الأندلسيين شريطة تسليمه الجزيرة الخضراء وذلك بناءً على نصح بعض أهل الأندلس. ابن الخطيب: أعمال، ص246؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص247؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج4، ص116.

الأندلس[1]، وصل الخبر بعبور المرابطين إلى (ألفونسو) وهو يحاصر سرقسطة، فاضطر إلى ترك سرقسطة والعودة إلى طليطلة لترتيب قواته والاتصال بحلفائه[2] حتى اجتمع له جيش كبير بلغ قوامه خمسين ألف مقاتل وروايات أخرى تقدره بمائة ألف مقاتل[3] الأمر الذي دفع (ألفونسو) للغرور فقال: "بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء"[4].

عسكرت الجيوش الصليبية قبالة جيش المسلمين يوم الخميس 12 رجب 479هـ/ 23 أكتوبر 1086م في سهل الزلاقة من بطليوس، وبدأ يوسف بن تاشفين بعرض شروط الإسلام على (ألفونسو) الذي استشاط غضباً وأصر على الحرب والقتال لاعتقاده بالانتصار وعرض على المسلمين أن يكون القتال يوم الاثنين، ليتجاوزوا بذلك أعياد المسلمين واليهود والنصارى[5]، **وكان يقصد بذلك مخادعة المسلمين حيث** بدأت القوات الصليبية بمهاجمة جيش المسلمين فجر يوم الجمعة ولكنه وجد المسلمين متأهبين وتمكنوا من صد الهجوم الأول؛ ليتقدم بعدها (أفونسو) بجيشه وسط صراخ هائل، أرعب الأندلسيين ودفعهم للتراجع وترك أماكنهم، ولم يثبت إلا المعتمد بن عباد[6] وجنده، وفي هذه اللحظات الحرجة من المعركة تقدم يوسف ابن تاشفين بجيشه الذي كان مختفياً وراء التلال، والتفَّ حول جيش (ألفونسو) من الخلف، وأحرق خيامه، وأباد حراسها[7]؛ ليدرك حينها (ألفونسو) أنه استُدرِج؛ ليقع في قبضة القوات الإسلامية وحاول التقهقر نحو معسكره المحترق دون جدوى، وشدد المسلمون هجماتهم على القوات الصليبية، وتمكن أحد الجنود المسلمين من الوصول إلى (ألفونسو) وطعنه في قدمه؛ لتبدأ القوات الصليبية بالانسحاب من ساحة المعركة مع حلول الظلام ومنع يوسف بن تاشفين جيشه من تتبع فلول الصليبيين الذين لم ينجوا منهم سوى خمسمائة مقاتل فقط وانقشع الظلام على هزيمة منكرة للصليبيين ونصر مؤزر للمسلمين ذكَّرهم بأمجاد القادسية واليرموك[8].

---

(1) المراكشي: المعجب، ج1، ص133.

(2) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص289؛ جودة: تاريخ، ص252.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص447؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص29؛ ابن الخطيب: الحلل، ص38.

(4) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص289.

(5) المراكشي: المعجب، ج1، ص134؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص29.

(6) المعتمد على الله محمد بن عباد اللخمي: أبو القاسم، ملك الأندلس وأبوه وجده، يعود أصلهم إلى مدينة العريش، ويعتبر من أعظم ملوك الطوائف وأكثرهم بلاداً، إلى أن اعتقله ابن تاشفين في مدينة أغمات حتى وفاته في شوال سنة 488هـ/1095م وكانت ولادته في ربيع الأول سنة 431هـ/1039م بمدينة باجة من الأندلس. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص21 وما بعدها.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص447؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص29.

(8) المراكشي: المعجب، ج1، ص132 وما بعدها؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص30؛ ابن الخطيب: الحلل، ص39 وما بعدها.

الخدع العسكرية المستخدمة في معركة الزلاقة:

كانت كل تفاصيل ما قبل المعركة تؤشر بلا استثناء على انتصار الصليبيين على المسلمين؛ وذلك لأنهم خبروا الأرض ومسالكها، وتفوقوا عدداً وعدة واتصالاً وتواصلاً مع قواعدهم العسكرية وهذا بخلاف ما كان عليه جيش المرابطين من بُعد عن عاصمته، وعدم معرفة بطبيعة الأرض، وقلة جندهم بالنسبة لعدوهم لذلك نجد يوسف بن تاشفين عندما رأى جيش النصارى قال للمعتمد: "ما كنت أظن هذا الخنزير لعنه الله يبلغ هذا الحد"[(1)] لذلك ما كان لجيش المسلمين الانتصار على الصليبيين بعد الاستعانة بالله عز وجل **دون استخدام الحيل والمكر والخداع مع أعداء الله، لذلك تجلت براعة يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة على النحو التالي:**

1- تقسيم الجيش إلى ثلاثة أقسام:

أ- عرب الأندلس بقيادة ابن عباد في المقدمة.

ب-أمازيغ الأندلس وأمازيغ المغرب في المؤخرة بقيادة داود بن عائشة[(2)].

ت-الجنود الاحتياطيين والفرسان خلف الجيش الإسلامي للحسم بقيادة يوسف بن تاشفين.

فكان هذا التقسيم: خدعة ومهارة وحسن تدبير أراد به يوسف بن تاشفين ألا ينهك قواته مرة واحدة حيث قضت الخطة أن يقاتل ابن عباد الصليبيين الذين سيندفعون باتجاه المسلمين بكل قوتهم حتى إذا انكشف جيش المسلمين، تقدم القسم الثاني من الجيش، ليخفف من وطئة الهجمة حتى إذا اعتقد النصارى أنهم[(3)] يقاتلون كامل الجيش الإسلامي خرج إليهم يوسف ابن تاشفين بفرسانه وهم بكامل قوتهم وعنفوانهم.

2- **اختباء يوسف بن تاشفين بقوة من جنده خلف التلال بعيداً عن عين (ألفونسو): خدعة** أراد منها ابن تاشفين أن يوهم النصارى بقلة عدد المسلمين من ناحية؛ ثم ليراقب المعركة متلمساً نقاط الضعف وظهور ثغرة في جيش العدو لاستغلالها فكانت الفرصة المناسبة حينما تقدم جيش النصارى باتجاه معسكر المسلمين فخرج عليهم يوسف بن تاشفين محدثاً ذعراً وهلعاً في صفوفهم حينما شاهدوا راية القائد ابن تاشفين[(4)].

3- **التفاف يوسف بن تاشفين خلف خطوط النصارى: خدعة** أراد منها ابن تاشفين خلخلت صفوف النصارى وإحداث إرباك في صفوفهم ومما زاد من تشرذمهم وتمزيق قوتهم قيام

---

(1) المراكشي: المعجب، ج1، ص133.

(2) داود بن عائشة: أبو سليمان من قادة المرابطين زمن يوسف بن تاشفين كان بطلاً شهماً شجاعاً. المقري: نفح الطيب، ج4، ص366.

(3) الحميري: الروض المعطار، ج1، ص92؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص44، 45.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص447.

القوات الإسلامية بحرق خيام وقتل حراس معسكر النصارى مما جعل النصارى يتراجعون لحماية معسكرهم مما جعلهم بين فكي كماشة إسلامية؛ لتحدث فيهم مقتلة عظيمة(1).

4- **التركيز على (ألفونسو) من أجل قتله: خدعة** أراد بها يوسف بن تاشفين كسر الروح المعنوية للأعداء وإفشال مخططهم بقتل قائدهم حيث تمكن أحد الجنود المسلمين من الوصول إلى (ألفونسو) وطعنه في قدمه طعنة أدت إلى قطع قدمه(2).

5- **استخدام الجمال في المعركة: خدعة** هدف منها ابن تاشفين إثارة الرعب والفزع في صدور النصارى حيث لم يعتادوا على رؤية هذا الحيوان في ساحات القتال ولم يكونوا يعرفونه في بلادهم فكان لجعجعة الجمال "اللمونتية" دور كبير في تشتيت تفكير النصارى ومما زاد من رعبهم قرع الطبول الأفريقية المصاحب لرغاء الجمال وغبارها الذي ملأ عبق المكان، وجموح خيلهم من رؤية الجمال(3).

6- **بث العيون داخل معسكر الأعداء: خدعة** أراد منها المسلمون معرفة أحوال عدوهم وخططه وترتيباته ونجد ذلك واضحاً حينما أراد (ألفونسو) أن **يخدع** المسلمين و**يمكر** بهم عندما ترددت الرسل بين الفريقين لتحديد زمان المعركة فقال (ألفونسو): ليكن موعدنا يوم الاثنين لأن الجمعة يوم عيد عند المسلمين ويوم السبت يوم عيد عند اليهود وكثير منهم في جيشي ويوم الأحد يوم عيد عندنا فوافقه المسلمون على ذلك، ولكن الرصد الإسلامي والعيون المنتشرة في معسكر الأعداء أرسلت لقيادتها تخبرها بأن الاستعدادات تجرى في معسكر النصارى على قدم وساق والحديث يدور داخل معسكرهم على أن الهجوم الليلة لذلك نجد الصليبيين حينما داهموا معسكر المسلمين فجر يوم الجمعة وجدوهم على أتم الاستعداد والجاهزية وتمكن جيش المسلمين من صد الهجوم الأول للنصارى(4).

7- **عدم احتكاك جيش المغرب بجيش الأندلس: خدعة** وحسن تدبير أراد منها ابن تاشفين عدم التأثير على الروح المعنوية لجنده الذين تركوا ديارهم من أجل رفع علم الجهاد وقمع أهل الكفر والفساد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أراد أن يشعر الأندلسيين أنهم لم يأتوا ليحكموهم بل هم حكام أنفسهم وأراد أن يتغلب على حالة عدم الانسجام والاتفاق بين الأندلسيين لذلك جعلهم جيش مستقل وجعل على قيادتهم ابن عباد يقول نجيب زينب: "لقد

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص30؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص367؛ جودة: تاريخ، ص254.

(2) ابن الخطيب: الحلل، ص43؛ الحميدي: التاريخ، ص251.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص116؛ زبيب: الموسوعة، ج2، ص275؛ أرسلان: خلاصة تاريخ، ص89.

(4) المراكشي: المعجب، ج1، ص134؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص290؛ نصر الله: دولة المرابطين، ص90.

تجلى الفرق بين استعداد الطرفين للحرب فالمغاربة كانوا أشد حماساً وأكثر تقشفاً، في حين كان الأندلسيون أكثر ترفاً وأقل حماسة واستعداداً"[1].

8- **حرق خيام معسكر النصارى: خدعة** أراد منها ابن تاشفين تشتيت شمل النصارى وتمزيق قوتهم وذلك بلفت انتباههم إلى مهاجمة معسكرهم من خلال الدخان المتصاعد من السماء من معسكرهم سيما وأنهم كانوا قد ابتعدوا عن معسكرهم نتيجة تقدمهم باتجاه جيش المسلمين[2].

وهكذا تمكن المسلمون من الانتصار على جيش النصارى في هذه المعركة البطولية بعدما أظهروا بسالة وشجاعة منقطعة النظير، وأبدوا فنوناً وأساليب عجيبة في القتال، وبذلوا مهجة نفوسهم للذود عن أوطانهم، وأثبتوا من جديد أنهم قادرين على قهر الصليبيين إذا ما تخلوا عن جبنهم وترفهم وانغماسهم في الملذات والشهوات.

خدع المرابطين العسكرية بعد الزلاقة:

بعد الزلاقة عاد القائد يوسف بن تاشفين إلى المغرب، وترك جزءاً من جيشه في الأندلس؛ ليساعد ملوك الطوائف في جهادهم ضد النصارى، ولكن ملوك الطوائف عادوا إلى سيرتهم الأولى في النزاع والخلاف ولم يستفيدوا من دروس الماضي القاسية التي جعلتهم تحت رحمة النصارى لذلك عاد ابن عباد من جديد يطلب النجدة من يوسف بن تاشفين ويطلب منه القدوم بجيشه إلى الأندلس وبالفعل استجاب ابن تاشفين وتوجه إلى الأندلس للمرة الثانية[3] وكان هدفه حصن لييط[4] الذي سقط في قبضة المسلمين بعد حصار شديد[5] وعاد ابن تاشفين إلى المغرب وعاد ملوك الطوائف إلى أسوأ مما كانوا عليه فجددوا تحالفهم مع النصارى وقاتلوا بعضهم بعضاً، فاستنجد الناس بالمرابطين من جديد بل طالب الفقهاء والعلماء بعزل ملوك الطوائف واعتبروا ذلك من الواجب الشرعي، فما كان من يوسف بن تاشفين إلا أن توجه إلى الأندلس **فيما يعرف بالجواز الثالث**[6] وقام بضم الأندلس لحكم المرابطين استجابة لنداء الشعب بتوجيه من الفقهاء لإنقاذ الأندلس من السقوط المحتم بيد النصارى[7].

---

(1) الموسوعة، ج2، ص274.

(2) ابن الخطيب: الحلل، ص42.

(3) كانت عودته الثانية للأندلس بعد عام 481هـ/1088م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص29؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص15.

(4) حصن لييط: حصن منيع في الأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص10.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص447.

(6) الجواز الثالث للأندلس كان في سنة 483هـ/1090م. ابن الخطيب: أعمال، ص247.

(7) كان ذلك في سنة 484هـ/1091م. ابن خلدون: تاريخ، ج6، ص249؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص439؛ أرسلان: خلاصة تاريخ، ص95.

واصل المرابطون جهادهم في الأندلس، وقدموا صفحات مشرقة في الجهاد وخاضوا العديد من المعارك[1] مع النصارى في الأندلس وحققوا العديد من الإنجازات العسكرية على القوات الصليبية **وكان لاستخدام الخدع والحيل دور في تحقيق الفوز والظفر على النصارى والتي كان من أهمها:**

1- **الحصار الشديد: خدعة** استخدمها المسلمون لاستنزاف قوة النصارى وإجبارهم على الاستسلام وذلك يتضح من خلال حصار حصن لييط الذي استمر أربعة شهور لم ينقطع فيها القتال يوماً واحداً واستخدمت جميع الوسائل الحربية المتوفرة حتى أجبر النصارى على إخلائه[2].

2- **صناعة فيل أثناء حصار حصن لييط: خدعة** أراد منها المسلمون الوصول إلى أسوار الحصن من أجل اقتحامه فشكل ذلك مفاجأة للنصارى المُحَاصَرين في الحصن[3].

3- **الاستدراج والكمين: خدعة** الهدف منها تشتيت قوة الخصم ومباغتة العدو لإرباك خططه وهذا يتضح في حصار مدينة "إفراغة"[4]، حيث قام النصارى بمحاصرة المدينة وشددوا عليها الحصار، فخرجت قوة كبيرة من المرابطين لرفع الحصار عن المدينة، وأغروا المُحَاصِرين بقافلة من المؤن[5]، فتوجه النصارى للسيطرة على القافلة فهاجمتهم جيوش المرابطين وشتَّت جمعهم ومزَّقت قوتهم، ومما ساعد في هزيمتهم أن خرج سكان مدينة "إفراغة" وهاجموا باقي القوة المحاصرة للمدينة وأحرقوا خيامهم ونهبوا أسلحتهم وقتلوا من النصارى خلق كثير، **وتمكن المسلمون بهذه الخدعة رفع الحصار عن مدينة "إفراغة"** والتي بدونها ما كان لهم أن يحققوا الانتصار وذلك لضخامة جيش النصارى المُحَاصِر للمدينة والتي تقدره الروايات باثنى عشر ألف مقاتل، كان ذلك في 23 رمضان 528هـ/ 17 يوليو 1134م[6].

---

(1) خاض المرابطين العديد من المعارك مع النصارى مثل معركة كنشرة عام 490هـ/1097م؛ ومعركة أقليش عام 501هـ/1107م، ومعركة إفراغة عام 528هـ/1134م. الحميدي: التاريخ، ص254، 255.

(2) ابن الخطيب: الحلل، ص49؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص51.

(3) زبيب: الموسوعة، ج2، ص280.

(4) إفراغة: مدينة تقع شرق الأندلس على نهر الزيتون غربي مدينة لاردة. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص48.

(5) يقول ابن الأثير: "إن رذمير قائد جيش النصارى حينما شاهد قافلة الميرة قال لأصحابه: اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم". الكامل: ج9، ص287.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج36، ص41؛ عنان: دولة الإسلام، ج4، ص123.

4- **قتل قائد الجيش: خدعة** استخدمها المرابطون لتشتيت قوة النصارى وإرباك خططهم وإثـــارة الفوضى في صفوف جيوش النصارى، وهذا يتضح في معركة "أقليش"[1] عنـــدما تحصـــن النصارى في قلعة "أقليش" المنيعة وأمدهم حاكم قشتالة بعشرة آلاف فارس، بقيادة ولي عهده ابنه الوحيد (شانجة بن ألفونسو السادس) فركز المسلمون علـــى شـــانجة؛ ليمزقـــوا جـــيش النصارى الذي كان يفوقهم عدداً وعُدة بشكل كبير حتى تمكنوا منه، وقتلوه فدب الإرباك في صفوف النصارى وتمزّقت قوتهم وحلّت الهزيمة بجيشهم، وما كان ذلك ليتم بدون اســـتخدام هذه **الخدعة** التي أدت إلى انهيار جيش النصارى[2].

5- **خرق سد مائي من أجل الوصول إلى سور مدينة "طلبيرة": خدعة** قام بها المســـلمون عنـــد محاولة فتح مدينة "طلبيرة"، فلم يتمكنوا من الوصول إليها لاتصال ســـورها بـــوادي، فلجـــأ المسلمون إلى خرق السد الذي يحجز ماء الوادي، فسرب الماء عن السور،، وقلّ ماء النهـــر من أمام الباب، واقتحم جيش المسلمين المدينة، وقتلوا جميـــع مـــن فيهـــا مـــن النصـــارى، واستنقذوا من كان فيها من أسرى المسلمين، كان ذلك فـــي الخـــامس عشـــر مـــن محـــرم 503هـــ/1110م[3]؛ فما كان للمسلمين أن يحققوا هذا الإنجاز بدون هذه الطريقة التي مكنتهم من الانتصار على النصارى.

وهكذا نطوي صفحة مباركة من الجهاد الإسلامي للمرابطين في الأندلس والتي مكنّـــت المسلمين من الحفاظ على الأندلس سنوات طويلة.

(1) أُقْلِيش: مدينة بالأندلس من أعمال شنت بريه تقع شرق مدينة طليطلة على راس جبل ويجري مـــن أســـفلها نهر قرطبة الكبير، ونهر مرسية، بناها الفتح بن موسى بن ذي النون. الحمـــودي: نزهـــة المشـــتاق، ج2، ص560؛ الحميري: صفة الجزيرة، ج1، ص28.

(2) ابن القطان: نظم الجنان، ص65؛ الحميدي: تاريخ، ص254.

(3) ابن القطان: نظم الجنان، ص69.

ثانياً- الخدع العسكرية في عهد دولة الموحدين(1):

في بداية عام 540هـ/1145م كانت أول خطبة من على منابر الأندلس للموحدين في إشارة لبداية انتهاء حكم المرابطين، وتسليم الراية للموحدين بكل ما تعنيه هذه الكلمة من عبء القتال والمواجهة مع القوة التي كانت تهدد كيان المسلمين في الأندلس، لذلك كان لا بد من المواجهة والصراع مع النصارى من أجل أن يحافظ الموحدون على تراث الإسلام في الأندلس حيث خاض الموحدون العديد من المعارك مع النصارى على أرض الأندلس والتي استخدموا فيها **خدع** و**حيل** عسكرية من أجل الانتصار على النصارى وحلفائهم:

1- حصار قرطبة:

في سنة 554هـ/1159م خرج النصارى(2) لحصار مدينة قرطبة مستغلين حالة الخلاف بين المسلمين في الأندلس، ونزلوا عليها وخرَّبوا كل ما حولها من الزروع والأماكن ودام حصارهم للمدينة شهراً كاملاً، **حتى تمكن والي المدينة وقاضيها(3) من تدبير حيلة وخدعة** ترتَّب عليها دفع النصارى وحلفائهم عن قرطبة، لينتهي الحصار وتَسلم المدينة وأهلها بسبب **الحيلة** و**المكر** والخديعة والتي تمثَّلت في إرسال رجل يلبس ملابس زيات من أهل مدينة الشُرْف(4) بكتاب إلى ابن مردنيش(5) في محل إقامته يطلب منه سرعة الإقلاع عن قرطبة والسير إلى إشبيلية، لأن الظروف مهيأة لدخولها، فحين قرأ ابن مردنيش الكتاب أمر بالإقلاع

---

(1) دولة الموحدين: قامت هذه الدولة بناء على دعوة وحركة محمد بن تومرت السوسي في بلاد المغرب ضد دولة المرابطين حيث نجحت هذه الحركة في إزاحة المرابطين عن حكم المغرب العربي وبلاد الأندلس، حيث كانت منطقة السوس بكاملها أول المناطق التي خرجت من سيطرة المرابطين عام 518هـ/1124م ثم توالت سيطرتهم على مناطق المغرب حتى استكملوا ذلك في عام 541هـ/1146م. المراكشي: المعجب، ج1، ص178 وما بعدها.

(2) كان خروج النصارى بالتحالف مع محمد بن سعد بن مردنيش حاكم مرسيه. ابن صاحب الصلاة: المن، ص65.

(3) كان والي المدينة أبو زيد عبد الرحمن بن تيجيت، أما قاضيها فهو أخيل بن إدريس. ابن صاحب الصلاة: المن، ص67.

(4) مدينة الشرف: مدينة في الأندلس تقع شمال غرب اشبيلية على بعد أربعين ميلاً منها وتعرف بزيتها الشهير وسميت كذلك لأنها تشرف على ناحية اشبيلية. الحمودي: نزهة المشتاق، ج2، ص541.

(5) ابن مردنيش: أبو عبد الله محمد بن سعد، ولد سنة 518هـ/1124م، وتنقلت به الأحوال، وتملك مرسية وبلنسية شرق الأندلس واستعان بالفرنج على حرب الموحدين، وفي مرض وفاته طلب من أبنائه تسليم البلاد التي بيده للموحدين؛ مات في 29 رجب عام 567هـ/1172م، وقيل أن أمه سقته السم، وقد انكر بعض المؤخرين نسبه العربي، وأرجعوه لأصل أسباني وتسميه المراجع النصرانية بالملك (لوبر). الذهبي: تاريخ الإسلام، ج39، ص294؛ ابن الخطيب: أعمال، ص259 وما بعدها.

عن قرطبة والإسراع إلى إشبيلية، وفي نفس الوقت أرسل الموحدون إلى أهل إشبيلية من يعلمهم بخبر قدوم ابن مردنيش إليهم وصل ابن مردنيش إلى اشبيلية وأقام عليها ثلاثة أيام، فلما لم يـر شيئاً كما في الكتاب **فعلم أنها خدعة وحيلة من أهل قرطبة** وأقلع عن إشبيلية خاسراً[1].

وهكذا تمكن الموحدون بالمكر والخداع من رفع الحصار عن قرطبة وهزيمة النصارى وحلفائهم بأقل الخسائر ودون أن يتكلفوا عبء القتال وإراقة الدماء؛ وكذلك تمكنوا من اكتشاف حليف ومتعاون مع النصارى وحليفهم ابن مردنيش وهو ابن وزير[2] الذي حمل الكتاب توقيعه، حيث تغير عليه أهل اشبيلية وعلموا تحالفه مع الأعداء فسجنوه[3].

2- معركة الأراك[4]:

في سنة 590هـ/1194م انتهت اتفاقية الصلح بين المسلمين والنصارى، ومباشرة قام النصارى بالاعتداء على بلاد الإسلام[5]، الأمر الذي دفع أمير الموحدين أبو يوسف يعقوب[6] لعبور البحر إلى بلاد الأندلس من أجل أن يوقف اعتداءات النصارى على الأراضي الإسلامية بعد أن جهز جيشاً كبيراً.

سمع النصارى بقصد الموحدين فجهزوا جموعاً ضخمة لم يجتمع لهم مثلها قط، وخرجوا إلى حصن الأرك وبات الطرفان على أهبة الاستعداد، وبدأ المسلمون القتال يوم الخميس 9 شعبان 591هـ/18 يوليو 1195م **وكانت هذه فطنة وحنكة من أمير الموحدين أبو يوسف** وذلك قبل أن تصل النجدات إلى (ألفونسو أو الأذفونش) التي طلبها من مملكتي (ليون ونافار) لتنتهي المعركة بهزيمة ساحقة للنصارى ونصر عظيم للمسلمين حيث اختلفت الروايات في عدد

---

(1) ابن صاحب الصلاة: المن، ص65 وما بعدها.

(2) ابن وزير: أحد قادة الأندلس، أبي بكر ابن الأمير حاكم شلب أبي محمد عبد الله بن وزير. المقري: نفح الطيب، ج4، ص465.

(3) ابن صاحب الصلاة: المن، ص68.

(4) الأراك: حصن على بعد عشرين كيلو متر إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وادي أنة وهو يشكل نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس، وقريباً منه دارت معركة الأراك بين الموحدين، ومملكة قشتالة فحملت المعركة اسم الحصن إسلامياً ومسيحياً. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص27؛ أبو خليل: الحضارة، ص54.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص4.

(6) أبو يوسف يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي: المنصور أمير الموحدين وحاكم بلاد المغرب والأندلس، استقامت البلاد في أيامه وعظمت الفتوحات، كان مولده عام 554هـ/1160م وتسلم الخلافة من أبيه بعد وقعة شنترين عام 580هـ/1184م، لمدة خمسة عشر عاماً، حيث كانت وفاته عام 595هـ/1199م. للمزيد: ابن الأثير: الكامل، ج10، ص258؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص3؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص203.

القتلى والأسرى[1]، وبعد انتهاء المعركة لحق المسلمون بفلول الجيش المنهزم إلى حصن الأراك وحاصروه إلى أن استسلم النصارى وطلبوا الصلح فوافق المسلمون مقابل إطلاق سراح أسرى المسلمين[2]، بعد ذلك أكمل جيش الموحدين مسيرته باتجاه مملكة قشتالة فاقتحم قلعة رباح واستولى عليها ثم ضرب حصاراً على عاصمة قشتالة طليطلة ولم يرفعه إلا رأفةً بنساء وبنات ووالدة (ألفونسو الثامن) اللواتي بكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن[3].

الخدع التي استخدمها الموحدون في معركة الأراك:

1- **بث الجواسيس حول مواقع الأعداء: خدعة** أراد منها الموحدون معرفة أخبار العدو وتجهيزاته ومواقعه وطبيعة المكان من أجل أن توضع خطة القتال، حيث أرسلت سرية لهذا الغرض واصطدمت بقوة من النصارى وقضى المسلمون عليها[4].

2- **تحديد ساعة الهجوم: خدعة** أراد منها المسلمون قطع الطريق على الإمدادات التي طلبها (ألفونسو) ولم تصله بعد، فحدد المسلمون زمن بداية المعركة؛ ليربكوا حسابات العدو وينتهوا من المعركة قبل وصول قوات إضافية ربما ترجح كفة عدوهم[5].

3- **إخفاء جزء من الجيش خلف التلال**[6]: **خدعة** أراد منها المسلمون إيهام أعدائهم بقلة عددهم من ناحية، كذلك حتى تتدخل هذه القوة في اللحظات المناسبة؛ لتحسم المعركة

---

(1) تضاربت الروايات واختلفت حول عدد القتلى من الطرفين، فبعض المصادر تتحدث عن مقتل مائة وست وأربعون ألفاً من النصارى، وتتحدث أخرى عن مقتل ثلاثين ألفاً فقط، أما قتلى المسلمين تقدرهم بعض الروايات بعشرين ألف قتيل، وتذهب أخرى أنه لم يتجاوز الخمسمائة. للمزيد: ابن الأثير: الكامل، ج10، ص237؛ المراكشي: المعجب، ج1، ص282؛ الحميري: الروض المعطار، ج1، ص27؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص192.

(2) المقري: نفح الطيب، ج4، ص382.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص443-444.

(4) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص218.

(5) جودة: تاريخ، ص276.

(6) عقد المنصور مجلساً استشارياً يستوضح فيه الآراء والخطط المقترحة في هذا الشأن، حيث كان لرأي أبي عبد الله بن صناديد دور كبير في وضع خطة الحرب حيث اقترح على المنصور تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام ثم يضع له قائد عام وأن يحتفظ قسم بقيادة الخليفة بقوته للحظة المناسبة وذلك باختفائه خلف التلال فوافق المنصور على ذلك وقسم الجيش على النحو التالي:

1- الأندلسيون ويقودهم ابن صناديد ويكون في الميمنة.

2- العرب والبربر في الميسرة.

3- الجيش الموحدي الرسمي في القلب.

4- المتطوعون في المؤخرة لضعف خبرتهم.

5- قوة السلطان تكون وراء التلال القريبة.

واختير أبو يحيى بن ابي حفص كبير وزراء المنصور قائداً عاماً للجيش. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس، ص223؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص187؛ عنان: دولة الإسلام، ج5، ص200.

حيث تدخل المعركة وهي بكامل حيويتها ونشاطها وقوتها في حين يكون الخصم قد انهكت قواه.

حيث كان لتدخل هذه القوة بقيادة الخليفة أثر كبير في حسم المعركة حيث دب الرعب في نفوس النصارى حينما شاهدوا جيش الخليفة وعلموا أنهم من الصباح لم يكونوا يقاتلوا جيش الخليفة فدبَّ الرعب في قلوبهم ومزَّق قوتهم وكان سبب في تفرّقهم.

4- **تقدم جيش المسلمين باتجاه مواقع النصارى قبل بدء المعركة بيومين دون قتال: خدعة** أراد منها المسلمون معرفة استعدادات خصمهم وجس نبضه ومن أجل الاقتراب إلى أقرب نقطة من مواقع العدو ومن أجل إيهام العدو أن حركة جيش الموحدين طبيعية إذا كان الهجوم الفعلي على مواقعه في لحظة بداية المعركة، حيث نجد المنصور قد أمر الجيوش بالزحف باتجاه مواقع النصارى دون قتال قبل المعركة بيومين، وعندما رأى النصارى اقتراب الموحدين خرجت قوة من جيش النصارى وتقدمت باتجاه الجيش الموحدي، ولكن الموحدين لم يفعلوا شيئاً للاشتباك معهم، فلما رأى النصارى جمود الموحدين ظنوا أن تحركهم طبيعي عادوا إلى مواقعهم وفي اليوم التالي جرى تحرك آخر للجيش الموحدي ثم كان في اليوم الثالث بداية الهجوم الحقيقي والمفاجئ للنصارى[1].

5- **تصنع الفرار: خدعة** استخدمها الموحدون في المعركة من أجل أن يوقعوا قوات النصارى في كمين ويفصلوا جيشهم إلى قسمين حيث نجد أن قوة كبيرة من النصارى تقدمت باتجاه قلب جيش المسلمين وهنا تقهقر المسلمون قليلاً حتى أصبح النصارى في قلب مواقع المسلمين هجم عليه المسلمون من جميع النواحي وعندما حاول النصارى الرجوع إلى مواقعهم منعهم المسلمون من ذلك وحالوا بينهم؛ ليُعملوا فيهم السيف ويقتلوا منهم خلقاً كثيراً[2].

6- **استخدام بعض النصارى الفارين من قشتالة: خدعة** هدف منها المسلمون أن يدلوهم على عورات أبناء جلدتهم (فالقلعة لا تهدم إلا من الداخل) وكذلك محاولة التواصل مع أصدقائهم في جيش النصارى من أجل أن يحبطوهم ويثبطوهم ويغروهم بالتخلي عن (ألفونسو) حيث رافق عدد من النصارى المبعدين من قشتالة جيش الموحدين وكانوا يمدون المسلمين بالنصح والمعلومات ومن هؤلاء الكونت (بيدرو فرنانديز، دي كاسترو) كذلك انضم جزء من الأسبان لجيش الموحدين[3].

(1) عنان: دولة الإسلام، ج5، ص202.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص230.

(3) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص87؛ جودة: تاريخ، ص277.

وهكذا تمكن الموحدون من إحداث نصراً مؤزراً على أعدائهم بالخدع العسكرية التي تعتبر من أهم فنون الحرب ووسائل القتال عند الموحدين، حيث انهم لم يشتبكوا في موقعة ما دون أن يدبروا فيها نوعاً من الخدع(1).

3- غزوة طلبيرة:

في عام 578هـ/1182م تجمع المجاهدون في إشبيلية بقيادة أبي عبد الله ابن وانودين من أجل غزو بلاد النصارى، وسار الجيش سالكاً طريق قرطبة ثم غيَّر طريقه باتجاه طريق آخر، ثم تشاور مع الأشياخ فاتفقوا أن يتجهوا إلى مدينة طلبيرة، فتحرك الجميع باتجاه الهدف متسترين بالضباب والغيم، وعند وصولهم إلى المدينة ظفروا بسرية من عشرين فارساً، ثم أغاروا على ما وجدوا من المغنم في المكان، وفي اليوم التالي 15 جمادي الآخرة دارت بينهم وبين النصارى معركة انتصروا فيها، ثم نزلوا في ربوة مرتفعةٍ مجاورة لمدينة طلبيرة بنحو ميل وضربوا أخبيتهم ونشروا ألويتهم وباتوا بها ليلتهم أحسن مبيت، فاستفزَّ المشهد النصارى فحشدوا جميع من في بلدهم وأرسلوا لأهل الحصون المجاورة لهم واجتمعوا كلهم وخرجوا إلى الربوة المذكورة فوجدوا المسلمين قد أقلعوا منصرفين بعدما امتلأت أيديهم بالمغانم والأسرى، فجَّد النصارى في طلبهم وعزموا على مقاتلتهم ولم يبقَ في طلبيرة شيخ ولا صبي إلا خرج ومعهم القسيس يحرضهم على القتال ويمنيهم بالظفر والغلبة على المسلمين، وفي الطرف الآخر ابن وانودين يعظ جنده ويبشِّرهم بالنصر، ويعدهم بما عند الله من الأجر والثواب حتى تمكَّن من الوصول إلى جبل يسترهم فنزل والعسكر وراءه، وقال لهم: هذا موضع الحرب إن شاء الله، واعلموا أن أرضكم بعيدة وأن الفرار يدخل النار، فتثبتوا ينصركم الله وتعاهد الجيش على القتال بعد أن توادعوا ثم حملوا على النصارى حملة أهلكهم الله فيها فانهزموا وولّوا أدبارهم، وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف وامتلأت أيدي المسلمين بالأسلاب والدواب(2).

يتضح لنا أن ابن وانودين قد استخدم العديد من الخدع في هذه الغزوة من أجل أن يحقق الظفر والغلبة على النصارى وهي على النحو التالي:

1- **تغيير طريق السير أكثر من مرة: خدعة** أراد منها المسلمون التعمية على وجهتهم وعدم معرفة طريقهم وهذه فيها من المفاجأة للعدو ما يتحقق معه الفوز والظفر.

2- **استغلال الغيم والضباب: خدعة** الهدف منها عدم اكتشاف أمرهم حتى يصلوا المكان دون أن يشعر بهم أحد فيتحقق لهم ما يريدون.

---

(1) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص244.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص149-150.

3- **تصنع الفرار: خدعة** سعى من خلالها ابن وانودين إبعاد النصارى عن مكـان إقـامتهم فيصعب وصول النجدات لهم إذا ما احتاجوا لذلك، كذلك أراد أن يحدد هو مكان المعركة الذي يستفيد منه في خطته وهذا ما كان حينما كمن في الجبال ثم خرج ليفاجئ النصارى فأحدث فيهم مقتلة عظيمة.

وهكذا ما كان لابن وانودين أن يحقق هذا الانتصار على أعداء الله بدون أن يلجأ إلـى استخدام الحيلة والمكر والخداع.

4- معركة العُقاب[1]:

تعتبر معركة الأرك من المعارك الخالدة في تاريخنا المجيد، حيث تركت آثاراً عميقة في نفوس النصارى وخاصة (ألفونسو الثامن) ملك قشتالة، الذي كان يفكر طويلاً بمحو آثار الهزيمة التي لم يستطع أن ينسى مراراتها، لذلك شرع بتحصين قلاعه على الحدود الإسلامية، ثم صـالح ملكي نبارة وأرغون وحالفهما ضد المسلمين، وهاجم الأراضي الإسلامية مما أغضـب الخليفـة الناصر الموحدي الذي أعد جيشاً ضخماً تقدره الروايات بنصف مليون، قسَّمه إلى خمس فـرق: واحدة للعرب وثانية لقبائل المغرب، وثالثة للمتطـوعين، ورابعـة لجنـد الأنـدلس، وخامسـة للموحدين ثم سار بهم عام 608هـ/1211م إلى قشتالة التي بدأ ملكها بتجميع قـوات النصـارى من سائر الأماكن، **وبرز دور رجال الدين في هذا الأمر حتى بات المعسكر النصـراني جـاهزاً للقتال**؛ ليلتقي الجيشان في 15 صفر 609هـ/ 14 يوليو 1212م في قتال عنيف في بدايته كـان كفة المسلمين ترجح والنصر حليفهم، ولكن تغيرت الأحوال بعد مهاجمة قوات (ألفونسـو) قلـب الجيش الموحدي الذي انهار بسرعة لتلحق الهزيمة بالمسلمين وتحدث فيهم مقتلة عظيمة[2].

إن المتتبع لتفاصيل معركة العقاب يجد أن المسلمين قد تخلوا عـن اسـتخدام الحيـل والخدع العسكرية فلا تكاد تجد خدعة واحدة في هذه المعركة ولعـل السـبب يعـود لإعجـاب الناصر بجيشه والغرور الذي ملأ نفسه بأن جيشه لن يهزم.

---

(1) معركة العُقاب: عرفت في التاريخ الإسلامي بهذا الاسم نسبة لحصن أموي قديم يعرف بالعُقاب بالقرب مـن مدينة سالم وفي المصادر الأوروبية يطلق عليها (لاس نافاس دي تولوسا) نسبة لوادي (نافاس) قرب بلـدة (تولوسا) والتي وقعت المعركة بالقرب منها. المراكشي: المعجب، ج1، ص321؛ عنان: دولـة الإسـلام، ج5، ص301-302.

(2) المراكشي: المعجب، ج1، ص321؛ ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص260 وما بعدها؛ ابـن خلدون: تاريخ، ج6، ص249؛ ابن أبي زرع: الأنيس، ص239؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص383.

لذلك تجد الموحدين قد تخلوا حتى عن الخدع الروتينية التي كانوا يستخدمونها في معاركهم مثل[1]:

1- تصنع الفرار.

2- استطلاع كل ما يتعلق بالعدو من ناحية العدد والعتاد والمواقع وأحواله ثم يرتبون خططهم بناءً على هذه المعلومات الاستطلاعية.

3- تقسيم الجيش إلى قسمين: قسم يشمل جميع الجنود من عرب وبربر مطوعة وأندلسيين تحت قيادة أحد كبار القادة، فيخوض المعركة، وهو يحمل راية الخلافة، فيعتقد النصارى أنه الخليفة فيركزون جهدهم عليه، والقسم الآخر يشمل الجنود الخاصة والعبيد والحشم تحت قيادة الخليفة نفسه ويكون متوارياً عن الأنظار ويكون على أهبة الاستعداد في مكان قريب، ويدخل المعركة في الوقت المناسب خاصة إذا ظهرت الهزيمة على المسلمين فيقع الرعب في قلوب الأعداء.

إنَّ تخلي الموحدين عن الخدع والحيل شَكَّل سبباً لا يستهان به في هزيمتهم إضافة إلى أسباب أخرى ذكرها المؤرخون[2].

ختاماً نقول: إن الموحدين كانوا يقومون في كل عام بالغزو في أراضي النصارى ويرد عليهم ملوك النصارى بالغزو في الأراضي الإسلامية، ويتراوح النصر سجالاً بين الفريقين في هذه المعارك دون أن تسفر عن نتائج حاسمةٍ أو حوادث ذات شأن[3].

---

(1) أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص244.

(2) حول هذه الأسباب انظر: عنان: دولة الإسلام، ج5، ص317، 318.

(3) النويري: نهاية الأدب، ج24، ص178؛ أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص71.

المبحث الثالث

الخدع العسكرية في عهد دولة بني مرين[1] ومملكة غرناطة[2]

بعد معركة العقاب عام 609هـ/1212م بدأ نفوذ دولة الموحدين يتلاشى تدريجياً أمام الممالك النصرانية الأسبانية التي استغلّت الظروف السياسية والاقتصادية السيئة لدولة الموحدين، فبدأت تستعيد العديد من المدن والقواعد والحصون[3]، دون أن تتمكّن دولة الموحدِّين من

---

(1) بني مرين: ترجع أصولهم إلى قبائل زنانة البربرية، ويعتبر بني مرين أنفسهم أعلى قبائل زنانة نسباً وحسباً، إذ يرجعون نسبهم إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، هاجروا من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب دون معرفة سبب هجرتهم، كانت إقامتهم بين قصور فكيك وملوية، عندما حكم الموحدين المغرب أثروا النزوح باتجاه الصحراء على أن يدخلوا تحت طاعة الموحدين وبدأوا يعملون على تقويض حكم الموحدين إلى أن تمكنوا من ذلك عام 667هـ/1269م وسيطروا على المغرب وأقاموا لهم دولة امتدت من وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً وانقرضت دولتهم في 869هـ/1465م. للمزيد: ابن أبي زرع: الأنيس، ص278؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص166؛ الناصري: الإستقصا، ج3، ص3؛ الغنيمي: موسوعة، ج5، ص199؛ حسن: دولة بني مرين، ص85 وما بعدها.

(2) مملكة غرناطة: تقع جنوبي الأندلس، حيث يحدها من الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الشمال نهر الوادي الكبير، ومن الغرب الجبل الأسمر والوهاد، بدأت المنطقة الجنوبية تخرج عن جسم الدولة الموحدية منذ عام 628هـ/1230م بقيادة محمد بن يوسف بن هود وأضفى الشرعية السياسية على انفصاله بالدعاء للخليفة العباسي المستنصر وبعد وفاة ابن هود تولى الإمارة بني الأحمر أو بني نصر (أسرة الشيخ المؤسس محمد بن يوسف الأحمر) الذي بقيت أسرتهم تحكم غرناطة حتى سقوطها تحت حكم النصارى الأسبان عام 897هـ/1492م. للمزيد: ابن عذاري: البيان المعرب، قسم الموحدين، ص279؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص260؛ ابن الخطيب: اللمحة، ص33-47؛ أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص161؛ حسن: دولة بني مرين، ص54.

(3) نتيجة ضعف الموحدين استولى النصارى على كثير من معاقل المسلمين ومدنهم بدءاً بماردة وميورقة وبطليوس عام 628هـ/1230م؛ ومروراً بمدينة قرطبة وأستجة والمدور عام 633هـ/1235م؛ وبلنسية عام 636هـ/1238م؛ ومرسيه وشلب عام 640هـ/1242م؛ ودانية ولقنت عام 641هـ/1243؛ وجيان وقرطاجة عام 643هـ/1245م؛ وشاطبة عام 644هـ/1246م؛ وإشبيلية عام 646هـ/1248م، وانتهاءً بمدينة شمنترية الغرب سنة 647هـ/1249م؛ ولبلة ولبة عام 655هـ/1257م؛ فلم ينتصف القرن السابع الهجري -الثالث عشر الميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها تحت حكم النصارى ولم يبق تحت حكم المسلمين سوى بضع ولايات في جنوب الأندلس تمثلت في مملكة غرناطة. ابن أبي زرع: الأنيس، ص275 وما بعدها؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص252؛ حسن: دولة بني مرين، ص77-78.

مواجهتها بسبب انشغالها في صراعاتها الداخلية على السلطة، وظهور خلفاء كانوا ألعوبة في يد الوزراء(1) وقيام حركات تمرد تسعى للاستقلال عن جسم دولة الموحدين(2).

فظهرت في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة دولة بنو مرين الفتيَّة النشطة التي قامت بدور كبير في صد هجمات النصارى، ووقفت إلى جانب مملكة غرناطة التي صمدت في وجه الهجمات النصرانية قرابة قرنين ونصف قبل أن يتمكنوا من انتزاعها من المسلمين؛ لتصبح الأندلس تحت حكم النصارى بعد ثمانية قرون من الحكم الإسلامي -وحسبنا الله ونعم الوكيل-.

أولاً- دولة بني مرين:

بسيطرة بني مرين على مراكش عام 668هـ/1269م فقدت دولة الموحدِّين سيادتها على أراضيها وأملاكها في بلاد المغرب العربي لصالح بني مرين الذين أقاموا دولة على أنقاض دولة الموحدين، فقامت دولتهم بالدور الذي كانت تقوم به دولتا المرابطين والموحدين، حيث رفعت علم الجهاد ضد الممالك النصرانية في الأندلس بهدف الحفاظ على الوجود الإسلامي، وإحباط عمليات الاسترداد النصرانية التي هدفت إلى إنهاء تواجد المسلمين في الأندلس، فكان لجهاد المرينيين دورٌ كبيرٌ في انحسار المد النصراني وبقائه في أماكن تواجده(3).

معركة الدونونية(4):

تواترت الكتب وتتابعت الرسل على بني مرين من مملكة غرناطة، تدعوهم لنصرتهم لمواجهة الخطر النصراني على مملكتهم، فأرسل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق(5) إلى حاكم سبتة يأمره بتجهيز السفن لعبور المجاهدين، وعقد راية الجهاد لولده أبي زيان

(1) حيث وصل إلى الحكم عدد من الخلفاء صغار السن، فاستبد بالأمر وزراؤهم ومن هؤلاء الخلفاء: يوسف المنتصر كان عمره ست عشرة سنة، ويحيى بن الناصر وكان عمره ست عشرة سنة، وعبد الواحد ابن المأمون وكان عمره أربع عشرة سنة. للمزيد: الناصري: الاستقصا، ج2، ص226-228؛ حسن: دولة بني مرين، ص65 وما بعدها.

(2) الناصري: الاستقصا، ج2، ص235؛ حسن: دولة بني مرين، ص70 وما بعدها.

(3) المراكشي: المعجب، ج1، ص336؛ ابن خلدون: تاريخ، ج6، ص353.

(4) عرفت هذه المعركة بهذا الاسم نسبة إلى (دون نونيو دي لارا) قائد الجيش القشتالي. الناصري: الاستقصا، ج3، ص41.

(5) يعقوب بن عبد الحق: يكنى أبو يوسف، يلقب بالمنصور، كان مولده سنة 609هـ/1211م، أمير المسلمين وزعيم بني مرين، كان أول من جاز البحر للجهاد في الأندلس من خلفاء بني مرين، كانت وفاته 22 محرم عام 685هـ/ 19 مارس 1286م. للمزيد حول سيرته: ابن أبي زرع: الأنيس، ص297 وما بعدها.

منديل[1] على رأس خمسة آلاف مقاتل تجمَّعوا في جزيرة طريــف فــي 26 ذي القعــدة عــام 673هــ/1275م ثم انطلقوا في بلاد النصارى[2] يقتلون ويسبون ويخرِّبون القــرى والحصــون، ويحرقون الزروع دون أن يعترض طريقهم أحد من النصارى[3].

عند سماع خبر انتصارات جيش أبي زيان منديل، تشجَّع الأمير يعقوب في عبور البحر لقتال النصارى، فأرسل الكتب للقبائل والمدن يدعوها للجهاد، فتوافد المجاهــدون والمتطوعــون على الجزيرة الخضراء[4] أفواجاً أفواجاً حتى إذا ما اكتمل جوازهم لحق بهــم أميــر المســلمين يعقوب دون أن يشعر به أحد في 21 صفر عام 674هــ/1275م، وانطلق بجيشه إلى بلاد العدو حتى وصل إلى أحواز قرطبة يقتل ويسبي ويُخَرِّب الزروع، ويحرق القرى والحصون ويجنــي الغنائم حتى فاضت كفيض النيل، ثم عاد إلى إستجة؛ ليأتيه الخبر حينها بقيام النصــارى بحشــد قواتهم فدعا أشياخ بني مرين يشاورهم في لقاء النصارى الذين جاؤوا بجيوش عظيمــة وجنــود كثيرة وقام بتجميع الغنائم وإرسالها بصحبة ألف فارس خارج نطاق المعركة، وذلك حتى لا تبقى قلوب أصحابه متعلقة بالغنائم ثم نزل على فرسه وتوضأ وصلَّى ودعا الله، وخطب فــي جنــده بكلمات مؤثرة حتى علت أصوات الجند بالتكبير، وانطلقوا نحو العدو والتحم الجيشان، فنصر الله جنده ومكَّن أولياءه وقُتل زعيم النصارى وهزم القشتاليين شر هزيمة وقتل منهم ثمانيــة عشــر ألف كان ذلك في 15 ربيع أول عام 674هــ/ 8 سبتمبر 1275م[5].

هذا وتتمثل الخدع التي استخدمها الأمير يعقوب وحسن تدبيره في هذه المعركة بالتالي:

1- **عدم إشعار أحد بقدومه إلى الأندلس** ثم انطلاقه للغزو بمجرد وصوله دون أن ينتظر أو يقعد: **خدعة** أراد منها مداهمة أراضي النصارى قبل أن يشعروا بــه أو ينــذرهم نــذير الأمر الذي جعله يصل قرطبة، ويعود إلى إستجة والنصارى غارقون في سُبات عميــق مما أعطى دافعية وحافز لجنده الذين حقَّقوا إنجازات واضحة وملموسة أدخلت الســرور على أهل الأندلس الذين لم يفرحوا بنصر منذ هزيمة العقاب[6].

---

(1) منديل بن يعقوب بن عبد الحق الأمير أبو زيان، كان فاضلاً عاقلاً جواداً، قائداً للجيــوش المرينيــة. ابــن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص208.

(2) كان أول عبور لجيش من بني مرين للجهاد في الأندلس 12 شعبان عام 661هــ/22 يونيو 1263م بقيــادة عامر بن إدريس على راس ثلاثة آلاف مقاتل. ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص253.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص314-315؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص253.

(4) عندما أرسل له بنو الأحمر يستنجدوه طلب منهم أن يمنحوه الجزيرة الخضراء لتكون قاعدة متقدمة لجنوده. ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص254؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص449.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص316 وما بعدها؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص254-255.

(6) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص254.

2- **قتل قائد الجيش القشتالي: خدعة** أراد منها إضعاف معنويات جيش القشتاليين وتشتيت قوتهم وتبديد خططهم، ورفع الروح المعنوية لجيش المسلمين خاصة وأن شيئاً من الخوف دبَّ في نفوس جيش المسلمين عند سماعهم خبر قيادة جيش قشتالة للقائد (دون نونيولارا) الذي لم يهزم قط، وكان من أشد النصارى على بلاد الإسلام، عرف عنه القتل والتدمير والتخريب، لذلك فإن قتله يشكل انتكاسة لجيش النصارى الذين سعدوا بتوليه لجيشهم[1].

3- **تجميع الغنائم والأسرى وجعلها في مكان خارج حدود المعركة وبحراسة ألف فارس: فطنة وحسن تدبير،** كيلا ينشغل الجيش في حراسة هذه الغنائم مما يترتب عليها إعاقة حركة الجيش، وكذلك حتى لا تبقى أعين الجنود عليها فينشغلوا بها، بل تكون عيونهم وقلوبهم وعقولهم وفكرهم متركز في ساحة المعركة، سيما وأن النصارى قد خرجوا لهم بجيش قوامه تسعين ألفاً[2].

هكذا انتهت معركة (الدونونية) ولكن المنصور يعقوب لم ينتهِ من قتاله للنصارى حيث انطلق من جديد في جمادي الأول عام 674هـ/تشرين أول 1275م، ليهاجم إشبيلية ويقف على بابها دون أن يجرؤ أحد من سكانها أن يخرج لمواجهته، فهاجم أحوازها وسبى وغنم ما كان في أنحائها وأحرق قراها، وخرَّب حصونها ثم ارتحل إلى "شريش" ففعل بها كما فعل في إشبيلية ثم عاد إلى الجزيرة الخضراء سالماً غانماً[3].

اشتاق المنصور يعقوب للجهاد فجاز البحر للمرة الثانية إلى الأندلس مستنفراً كتائب المجاهدين لغزو أعداء الدين، كان ذلك في محرم 676هـ حزيران 1277م فنزل على "رندة" ثم تركها إلى إشبيلية، وعندها دارت معركة عظيمة بين المسلمين والنصارى، هُزِم فيها النصارى شر هزيمة، وانتصر المسلمون نصراً مُؤَزَّراً بعد أن أمعنوا السيف في رقابَهم، وتفرَّقوا بعد المعركة يقتلون ويأسرون ويحرقون ويخربون، ودخلوا عدداً من حصون النصارى[4] وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم ثم عاد المنصور سالماً غانماً إلى الجزيرة الخضراء[5].

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص316؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص41.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص317؛ عنان: دولة الإسلام، ج7، ص100.

(3) الناصري: الاستقصا، ج3، ص42.

(4) هذه الحصون هي: حصن غطانية، وحصن جليانة، وحصن القليعة، وجميع قرى الشرق وحصونه. ابن أبي زرع: الأنيس، ص325.

(5) الناصري: الاستقصا، ج3، ص45-46.

في الخامس والعشرين من ربيع الآخر 676هـ أيلول 1277م توجه المنصور يعقوب إلى شريش[1] مُثخناً في أحوازها ثم وجَّه ابنه للاستمرار في مهاجمة حصون إشبيلية وحصون الوادي الكبير من أجل إنهاك قوة النصارى[2]، ثم أخذ يَعُدُّ العدة لغزو قرطبة بعدما أيقن أنه أضعف النصارى وأنهك قوتهم، أرسل المنصور يعقوب إلى صاحب غرناطة يدعوه للجهاد والقتال حتى يفوز بعز الدنيا والآخرة، التقت جيوش بنو مرين مع جيوش غرناطة بالقرب من شذونة وانطلقا معاً لمهاجمة الحصون والمواقع والمدن النصرانية حتى وصلت طلائع الجيش الإسلامي إلى مدينة قرطبة، وضربوا عليها حصاراً، وأخذ جند المسلمين يخربون أحوازها ويحرقون قراها ويدمرون زروعها، ثم توجه إلى بركونة[3] وأرجونة[4] وحيان وفعل بهما ما فعل بقرطبة، وعندما رأى النصارى أنهم لا طاقة لهم بجند الإسلام طلبوا الصلح وبعثوا قساوسهم لذلك فانعقد الصلح بين المسلمين والنصارى في رمضان عام 676هـ/ فبراير 1278م ليعود بعدها المنصور يوسف إلى المغرب سالماً غانماً[5].

من هذه الجولة من جولات الصراع بين بني مرين والنصارى في الأندلس يتبين لنا عدة خدع قام بها المنصور يعقوب ليحقق فوزاً وظفراً على النصارى تمثَّلت في الآتي:

1- **متابعة الغزو: خدعة** أراد منها المنصور يعقوب إنهاك قوى النصارى وإضعافها حتى يستطيع أن يحقق ما يريد، وهذا نجده واضحاً في قوله: "يا معشر المجاهدين إن إشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفا وبادا"[6]، وكذلك أراد من مواصلة الغزو إشغال النصارى في أنفسهم وعدم إعطائهم فرصة للهجوم، بَل يجعلهم دائماً يفكرون في صد هجمات المسلمين والعمل على تحصين مواقعهم التي كان المنصور في كل مرة يهدمها ويحرقها ويخربها.

2- **قطع الأشجار وتدمير الثمار: خدعة** أراد منها ضرب الاقتصاد النصراني، وإحداث مجاعة في بلاد النصارى وهذا يتضح من خلال قول المنصور يعقوب: "إن قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الروم واتِّكالهم، وبها قوتهم ومعاشهم، فإنْ

(1) شريش: مدينة كبيرة حصينة في الأندلس من كورة شذونة. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص340.

(2) هذه الحصون هي: حصن روطة، وشلوقة، وغليانة، والقناطر. ابن أبي زرع: الأنيس، ص325-326.

(3) بركونة: بلدة أو حصن من نواحي جيان وهي إحدى حصون قرطبة. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص144.

(4) أرجونة: مدينة أو قلعة أو حصن بالأندلس من ناحية جيان تتبع لمدينة قرطبة ينسب إليها محمد بن يوسف الأحمر الأرجوني. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص26.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص322؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص260؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص47.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص326.

غزوناها وقطعنا ثمارها وأفسدنا زروعها فنيت الروم جوعاً، وضعفت جميع بلاد النصرانية"[1]، لذلك نجد المنصور يعقوب يقطع الزروع والأشجار ويحرقها بيده من أجل أن يقتدي به الناس[2]، ويعتبر ذلك من الرشاد وأفضل الجهاد؛ لأنه يترتب عليه أن تصبح بلاد النصارى خاوية على عروشها وأحدث نكاية عظيمة بالنصارى[3] وكذلك فيها كشف للمواقع النصرانية فلا يبقى لهم شجر يستترون به.

3- **قرع الطبول ورفع الصوت بالتكبير: خدعة** الهدف منها تشتيت تفكير النصارى وإحداث الفزع والرعب في صدورهم إذ أنهم غير معتادين على ذلك وهذا ما يؤكده ابن أبي زرع يقول: "ثم أقبل أمير المسلمين .. بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده، فلمَّا سمع الروم هدير طبوله، وعاينوا إشراق رايته المنصورة.. ولُّوا منهزمين، ونُكصوا على أعقابهم مدبرين"[4].

4- **هدم الحصون: خدعة** الهدف منها عدم عودة الأعداء إليها واستخدامها في القتال من جديد فتصبح أماكنهم مكشوفة ولا يوجد لهم ما يتحصَّنون به فيسهل منازلتهم والهجوم عليهم.

5- **توزيع الغارات في كل الاتجاهات: خدعة** الهدف منها تشتيت جهود النصارى والإيحاء لهم بأن عدد جيش المسلمين كبير جداً، وإلا لمَّا وزعوه في شتى الاتجاهات وبالتالي يمنع النصارى من توحيد قواتهم وقتال المسلمين مجتمعين فتصبح كل مدينة همها نفسها.

بمجرد أن عاد المنصور يعقوب إلى المغرب، نقض النصارى الصلح وذلك بتوجيه قواتهم إلى حصار الجزيرة الخضراء بهدف السيطرة عليها وذلك في ربيع الأول عام 677هـ/1279م، ولكن المدينة صمدت في وجه المعتدين فأمر المنصور يعقوب جيوش المسلمين بالذهاب إلى الجزيرة الخضراء لرفع الحصار عنها، انطلقت مراكب المسلمين من طنجة في الثامن من ربيع الأول عام 678هـ/ 20 يوليو 1280م وعندما أبصر النصارى مراكب المسلمين قد سدت المسالك، قذف الله الرعب في قلوبهم، والتحم الفريقان ومكَّن الله لجند

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص326.

(2) قد يعتبر البعض هذا الفعل مخالفاً لتوجيهات النبي عليه السلام (بعدم قطع الأشجار المثمرة) ولكن في بعض الأوقات تحدث استثناءات وذلك بناءً على فقه الواقع، فقد لا يكون سبيل لإرهاق العدو وإحداث نكاية به إلا بهذه الطريقة خاصة إذا كان العدو لا يلتزم بأخلاق وأدبيات الحرب كما كان حاصل في تلك العصور. الرفاعي: الإسلام، ص181.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص325.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص324.

الإسلام من رقاب النصارى وكثر فيهم القتل، ولم ينجُ منهم إلا القليل وسلم الله الجزيرة وأهلها وغنموا أموالاً وأسلاباً وفواكه وشعيراً مما لا يحصى[1].

وفي عام 681هـ/1282م توجه المنصور يعقوب إلى الأندلس لقتال النصارى ووصل إلى قرطبة وبثَّ سراياه إلى جيان وطليطلة يقتل ويسبي ويدمر الغرس ويخرب حصون ويفتح أخرى[2]، وعاد إلى الجزيرة وقد امتلأت أيدي المسلمين بالسبي والغنائم، ثم عاد الأمير يوسف إلى الأندلس بناءً على دعوة حاكم غرناطة في صفر عام 682هـ/ مايو 1283م حيث بث سراياه في بلاد النصارى وغنموا وسبوا ثم توجه في ربيع الآخر عام 682هـ/ يونيو 1283م إلى قرطبة فغنم حصونها وخرب معمورها، وارتحل إلى البرت حتى وصل أحواز طليطلة، ولكنه لم يستمر طويلاً لكثرة ما في يديه من الغنائم والأموال والأسلاب، وعاد إلى الجزيرة الخضراء من طريق آخر يحرق ويخرب ويسبي ويقتل كل من يجده في طريقه حتى وصل إلى "أبذة" ورحل عنها بعد ما دمرها وانتسف أثارها، وصل المنصور يعقوب بلاد المغرب عائداً من الأندلس في شعبان 682هـ/ أكتوبر 1283م[3].

في هذه الجولة من جولات الغزو والجهاد للأمير المنصور يعقوب، نجده قد استخدم خدعتين مع النصارى:

الأولى: التحالف مع فريق من النصارى ضد آخر: **خدعة** استخدمها المنصور مستغلاً خلاف وقع بين (ألفونسو العاشر) وابنه فقام المنصور بالتحالف مع "ألفونسو" وسار مع جيش المسلمين يدلهم على عورات بني قومه[4].

الثانية: الذهاب من طريق والرجوع من آخر: **خدعة** الهدف منها تجنب كمائن الأعداء لأنهم خبروا طريقه فحينما يعود من طريق آخر **يخدعهم** ويتجنب مالا تُحمد عقباه؛ كذلك حتى يُخرِّب ويدمِّر أكبر قدر ممكن من الأراضي والمواقع والحصون النصرانية، وفيه مفاجأة للعدو الذي ظن أن المنصور سيتجاوز مواقعهم وسيعود من الطريق نفسه وإذ به يجده في طريق مختلف لم يكن يحسب له حساباً.

الجواز الرابع:

كان العبور الرابع للمنصور يعقوب إلى بلاد الأندلس في صفر 684هـ/ نيسان 1285م، حيث نزل بجزيرة طريف ثم اتجه إلى الجزيرة الخضراء ومنها بث السرايا والبعوث

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص329 وما بعدها.

(2) من الحصون التي افتتحها في هذه الغزوة حصن ذكوان، وسهيل، وقرصة. ابن أبي زرع: الأنيس، ص338.

(3) الناصري: الاستقصا، ج3، ص56-57.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص338.

في كل الاتجاهات، وتوجه هو إلى "شريش" فنازلها وباشر في تدمير زروعها وتخريب مرافقها وإفساد ثمارها، وعقد العزم على أن يصل بغاراته كل البلاد التي كانت في أيدي المسلمين حتى يدمر مرافقهم ويفني أقواتهم، فكانت الجيوش تتفرق صباح كل يوم وتشن غاراتها على جميع البقاع المحاذية لإقامة جيش المسلمين[1] ومهمتها الرئيسة هي القتل والسبي والتخريب وتدمير الزروع والمرافق.

أثناء إقامة الجيش لحق بهم الأمير يوسف بن يعقوب[2] في ثلاثة عشر ألف مقاتل وتميزت كل قبيلة وتقدم الرجال والرماة أمام الخيل، وسارت الجيوش يتقدمها قرع الطبول باتجاه شريش، وأخذ يغير عليها كل يوم حتى لا يتمكن أحد من الخروج منها ويأمن المسلمون الذين قاموا بحصد الزروع والثمار؛ كذلك لحق بوالده الأمير أبي زيان في جيش عظيم من المسلمين، فكلَّفه والده بالإغارة على إقليم الوادي الكبير وفي 28 جماد الأول من عام 684هـ/1285م، وبسبب دخول الشتاء قرر المنصور يعقوب بالعودة إلى المغرب[3]؛ ليقف عندها النصارى على حجم الدمار والخراب الذي لحق بديارهم؛ ليرسلوا رهبانهم وقساوستهم ليطلبوا الصلح من المسلمين فردهم المنصور دون جواب فأعادهم (سانشو) مرة أخرى للمنصور متمنياً أن يلين قلبه، فأتوه الثانية وقالوا أيها الملك المنصور: "جئناك بقلوب منكسرة، وأفئدة متقطعة، نرجو عفوك، ونطلب صلحك، فالصلح خير، فلا تخيب قصدنا، ولا ترد سؤلنا، فقال لهم: لا أصالح سلطانكم إلا على شروطي فإنْ قَبِلَها سالمته، وإن حاد عنها نابذته"[4] فوافق النصارى على ذلك.

خلال هذا الجواز قام المنصور يعقوب بعدد من الحيل والخدع التي مكنته من التغلب على النصارى وإحداث نكاية عظيمة ومقتلة كبيرة فيهم، حيث تمثلت هذه الخدع والحيل في الآتي:

---

(1) كانت سرايا وبعوث جيش المنصور يعقوب تغير كل يوم على قواعد ومدن وحصون وأبراج النصارى وتقطع المسافات الطويلة في سبيل ذلك حيث تمكنت جيوش الإسلام خلال هذا الجواز من مهاجمة المدن التالية: إشبيلية، ولبلة، وقرمونة، واستجة، وجيان، والشُرف، وشريش، وبختر، وابن سليم، والقلعة، واركش؛ كذلك هاجمت عدد من الحصون مثل: شلوقة، والوادي، والقناطر، وعين الصخرة، وروطة، وقلعة جابر، وهنالك، ومشقريط، ومرج الملاحة وغيرها. راجع ابن أبي زرع: الأنيس، ص342 وما بعدها.

(2) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني: لقب بالناصر، ويكنى أبو يعقوب، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه عام 685هـ/1286م، جاز البحر أكثر من مرة للقتال في الأندلس ضد الممالك النصرانية، كان مولده في ربيع أول عام 638هـ/1240م، قتل على يد خَصِي من مماليكه في 7 ذي القعدة من عام 706هـ/ 1306م. الزركلي: الأعلام، ج8، ص257-258.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص341 وما بعدها؛ عنان: دولة الإسلام، ج7، ص106 وما بعدها.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص358؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص208؛ الناصري: الإستقصا، ج3، ص62.

1- **الحرب الاقتصادية: خدعة** مارسها المنصور يعقوب من أجل الضغط على النصارى في الأندلس، حيث كانت تقوم قواته مباشرة بقطع الاشجار وتدمير الزروع، وقطع المرافق بالكلية، وهدم الحصون والقلاع والأبراج عن أي مدينة أو قرية يتم مهاجمتها الأمر الذي ترتب عليه فراغ مخازن النصارى من الزروع والثمار، وتفشِّي الغلاء وانتشار الجوع في جميع الأراضي الأسبانية[1]، لذلك نجد النصارى بمجرد وقوفهم على حجم الدمار والخراب بعد المعركة سارعوا لطلب الصلح والإذعان لشروط المسلمين.

كذلك كان المنصور يستفيد من هذه الزروع والثمار بأن يوزعها على جنده ويرسل بها إلى الأراضي الإسلامية حتى عم الرخاء وفاضت الأرزاق[2].

كذلك كان يهدف من هذا التدمير كشف مواقع النصارى لجيش المسلمين، وعدم إيجاد أماكن للاختباء أو الكمين بما يسمى **(سياسة الأرض المحروقة).**

2- **اعتاد المنصور يعقوب الخروج صباح كل يوم للإغارة على شريش وأحوازها، وفي أحد الأيام جلس ولم يخرج صباحاً: خدعة** استخدمها المنصور يعقوب من أجل أن يطمئن النصارى ويخرجوا من حصونهم إلى أراضيهم وزروعهم، وهذا ما كان حيث خرج النصارى ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة، فكمن لهم فرسان المنصور وأغاروا عليهم وهم في حالة من دعة وراحة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وغنموا الأموال[3].

3- **الاستدراج والكمين: خدعة** استخدمها المسلمون في معاركهم بشكل كبير نستدل على ذلك من خلال قيام قوة من الجيش قوامها ألف فارس بمهاجمة إشبيلية، استقرت القوة بين جبال الرحمة[4] وإشبيلية في كمين حتى ارتفعت الشمس، ثم تشاور قادة الجيش فكان الراي أن تُغيرَ نصف القوة ويبقى النصف الآخر في مكانه ثم يتحرك بعد مسير القوة الأولى بفارق زمني قليل، كان الهدف من ذلك خداع النصارى بقلة عدد المسلمين فيغروهم بمهاجمتهم حتى إذا ما اشتبك الفريقان وصل بقيت الجيش، وبالفعل جرت وفق خطة المسلمين، فعندما رأى النصارى طلائع الجيش الإسلامي، دبَّ الرعب في قلوبهم، وتركوا ساحة المعركة فارين باتجاه المدينة، فلحق بهم المسلمون وقتلوا منهم الآلاف وأسروا أعداداً كبيرة[5] فكان للكمين والاستدراج دور كبير في تحقيق هذا الفوز والغلبة على أعداء الله.

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص341؛ حسن: دولة بني مرين، ص179.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص342.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص342.

(4) جبال الرحمة: تقع على ساحل البحر بالقرب من إشبيلية وشرق بجاية، وتشتهر بخصوبة أرضها ومن أفضل محاصيلها التين بأنواعه والقطن. بن سعيد : الجغرافيا، ج2، ص36.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص343.

كذلك تكرر الأسلوب نفسه في غزوة قرمونة[1]، وكذلك تكرر في إحدى الهجمات على شريش[2]، وهذا يدلل على الأسلوب المتبع في غزوات بني مرين في الأندلس وهو أسلوب الاستدراج والكمين والذي حقق من خلاله قادة بني مرين العديد من الانتصارات والغلبة على النصارى.

4- **إشعال النيران حول البروج: خدعة** استخدمها المسلمون في هجماتهم على البروج التي كانت تمتنع عليهم، حيث اتبع قادة بني مرين أسلوب إشعال النار حول هذا البروج فيجتمع على من في البرج حر الصيف ولهيب النار وتبقى هذه النار مشتعلة يوماً ويومين حتى يتوهم النصارى أن النار ستلتهم أبراجهم وقلاعهم فيبادروا بالاستسلام[3].

5- **بث الجواسيس: خدعة** استخدمها المنصور يعقوب من أجل تسمُّع أخبار النصارى ومعرفة أحوالهم والوقوف على تجهيزاتهم، فأرسل لهذا الغرض فرقة ومعها عدداً من يهود ونصارى الأندلس وذلك لمقدرتهم على دخول المدن والحصون والقلاع بكل سهولة لكونهم من أهلها، وبدون ذلك ما كان للمسلمين أن يعرفوا أخبار النصارى[4]. كذلك كان من أسلوب المرينيين في القتال إرسال الفرق الاستطلاعية إلى المكان المستهدف بالغزو، وذلك ليتعرفوا على جغرافية المكان ويعاينوا أماكن الضعف والخلل كي ينتصروا بأقل الخسائر ويؤدّوا مهمتهم عن خبرة ودراية[5].

6- **توزيع الجيش إلى فرق وانتشارها على القرى والمدن والبروج والقلاع والحصون: خدعة** أراد منها المنصور يعقوب الحصول على قدر كبير من الإنجازات والإيذاء والنكاية لأعداء الله في أقل وقت وبثّ الرعب والتدمير والخراب على أكبر بقعة وكان الذي يغزو الأراضي النصرانية عدة جيوش، حيث كانت توزع المهام على الفرق ثم تنتشر، ثم تعود إلى مكان قيادة الجيش لتقدم تقريرها وإنجازاتها في أرض العدو ثم تكلف بمهمة أخرى **وهكذا حتى انتهت مهمة الجواز الرابع للأمير المنصور يعقوب بإنجازات باهرة.**

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص345-346.

(2) حيث خرج القائد عياد العاصمي في فرقة من الجيش حتى وصل إلى حفير شريش فطلب من الجيش الكمين في المكان ثم خرج هو وأربعة من الفرسان وبيدهم راية الجيش المريني حتى وقفوا على باب مدينة شريش، فخرج إليهم قوة من جيش النصارى ففروا أمامهم حتى تجاوز الحفير وهناك خرج من ورائهم من كان في الكمين وقتلوهم عن آخرهم. ابن أبي زرع: الأنيس، ص356.

(3) تكرر هذا الفعل مع برج في قبلة إشبيلية، وبرج مشقريط، وحصن الوادي، وحصن شلوقة. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس، ص349-355.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص356.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص342.

الهجوم على غرناطة:

بعد وفاة الأمير المنصور يعقوب تولى الأمر من بعده ابنه الناصر يوسف بن يعقوب الـذي استكمل مسيرة والده في الجهاد، وحقق بعض الإنجازات العسكرية والانتصارات الجزئية حيث عبر بنفسه إلى الأندلس[1]، وأحياناً أخرى كلف قادته وجنده المتواجدين في الجزيرة الخضـراء بالقيـام بمهاجمة أراضي النصارى[2]. ولكن انشغال المرينيين في أوضاعهم الداخلية جرَّأ النصارى علـى الأراضي الإسلامية، الأمر الذي دفع حاكم غرناطة بالاستنجاد بالمرينيين لصد هجمات النصـارى المتكررة على الأراضي الإسلامية حتى وصل بهم الأمر حشد قواتهم والهجوم على غرناطة وذلـك عام 719هـ/1319م، حيث شارك في الهجوم خمسة وعشرون ملكاً بكامل قواتهم وعتادهم وأقواتهم وآلات الحصار، حيث نزلوا على بعد عشرة أميال من غرناطة فملأت جيوشهم المكان وفي صباح يوم الخامس عشر من ربيع الآخر بدأت المناوشات بين حشود النصارى والقوات الإسلامية فمكـن الله للمسلمين ونصرهم نصراً مؤزراً، وهزم النصارى شر هزيمة وقتل منهم أكثر من خمسين ألفـاً من بينهم الملوك الخمسة والعشرين وأسر قرابة السبعة آلاف من بينهم زوجة ملك قشـتالة وأولاده، وكعادتهم بعد كل هزيمة يطلب النصارى الصلح والهدنة ويوافقهم المسلمين على ذلك[3].

لصد هجوم النصارى الرهيب على غرناطة استخدم جند الإسـلام عـدداً مـن الخـدع ليتمكنوا من الانتصار ودحر العدو عن مدينتهم وتمثلت هذه الخدع في الآتي:

1- **في بداية المعركة تقدمت قوة من النصارى باتجاه مدينة غرناطة كجس نبض،** رصد المسلمون حركتهم فخرجت لهم قوة من جند المسلمين وكمنت لهم حتى تقدمت القوة وأصبحوا بين المدينة والكمين فخرج لهم المسلمين بعد أن عزلوهم عن بقية الجيش النصراني وقتلوهم جميعاً فشـكل ذلك دافعاً قوياً للمسلمين ورفع من معنوياتهم ومثَّل ذلك لهم أولى بشريات الانتصار[4].

2- **قتال العدو يوم عيدهم: خدعـة** استخدمها المسلمون وذلك لانشغال النصارى بالعيد، حيث خرج عثمان بن أبي العلاء[5] على رأس خمسة آلاف مقاتل سالكين طريق الجبل؛ ليكونوا بعيدين عن

(1) سجل للأمير الناصر يوسف عبور واحد إلى الأندلس وذلك لانشغاله بأوضاعه الداخلية في المغـرب. ابـن خلدون: تاريخ، ج7، ص215.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص380؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص70؛ عنان: دولة الإسلام، ج7، ص109.

(3) للمزيد: النويري: نهاية الأرب، ج32، ص240؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص45؛ الناصري: الاستقصـا، ج3، ص109.

(4) النويري: نهاية الأرب، ج32، ص240.

(5) عثمان بن أبي العلاء: (أبو السعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق المرينـي) تـولى مشيخة الغزاة في الأندلس، وبلغت غزواته سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة، توفى يوم الأحد 2 ذو الحجة عام 730هـ/1330م عن عمر ناهز على ثمانية وثمانين سنة. ابن الخطيـب: الإحاطـة، ج1، ص203 ومـا بعدها؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص453.

عين العدو وحتى يأخذوهم فجأة، وعندما وصلوا إلى مكان قريب من العدو، خرج إليهم وزير الملك طالباً منهم الرجوع وعدم القتال؛ لأنه يوم عيدهم، فرفضوا وأصروا على القتال، فحمل العدو على المسلمين، والتحم الجيشان وعندها وصلت بقية جيش المسلمين، وطلب منهم أبو العلاء التوجه إلى طرف معسكر الأعداء الأمر الذي ترتب عليه خلل في صفوف العدو وإرباك شديد حيث مالوا للدفاع عن معسكرهم فلحقهم المسلمون يضربون ظهورهم بالسيوف حتى انهزموا[(1)].

3- **أوهم صاحب أحد حصون غرناطة النصارى أنه يريد تسليم الحصن** بشرط بقاء المسلمين فيه، فأجابه النصارى لذلك فطلب منهم أن يرسلوا له خمسمائة فارس من شجعانهم في منتصف الليل، فبعثهم النصارى إليه، وعند وصولهم فرَّقهم صاحب الحصن ثم قتلهم جميعاً دون أن يشعر بعضهم ببعض[(2)].

4- **الاستدراج والكمين: خدعة** استخدمها المسلمون لمواجهة الحشد العظيم للنصارى في مهاجمة غرناطة، حيث خرجت قوة من جيش المسلمين، وهاجمت جيش النصارى وفي الوقت نفسه انتشرت أكثر من قوة في أكثر من اتجاه، وعند بدء القتال تراجع المسلمون باتجاه المدينة استدراجاً، فلحق بهم النصارى وعند تجاوز الكمناء خرجوا عليهم من جميع الاتجاهات وعطفت عليهم القوة المتراجعة وصاحب ذلك تكبير وتهليل مما أثار الرعب في قلوب النصارى ومكن الله المسلمين من رقابهم[(3)].

5- **قتل قائد الجيش: خدعة** استخدمها المسلمون لتشتيت النصارى وتمزيق قوتهم وتبديد خططهم، حيث كان القائد العام لجيش النصارى بجانب الملوك الخمسة والعشرين **(**الدون جوان وبطرة أبناء شانجة**)**، فجرى التركيز عليهم أثناء القتال حتى تمكن المسلمون منهم وكان من أوائل القتلى في المعركة ثم تتابع قتل الملوك الخمسة والعشرين الأمر الذي أثار فزع جند النصارى فولوا أدبارهم وتركوا مواقعهم فحلت بهم الهزيمة[(4)].

وهكذا تمكن المسلمون بالمكر والخداع والحيلة من الانتصار على الحشود الضخمة للنصارى حيث أن القدرة البشرية تضعف عن مقاومة هذه الحشود للنصارى، بهذه القلة القليلة من جند الإسلام بدون ذلك بعد الاتكال على الله عز وجل.

---

(1) النويري: نهاية الأرب، ج32، ص241.

(2) النويري: نهاية الأرب، ج32، ص242.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج32، ص243.

(4) الطرطوسي: تحفة الترك، ج1، ص10؛ ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص231.

استعادة جبل الفتح والسيادة على البحر:

كان لسقوط جبل الفتح في يد النصارى أثر كبير في نفوس الغرناطيين والمرينيين على حدٍ سواء، حيث عمل الطرفان على استعادة جبل الفتح، حيث أرسل السلطان أبو الحسن علي المريني[1] قوة قوامها خمسة آلاف مقاتل لمساعدة الغرناطيين على قتال الحامية النصرانية على جبل الفتح وبالفعل تمكن المسلمون من استعادة الجبل أواخر عام 733هـ/1333م فعملوا على تحصينه حتى لا يتمكن النصارى من السيطرة عليه مرة أخرى[2].

وأعقب ذلك صلحاً بين المسلمين والنصارى حتى عام 740هـ/1339م حيث أصدر المنصور أبو الحسن علي أوامره لقواته بمهاجمة القوات النصرانية المتواجدة بالقرب من الجزيرة الخضراء الأمر الذي دفع النصارى لحشد قواتهم البحرية وقطع الطريق على القوات الإسلامية المتوغلة في الأراضي القشتالية وألحقوا بها هزيمة كبيرة[3].

نتيجة لهذه الهزيمة قرر المنصور أبو الحسن الاستعانة بأسطول تونس، وحشد كل ما لديه من قطع بحرية والتي بلغ قوامها مائة قطعة بحرية، وتوجهت لملاقاة الأسطول النصراني الذي توحدت فيه قشتالة وأراجون، والتحم الفريقان في معركة بحرية ترتب عليها غرق الأسطول الأراجوني ومقتل قائده، وسيطرة المسلمين على مضيق جبل طارق، كان ذلك في شوال 740هـ/ آذار 1340م[4].

وفي أواخر عام 740هـ/1340م جهز المنصور أبو الحسن علي أسطولاً بحرياً قوامه مائة وأربعين قطعة بحرية، وتوجَّه لاستعادة مدينة طريف من النصارى ولكن توحدت جيوش النصارى لمواجهة الخطر الإسلامي وتمكنوا من هزيمة المسلمين بعدما كان النصر في بداية المعركة لصالحهم **وذلك بحيلة استخدموها حيث تسلَّلوا ليلاً** إلى معسكر المسلمين وقتلوا حاميته وأشعلوا النيران فيه، وفي الوقت نفسه هاجمت قوة أخرى مؤخرة الجيش الإسلامي مما أحدث إرباك كبير في صفوف المسلمين؛ ليتحول النصر إلى هزيمة كان ذلك في جمادى الآخرة 741هـ/تشرين ثاني 1430م[5].

---

(1) السلطان أبو الحسن علي المريني: (أبو الحسن، علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني) يلقب بالمنصور، يعرفه العامة بالسلطان الأكحل لسمرة بشرته، وأمه حبشية، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عام 731هـ/1330م، ويعتبر من أفخم وأعظم ملوك بن مرين. كانت وفاته في 752هـ/1351م. الأعلام: الزركلي، ج4، ص311.

(2) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص255؛ عنان: دولة الإسلام، ج7، ص124.

(3) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص260.

(4) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص261؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص135؛ جوليان: تاريخ، ج2، ص23.

(5) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص261؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص136؛ جوليان: تاريخ، ج2، ص23.

بعد هذه الغزوة دخلت مملكة غرناطة في صلح مع مملكة قشتالة وقد بورك الاتفاق من دولة بني مرين، وبقيت العلاقة المرينية النصرانية يسودها الهدوء باستثناء بعض المناوشات والمكائد حتى تمكن النصارى من السيطرة على جبل الفتح من جديد عام 867هـ/1463م؛ ليشكل ذلك استشراف وإرهاص بانقطاع الجهاد المريني بل المغاربي ضد النصارى في الأندلس وترك مملكة غرناطة لمصيرها في مواجهة الممالك النصرانية(1).

في هذه الجولة من جولات الصراع المريني النصراني استخدم المسلمون حيلاً ومكائداً وخدعاً ضد النصارى تمثَّلت في:

1- **فصل أسطول أراجون عن أسطول قشتالة: خدعة** استخدمها المسلمون من أجل أن يتمكنوا من السيطرة عليهم وحتى يربكوا حسابات النصارى ويبطلوا خططهم وبالفعل تمكن المسلمون من إغراق كامل لقطع الأسطول الأراجواني.

2- **قتل قائد الأسطول: خدعة** استخدمها المسلمون؛ ليفقدوا النصارى السيطرة ويحبطوا من عزائمهم، عندما يعلمون بمقتل قائدهم ويقاتلون متفرقين ومشتتين لفقدانهم القائد فيولوا هاربين منهزمين.

3- **استخدام سلاح غريب: خدعة** أراد منها المسلمون إرباك حسابات النصارى حيث كان هذا السلاح عبارة عن مدفع يرمي كرات نارية لمسافات بعيدة(2).

---

(1) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص262-263؛ الناصري: الاستقصا، ج4، ص98.

(2) للمزيد: عنان: دولة الإسلام، ج7، ص127-128.

ثانياً- مملكة غرناطة:

في عام 635هـ/1237م تمكن محمد بن يوسف بن الأحمر[1] من الاستقلال بغرناطة عن جسم الدولة الموحدية؛ لينسلخ بذلك آخر معاقل الموحدين في الأندلس[2]، في ظل السقوط المتتابع لمدن الأندلس في الشمال والشرق والغرب تحت سيطرة النصارى، وبقيت مملكة غرناطة ملجأً وملاذاً أخيراً للعرب والمسلمين، حيث فضَّل الكثير من المسلمين الهجرة إلى مملكة غرناطة على الخضوع لسلطة النصارى؛ ليبدأ بذلك الفصل الأخير من تاريخ المسلمين في الأندلس كما يقول ابن خلدون: "لجأ المسلمون إلى سيف البحر معتصمين بأوعاره من النصرانية"[3].

حكم بنو الأحمر مملكة غرناطة منذ تأسيسها واستمر حكم هذه الأسرة لمدة ما يقارب من قرنين ونصف إلى أن سقطت غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس تحت حكم النصرانية سنة 897هـ/1492م[4].

الأعمال الجهادية لمملكة غرناطة:

منذ نشأة مملكة غرناطة كانت أعمالها العسكرية تتم بمشاركة الجيوش المرينية، وقلَّما أن تقوم بعمل عسكري منفرد، وذلك لعدم مقدرتها على مواجهة الجيوش النصرانية، لذلك نجد النصارى عندما ضعفت دولة بني مرين استأسدوا وتغوَّلُوا على مملكة غرناطة، وألزموها بدفع جزية سنوية لم تتحرر منها إلا بتولِّي السلطان أبي الحسن علي بن سعد[5]، الذي رفض دفع الجزية للنصارى قائلاً لسفيرهم الذي جاء لاستلام الجزية: "إنَّ الذي كان يعطي الجزية -يقصد والده- قد مات وعُمَلَتنا اليوم هي حد الأسِنَّة ورؤوس الرماح"[6]، فبات من الواضح أنَّ مملكة

(1) محمد بن يوسف بن محمد الأحمر: يكنى أبو عبد الله، ولقب بالغالب بالله، ويقال له محمد الشيخ، يعتبر مؤسس دولة بني الأحمر في الأندلس وتعرف أيضاً بالدولة النصرية نسبة لجدهم آل نصر، بويع من قِبَل جماعته عام 629هـ/1231م، وكانت وفاته في 671هـ/1273م. الأعلام: الزركلي، ج7، ص151.

(2) الناصري: الاستقصا، ج3، ص37.

(3) ابن خلدون: تاريخ، ج7، ص252.

(4) أرسلان: خلاصة تاريخ، ص103 وما بعدها.

(5) أبو الحسن علي بن سعد: تلقَّب بالغالب بالله، أحد ملوك بني نصر في الأندلس، كانت وفاته في 890هـ/1485م، اختلف في نسبته إلى جده فمن المؤرخين من يجعل جده علي ومنهم من يجعله محمد ومنهم من يجعله إسماعيل. الزركلي: الأعلام، ج4، ص290.

(6) ايرفنغ: أخبار، ص71.

غرناطة ستدخل في حرب قاسيةٍ مع النصارى ربما تُكلِّفها وجودها، ولكن انشغال قِشتالة بحرب البرتغال جعلها تؤجِّل الانتقام منه إلى وقت آخر[1].

فافتتح السلطان أبو الحسن الحربَ على النصارى، وهاجم قلعة الصخرة وخاض معهم عدة مواجهات، انتصر في بعضها وهُزِم في أخرى، ولكن سرعان ما ترك أبو الحسن الجهاد والقتال مُغترَّاً بملكه وكثرة جنده، يقول المقري: "واستقلَّ أبو الحسن بمُلْك ما بقي بيد المسلمين في بلاد الأندلس، وجاهد المشركين، وافتتح عدة أماكن، ولاحت له بارقة الكَرَّة على العدو الكافر، وخافوا منه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه، فأجمع على عرضها كلها بين يديه"[2] أمام هذا الغرور والعُجب بما هو عليه، ظن أن النصارى لن تغزو بلاده لعجزهم عن ذلك لقوته وعدم مقدرتهم على منازلته؛ ولأن بلادهم غرقت في الفتن والمشاكل، وكان يظن أنها لن تنقضي[3]، ولكن النصارى سرعان ما تغلَّبوا على مشاكلهم؛ ليوحدوا جهودهم في مهاجمة غرناطة والسيطرة على حصونها وبدءوا ذلك بالسيطرة على حصن الحامة عام 887هـ/1482م، في هذا العام أيضاً حاول النصارى السيطرة على أكثر من مكان في مملكة غرناطة[4]، ولكن المسلمين تمكنوا من صدهم والوقوف في وجههم، وإحداث مقتلة عظيمة في جندهم، ولكن النصارى في مواضع أخرى تمكنوا من التضييق على المسلمين، وإخراجهم من عدد كبير من الحصون والقرى[5] من أجل أن يحكم قبضته على مملكة غرناطة ويجبرها على الاستسلام، وإلى جانب ذلك عمل النصارى على إشعال نار الفتنة بين المسلمين وتقسيم صفهم بأن يمنحوا الأمان للبعض ويرفضوا إعطائه للآخرين[6]، وحاول فقهاء

(1) أرسلان: خلاصة تاريخ، ص237.

(2) المقري: نفح الطيب، ج4، ص511.

(3) المقري: نفح الطيب، ج4، ص512؛ أرسلان: خلاصة تاريخ، ص239.

(4) هذه الأماكن هي: لوشة، ومالقة، وبلش. للمزيد: المقري: نفح الطيب، ج4، ص514.

(5) من هذه الأماكن: رنده حيث هدم أسوارها وأخرج أهلها، وكذلك فعل في حصن قنبيل، واستولى على حصن مشاقر، واللوز، وبلش، ومدينة البيرة، وقلنبيرة، وحصن المتلين، ومنت فريد، والصخرة. للمزيد: المقري: نفح الطيب، ج4، ص516-518.

(6) ظل العدو يسالم مملكة غرناطة تارة، وينقض عليها تارة أخرى. وفي عام 880هـ/1475م قامت فتنة كبرى بين أبي عبد الله وأخيه أبي الحسن على الرئاسة والملك، جرَّت في أذيالها على المسلمين الخراب والدمار، وأخيراً تنازل أبو الحسن لأخيه عما أراد. وفي إحدى المعارك مع النصارى ألقى القبض على أبي عبد الله ابن أخ الملك أبي عبد الله، ثم فك العدو سراحه ومناه ووعده بالتأييد إذا هو قام بمحاربة عمه السلطان أبي عبد الله. وهكذا حصلت فتنة جديدة بين العم وابن الأخ، فكان ذلك من أعظم الأسباب التي ساعدت العدو على التأجيل بتحقيق أمله. وتمكن ابن الأخ من الدخول إلى غرناطة، بسبب تواطؤ بعض رجالها ومساعدة العدو النصراني وذلك في الوقت الذي كان عمه غائباً عن المدينة، يحارب أعداء الإسلام، وفي تلك الأثناء تقدم النصارى إلى مالقة واستولوا عليها، بعد دفاع أهلها دفاع الأبطال، وذلك سنة 892هـ/1486م. للمزيد انظر: المقري: نفح الطيب، ج5، ص518؛ محمد، الرحماني: المفيد، ص176.

المسلمين وعلماؤهم أن يجمعوا الكلمة من جديد ويجعلوا مدن المملكة تتَّحد صفوفها في مواجهة أعداء الله، ولكن هذه الجهود لم تمنع النصارى من السيطرة على مدينة "ملش" ومدينة "مالقة" عام 892هـ/1486م وغيرها من الحصون والقلاع[1] تمهيداً للسيطرة على غرناطة آخر القلاع الإسلامية في الأندلس، والتي سقطت دون أن تجد لها من ينقذها وذلك في الثاني من ربيع أول عام 897هـ/ 2 يناير 1492م[2]؛ لينتهي بذلك مجد الإسلام وعز المسلمين في تلك الديار الغالية والفردوس المسلوب.

الخدع العسكرية في أواخر عهد مملكة غرناطة:

لقد كانت غالبية أعمال دولة بني الأحمر في الأندلس بعد ضعف دولة بني مرين يغلب عليها الدفاع أكثر من الهجوم، **لذلك قلَّت الخدع في هذه الفترة ولكن نستطيع أن نخرجَ ببعضها والتي تمثلت في:**

1- **عند مهاجمة المسلمين حصن الحامة** لإخراج من به من النصارى، استغل المسلمون أعياد الميلاد عندهم وتسوَّرا عليهم الأسوار ليلاً، وهم في غفلة من أمرهم وأعملوا فيهم السيف وسيطروا على الحصن بالرغم من حصانته ووجوده على قمة جبل وليس له إلا طريق واحد منحوت في الصخر، لذلك ما كان لهم أن يدخلوه بغير هذه **الحيلة** وتلك الظروف[3].

2- **قطع الماء عن حصن الحامة: خدعة** استخدمها المسلمون لإخضاع الحصن عام 787هـ/1385م، إذ لم يكن للحصن عيون وآبار وكانت طريقة تحصيله للماء عبر قناة تأتيه من نهر، فأغلق المسلمون القناة وأداروا مياه النهر عن الحصن فاشتد العطش بمن في الحصن، وطلبوا تسليم الحصن[4]، فما كان للمسلمين أن يُخضعوا هذا الحصن بغير هذه الطريقة وذلك لحصانته ووعورة طريقه.

3- **عند حصار مدينة بسطة**[5] عام 894هـ/1488م والذي استمر ثلاثة شهور وقد ضيَّق النصارى على المدينة حتى قلَّت الأقوات في المدينة، وافق سكان المدينة على تسليمها صلحاً، ولكن النصارى رفضوا إلا أن يدخلوها عُنوةً وبالسيف، لأنهم ظنوا أن الطعام لم يبق

(1) حين سيطر النصارى في عام 895هـ/1489م على مدن بسطة، وادي أش، والمنكب، والمرية، والبشرات ولم يبقى إلا غرناطة وقراها. المقري: نفح الطيب، ج4، ص522.

(2) كان دخول غرناطة صلحاً وبناءً على شروط وضعها المسلمون كما يقول المقري بلغت سبعةً وستين شرطاً. للمزيد انظر: نفح الطيب، ج4، ص524-525؛ زبيب: الموسوعة، ج3، ص124.

(3) أرسلان: خلاصة تاريخ، ص237، 238.

(4) المقري: نفح الطيب، ج4، ص513؛ أرسلان: خلاصة تاريخ، ص240.

(5) بَسطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان ينسب إليها المصلبات البسيطة. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص422.

منه شيء لذلك لجأ حاكم المدينة إلى **حيلة** و**خدعة تُجبر** العدو على القبول بشروط المسلمين، حيث قام بتجميع جميع أنواع الطعام الموجودة في المخازن وعند الناس وجعلها في الأسواق، وأظهر للعدو القوة بالرغم أنهم في غاية الضعف وأدخلوا وفد النصارى الذي جاء للتفاوض في الأسواق؛ ليطلع على ما عند المسلمين من طعام عندها اضطر النصارى لإعطائهم الأمان لما عاينوه من وجود طعام وقوة بأس[1]، وبذلك تمكن المسلمون أن يجنبوا أنفسهم القتل والتدمير بهذه **الحيلة** و**الخدعة**.

4- **الاستدراج والكمين: خدعة** استخدمها المسلمون عند محاولتهم السيطرة على مدينة لوشة[2] وذلك في 26 جمادي الأولى عام 887هـ/ 13 تموز عام 1482م، حيث لجأ حاكم المدينة[3] لصد هجومهم ومنعهم من السيطرة على مدينته **بالحيلة** و**الخدعة** حيث أرسل ثلاثة آلاف من جنده في الليل، وكمنوا وراء الجبال دون أن يشعر بهم العدو، وفي الصباح خرج هو بجيشه وهاجم مواقع النصارى فثاروا في وجهه، فانهزم أمامهم **خديعة واستدراجاً** لهم، فطاردوه حتى تجاوزوا الكمين، خرج عليهم جند المسلمين رافعين الصوت بالتكبير والتهليل فأصبحوا بين **(فكي كماشة)** إسلامية وأحدثوا فيهم مقتلة عظيمة، ورجعوا عن مدينة لوشة حيث ما كان للمسلمين أن ينتصروا بغير **المكر** و**الخداع** وذلك لكثرة الجيش المهاجم للمدينة[4].

5- **عقد الصلح والمهادنة: خدعة** لجأ إليها ملوك غرناطة في أوقات ضعفهم وعدم مقدرتهم على صد هجمات النصارى، ومن أجل أن يأخذوا قِسطاً من الراحة لجندهم وشعبهم ويعملوا على إعادة ترتيب قواتهم وتحصين مواقعهم وتفرغا للإعداد والأهبة.

6- **تخريب الجزيرة الخضراء: خدعة** لجأ إليها المسلمون حتى لا يستقر فيها النصارى؛ لأن وجود النصارى فيها كان يُشكِّل خطراً على مملكة غرناطة بأسرها ويمنع التواصل مع بلاد المغرب لذلك لجأ المسلمون إلى هدمها وتخريبها لعدم مقدرتهم على حمايتها وحتى لا يرجع إليها النصارى[5].

وهكذا تمكَّن حكام غرناطة من الحفاظ على مملكتهم قُرابة المائة عام بعد توقف مساندة جيوش المغرب لهم، وذلك باستخدامهم الحيلة والمكر والخداع والذي شكَّل الصلح والمهادنة والسلم عنصراً كبيراً فيه وذلك لضعف قوتهم اضطروا لقوة حيلتهم.

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج4، ص521.

(2) لوشة: مدينة بالأندلس من أقليم البيرة، وبها جبل فيه غار، ويقال إنها مدينة أهل الكهف. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص513.

(3) حاكم المدينة هو علي العطار والد زوجة أبي عبد الله ابن السلطان أبو الحسن علي بن سعد. أرسلان: خلاصة تاريخ، ص245.

(4) المقري: نفح الطيب، ج4، ص514؛ أرسلان: خلاصة تاريخ، ص246.

(5) أرسلان: خلاصة تاريخ، ص155.

الخاتمـــة

ونتائـج البحـث والتوصيـات

أولاً: الخاتمة والنتائج:

تم بفضل الله وكرمه وعونه وامتنانه، الانتهاء من هذا البحث، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها:

- إن نصوص القرآن الكريم وأحاديث المصطفى (ﷺ) وأفعال الصحابة الكرام وأقوال العلماء الأبرار وترجيحات العقل السليم تؤكد على الأخذ **بالخدع** و**الحيل** العسكرية في مواجهة أعداء الأمة.
- إن استخدام **الخدع** العسكرية في الحرب يشكل عنصراً رئيساً في حسم المعركة في أسرع وقت وبأقل الخسائر البشرية والمادية ويمثل استخدامها ضمان كبير لحقن الدماء وسلامة الأوطان، ويعالج الفروق بين الجيوش في العدد والعتاد.
- إن استخدام **الخدع** العسكرية في الحرب قديماً وحديثاً يعتبر جزءاً رئيساً في خطة القتال لأي قائد يريد حسم المعركة لصالحه، فالقائد الأقدر على استخدام **الحيل** والأسبق على تدبيرها يكون الانتصار حليفه.
- إن **للخدع** العسكرية أنواعاً وأشكالاً متعددة، وهي غير محدودة بزمان أو مكان، وقد تكون قبل المعركة أو أثنائها أو بعدها، الأمر الذي يتطلب حنكة وفطنة من القائد وتقدير الموقف والظرف لتدبير أنجع **الخدع**.
- إن استخدام **الخدع** العسكرية ليس حكراً على المسلمين فقد يلجأ أعداؤنا إلى استخدام **الحيلة** و**المكر** و**الخداع** لتحقيق أهدافهم لذا وجب على القائد أن يكون قادراً على كشف هذه **الحيل** وإفشالها.
- إن تدبير **الخدع** العسكرية يحتاج من القائد خبرة ودراية بطبيعة وجغرافية ومكان المعركة وقدرات وإمكانيات العدو وعدد جنوده.
- إن استخدام **الخدع** العسكرية ليس معناه التخلي عن الإعداد بل هي جزء من الإعداد الذي أمرنا به الله عز وجل؛ لأن **الخدعة** يجب أن يلازمها قوة وإعداد.
- إن القوة أداة **للحيلة** لأن القوة محدودة منا ومن عدونا، أما **الحيلة** فغير محدودة ولا محصولة، فالقوة موجودة الذات، و**الحيلة** موجودة الأثر، والقوة و**الحيلة** كالجسد والروح لا غنى لأحدهما عن الآخر فهما صِنوان لا ينفكان.

ثانياً: التوصيات:

لقد تبين للباحث من خلال دراسته لموضوع **الخدع** العسكرية للمسلمين في الأندلس أن هناك موضوعات جديرة بالبحث، وما تزال تخلو منها المكتبة العربية، وهي بحاجة إلى اهتمام وجهود الباحثين، **وهذه الموضوعات هي:**

1- **الخدع العسكرية** للمسلمين في عهد المماليك.

2- **الخدع العسكرية** للمسلمين في عهد الدولة العثمانية.

3- **الخدع العسكرية** للمسلمين في محاربة الصليبيين.

كذلك يوصي الباحث القائمين على المؤسسات الأكاديمية الأمنية منها والعسكرية لاعتماد مساق لتدريس منهج وفكر الخدع والحيل والمكر وذلك حتى تصبح ثقافة ومنهج عمل عند رجل الأمن والعسكر.

وختاماً فإني أحمد الله عز وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده مِلء الأرض والسماوات وملء ما بينهما الذي شرح صدري للبحث في هذا الموضوع، ووفقني على خوض غماره .. وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الملاحــق

ملحق رقم (1)

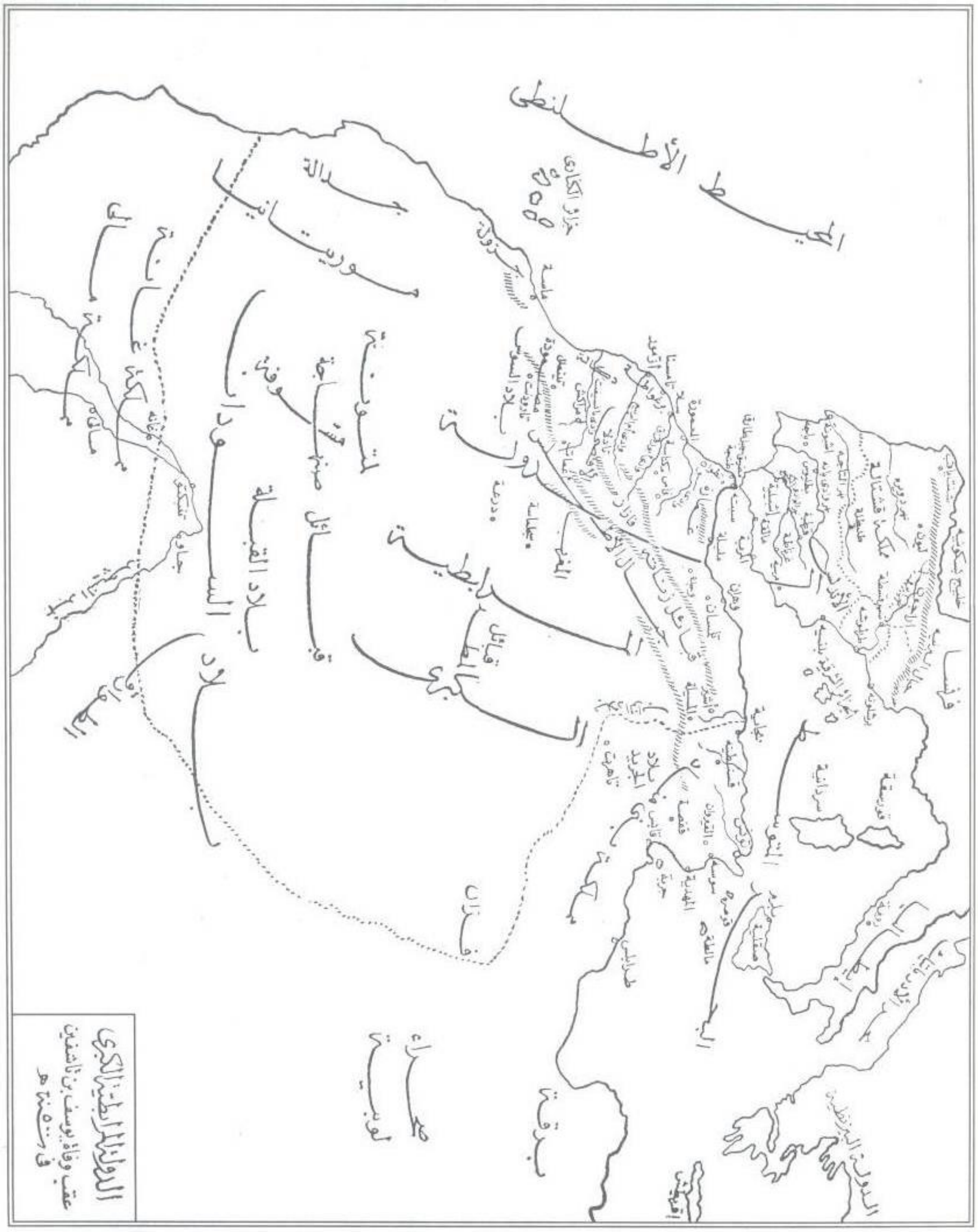
خريطة إسبانيا المسلمة (الأندلــس)(*)



(*) عنان: دولة الإسلام، ج1، ص1.

ملحق رقم (2)

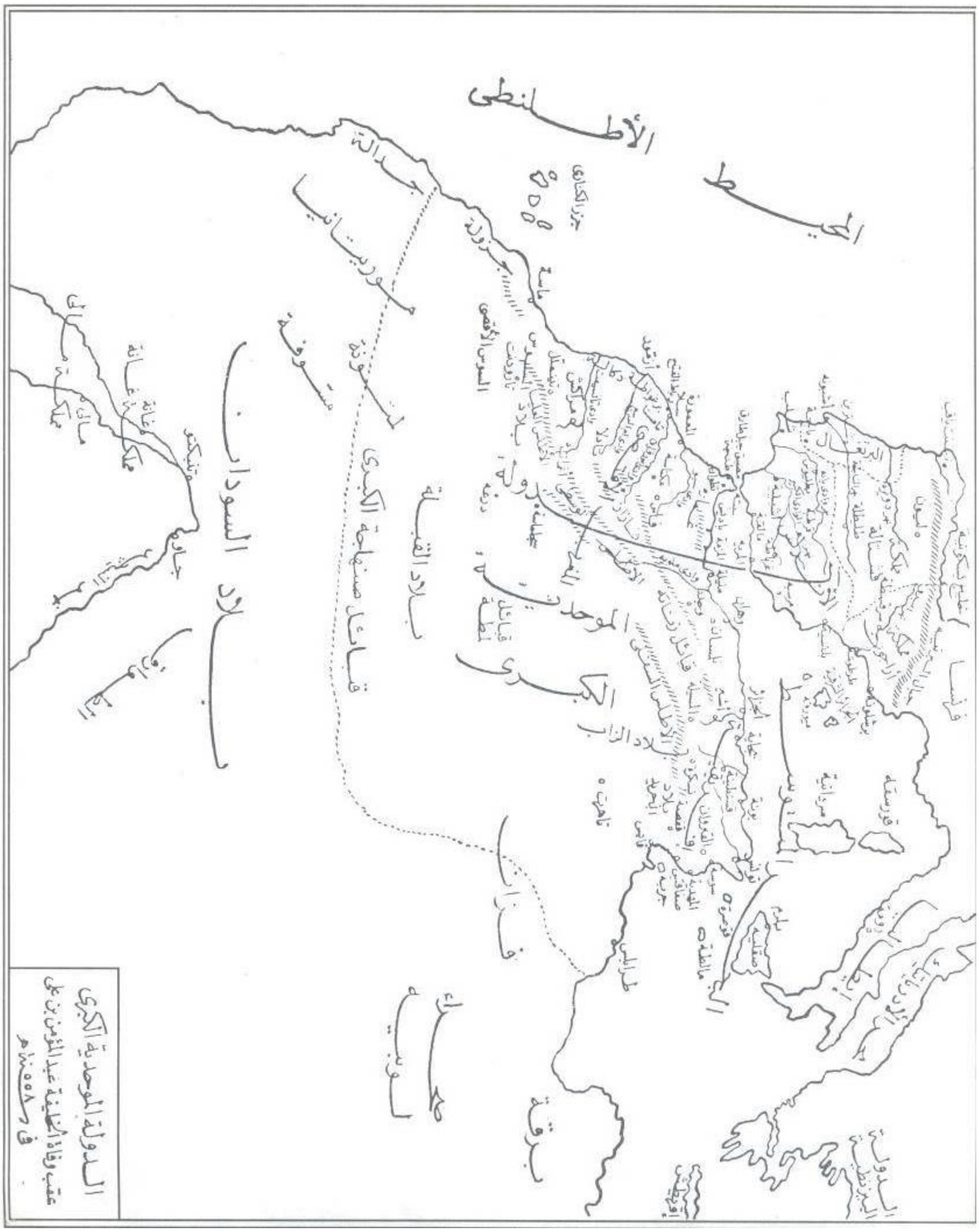
خريطة توضح الدولة المرابطية الكبرى عقب وفاة يوسف بن تاشفين في سنة 500 هجرية(*)



(*) عنان: دولة الإسلام، ج3، ص1.

ملحق رقم (3)

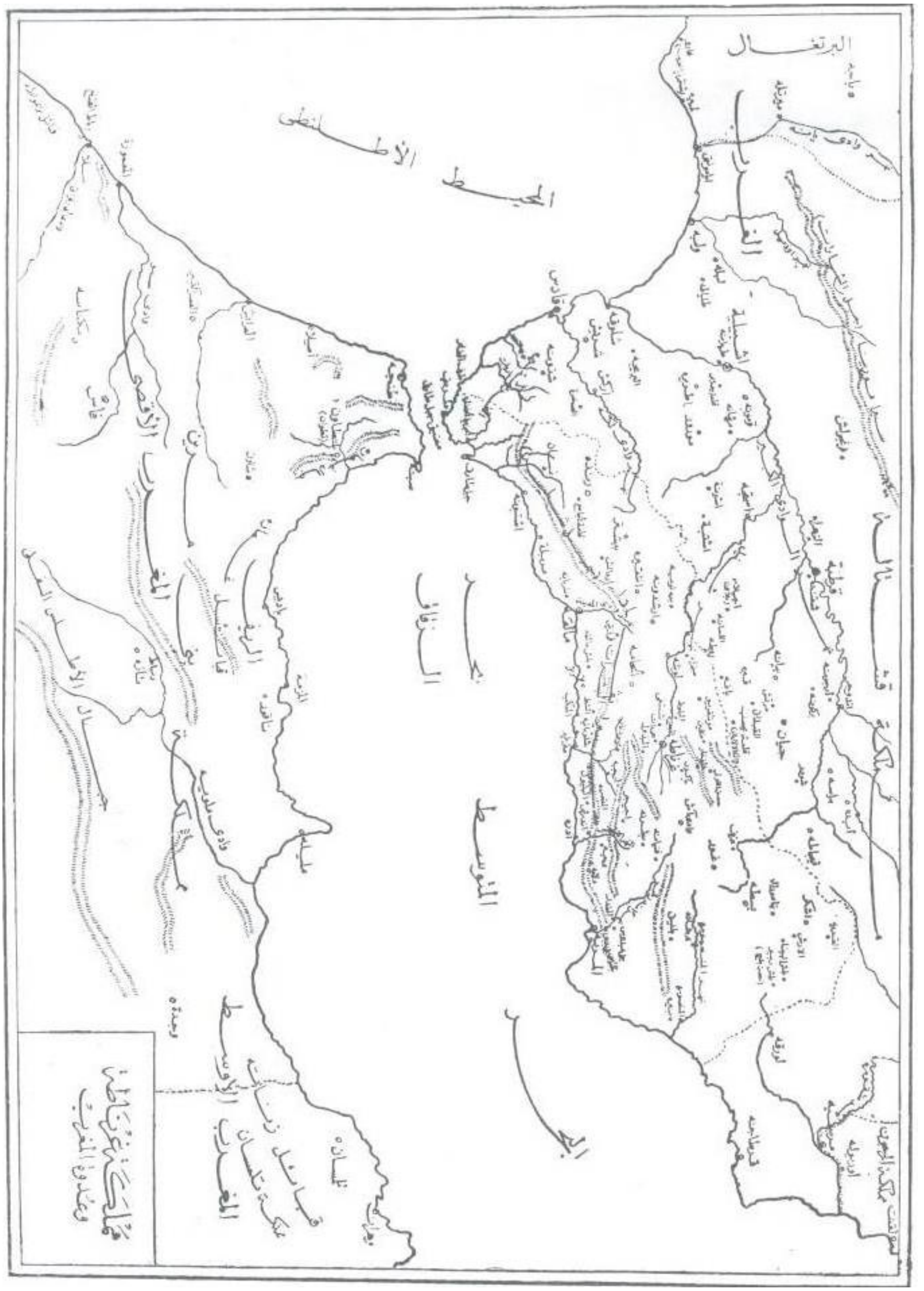
خريطة توضح الدولة الموحدية الكبرى عقب وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي في سنة 558 هجرية(*)



(*) عنان: دولة الإسلام، ج4، ص1.

ملحق رقم (4)

خريطة توضح مملكة غرناطة وعُدوة المغرب(*)



(*) عنان: دولة الإسلام، ج6، ص389.

ملحق رقم (5)

جدول يوضح أسماء ولاة الأندلس من ولاية عبد العزيز بن موسى

الرقم	الوالــــي	سنة التعيين هــ/م
1	عبد العزيز بن موسى بن نصير	95هــ/714م
2	أيوب بن حبيب اللخمي (ابن أخت موسى بن نصير)	97هــ/716م
3	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	97هــ/716م
4	السمح بن مالك الحولاني	102هــ/721م
5	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	102هــ/721م
6	عنبسة بن سحيم الكلبي	103هــ/721م
7	عذرة بن عبد الله الفهري	107هــ/725م
8	يحيى بن سلمة الكلبي	107هــ/726م
9	حذيفة بن الأحوص القيسي (الأشجعي)	110هــ/728م
10	عثمان بن أبي نسعة الحثعمي	110هــ/729م
11	الهيثم بن عدي (عبيد) الكلابي (الكناني)	111هــ/729م
12	محمد بن عبد الله الأشجعي	111هــ/730م
13	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي "ولايته الثانية"	112هــ/730م
14	عبد الملك بن قطن الفهري "ولايته الأولى"	114هــ/732م
15	عقبة بن الحجاج السلولي	116هــ/734م
16	عبد الملك بن قطن الفهري "ولايته الثانية"	123هــ/741م
17	بلج بن بشر بن عياض القشيري	124هــ/742م
18	ثعلبة بن سلامة العاملي	124هــ/742م
19	أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	125هــ/743م
20	ثوابة بن سلامة الجذامي	128هــ/746م
21	عبد الرحمن بن كثير اللخمي	129هــ/746م
22	يوسف بن عبد الرحمن الفهري	129هــ/747م

طارق بن زياد، وموسى بن نصير لم يعتبرا من الولاة بل فاتحين.

ملحق رقم (6)
جدول يوضح أسماء أمراء بني أمية في الأندلس

أمراء بني أمية يعود نسبهم إلى معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

الرقم	الوالـــي	سنة التعيين هــ/م
1	عبد الرحمن بن معاوية (الأول) الداخل	138هــ/756م
2	هشام بن عبد الرحمن (الأول)	172هــ/788م
3	الحكم بن هشام (الأول)	180هــ/796م
4	عبد الرحمن بن الحكم (الثاني)	206هــ/822م
5	محمد بن عبد الرحمن (الأول)	238هــ/852م
6	المنذر بن محمد	273هــ/886م
7	عبد الله بن محمد	275هــ/888م
8	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله "الثالث" (*)	300هــ/912م
9	الحكم الثاني بن عبد الرحمن (المستنصر بالله)	350هــ/961م
10	هشام بن الحكم الثاني (المؤيد)	366هــ/977م
11	محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي)	399هــ/1009م
12	سليمان بن الحكم بن سليمان (المستعين بالله) (**)	400هــ/1009م
13	عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (المستظهر) (***)	414هــ/1023م
14	محمد الثالث بن عبد الرحمن بن عبد الله (المستكفي بالله)	414هــ/1023م
15	هشام بن محمد بن عبد الله (المعتمد بالله) (****)	418هــ/1027م

(*) أول من أضاف إلى اسمه لقب الخليفة من أمراء البيت الأموي في الأندلس.

(**) استمرت ولايته سبعة أعوام وثلاثة أشهر ثم انقطع ذكر بني أمية على المنابر. المراكشي: المعجب، ج1، ص44.

(***) أعيد الأمر لبني أمية بعد انقطاع استمر لسبع سنوات.

(****) تم خلعه سنة 422هــ/1031م.

ملحق رقم (7)

جدول يوضح تقسيم الأندلس في عهد ملوك الطوائف(*)

#	الدولة	العاصمـــة	فترة الدولة	
1	دولة ابن عباد	أشبيلية	414-484هـ	1023-1091م
2	دولة بني جهور	قرطبة	422-449هـ	1030-1057م
3	دولة بني حمود	مالقة	407-449هـ	1016-1057م
4	دولة بني زيري	غرناطة	403-483هـ	1012-1090م
5	دولة بني هود	سرقسطة	410-536هـ	1019-1141م
6	دولة بني ذو النون	طليطلة	400-478هـ	1009-1085م
7	دولة بني الأفطس	بطليوس	413-487هـ	1022-1094م

(*) في عهد ملوك الطوائف قسمت الأندلس إلى سبعة أقسام، كل قسم يضم عنصراً من العناصر أو قبيلـــة مـــن القبائل العربية أو البربرية، بل إن كل قسم أو منطقة كانت مقسمة إلى تقسيمات أخرى داخلية حتى وصـــل عدد الدويلات الإسلامية داخل الأندلس إلى اثنتين وعشرين دويلة. (ابن الأثير: الكامل، ج8، ص107 ومـــا بعدها).

ملحق رقم (8)
جدول بأسماء أمراء دولة المرابطين

#	الاسم	سنوات الحكم	
1	عبد الله بن ياسين الجزولي(*)	430-451هـ	1038-1059م
2	يحيى بن إبراهيم الكدالي	426-435هـ	1034-1043م
3	يحيى بن عمر بن تلاكين اللمتوني	435-447هـ	1043-1055م
4	أبو بكر بن عمر بن تلاكين اللمتوني(**)	448-462هـ	1056-1069م
5	يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المامتوني	453-500هـ	1061-1106م
6	علي بن يوسف بن تاشفين	500-537هـ	1106-1143م
7	تاشفين بن علي بن يوسف	537-539هـ	1143-1145م
8	إبراهيم بن تاشفين بن علي	539-539هـ	1145-1145م
9	اسحاق بن علي بن تاشفين	539-541هـ	1145-1147م

(*) في حياته كان الآمر الناهي، فكان إليه النظر في أمور الحكم والدين، أما الأمراء فكان لهم النظر في أمر الحرب، فعلى سبيل المجاز يطلق على من عاصروه حكام للمرابطين. (ابن أبي زرع: الأنيس، ص127).

(**) بعد وفاة ابن ياسين أخذت له البيعة على المرابطين، بعض المؤرخين يعتبرون بداية ولايته البداية الحقيقية لدولة المرابطين. (ابن الأثير: الكامل، ج8، ص327).

ملحق رقم (9)
جدول بأسماء أمراء دولة الموحدين

#	الاسم	سنوات الحكم	
1	أبو عبد الله محمد بن تومرت الحسني (المهدي)	515-524هـ	1121-1129م
2	أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي (أمير المؤمنين)	524-558هـ	1129-1162م
3	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(*)	559-580هـ	1163-1184م
4	أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (المنصور)	580-595هـ	1184-1198م
5	أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف (الناصر)	595-610هـ	1199-1213م
6	أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب (المستنصر)	610-620هـ	1213-1223م
7	أبو محمد عبد العزيز بن يوسف بن محمد (المخلوع)(**)	620-621هـ	1223-1224م
8	أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن المنصور (العادل)	620-524هـ	1224-1227م
9	أبو زكريا يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب (المعتصم)	624-633هـ	1227-1235م
10	أبو العلاء إدريس بن يعقوب بن يوسف (المأمون)(***)	627-629هـ	1230-1232م
11	أبو محمد عبد الواحد بن إدريس (الرشيد)	630-640هـ	1232-1242م
12	أبو الحسن علي السعيد بن إدريس بن يعقوب (المعتصم بالله)	640-646هـ	1242-1248م
13	أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن (المرتضى)	646-665هـ	1248-1266م
14	أبو العلاء إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن لقب بأبي دبوس (الواثق)	665-668هـ	1266-1269م

(*) يذهب المراكشي: أن عبد المؤمن قبل وفاته عهد بالأمر لأكبر أولاده محمد وبايعه الناس ولكن أخوه يوسف وعمر خلعوه بعد خمسةٍ وأربعين يوماً. (المعجب، ج1، ص236).

(**) يسميه البعض عبد الواحد. (ابن أبي زرع: الأنيس، ص243).

(***) بويع بالخلافة المرة الأولى عام 624هـ ولكن خلع في نفس اليوم وكان يومها يحكم الأندلس فاستنجد بالنصارى وعبر البحر لقتال الموحدين ودخل مراكش 627هـ وأخذت له البيعة مع وجود الخليفة يحيى الهارب إلى الجبال. (ابن أبي زرع: الأنيس، ص250 وما بعدها).

ملحق رقم (10)

جدول يوضح أمراء دولة بني مرين

#	اسم الأمير	التاريــخ
1	عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني	592-614هـ/1195-1217م
2	أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو	614-637هـ/1217-1240م
3	محمد الأول بن عبد الحق بن محيو	637-642هـ/1240-1245م
4	أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق	642-656هـ/1245-1258م
5	أبو حفص عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق	656هـ/1258م
6	يعقوب بن عبد الحق المريني	656-685هـ/1258-1286م
7	يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني	685-706هـ/1286-1306م
8	أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف	706-708هـ/1306-1308م
9	أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف	708-710هـ/1308-1310م
10	عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	710-731هـ/1310-1331م
11	ابو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	731-749هـ/1331-1348م
12	أبو عنان بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب	749-759هـ/1348-1358م
13	أبو زيان محمد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759هـ/1358م
14	السعيد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759-760هـ/1358-1359م
15	أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي	760-762هـ/1359-1361م
16	تاشفين بن أبي الحسن علي بن عثمان	762-763هـ/1361-1362م
17	أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن	763-767هـ/1362-1365م
18	عبد العزيز بن أبي الحسن علي بن عثمان	767-774هـ/1365-1372م
19	محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن علي	774-776هـ/1372-1374م
20	أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	776-786هـ/1374-1384م
21	موسى بن أبي عثمان بن أبي الحسن	786-788هـ/1384-1386م
22	محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	788هـ/1386م
23	الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	788-789هـ/1386-1387م
24	أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	789-796هـ/1387-1394م
25	المستنصر بالله عبد العزيز بن أحمد بن أبي سالم	796-799هـ/1394-1397م
26	المستنصر بالله عبد الله بن أحمد بن أبي سالم	799-800هـ/1397-1398م
27	أبا سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	800-823هـ/1398-1420م
28	عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد	823-869هـ/1420-1465م

ملحق رقم (11)
جدول يوضح ملوك غرناطة

#	اسم الملك	التاريــخ
1	محمد بن يوسف بن محمد بن الأحمر	629-671هــ/1232-1272م
2	محمد الثاني (الفقيه) بن محمد بن يوسف بن الأحمر	671-701هــ/1272-1301م
3	محمد الثالث (المخلوع) بن محمد بن الأحمر	701-708هــ/1301-1308م
4	أبو الجيوش نصر بن محمد بن الأحمر	708-713هــ/1308-1313م
5	أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري	713-725هــ/1313-1324م
6	محمد بن إسماعيل بن فرج النصري	725-733هــ/1324-1333م
7	أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل	733-755هــ/1333-1354م
8	الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر	755-760هــ/1354-1359م
9	إسماعيل الثاني بن محمد بن يوسف بن الأحمر	760-762هــ/1359-1361م
10	الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر (الولاية الثانية)	763-793هــ/1361-1391م
11	أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن الغني بالله محمد	793-795هــ/1391-1393م
12	المستعين بالله محمد بن يوسف الثاني	795-810هــ/1393-1408م
13	يوسف الثالث بن يوسف الثاني بن محمد	810-820هــ/1408-1417م
14	أبوعبد الله محمد بن يوسف الثالث الملقب بالأيسر	820-858هــ/1417-1454م
15	سعد بن إسماعيل النصري	858-868هــ/1454-1464م
16	أبو الحسن علي بن سعد بن إسماعيل	868-888هــ/1464-1483م
17	محمد بن سعد بن إسماعيل (النصري)	888-892هــ/1483-1486م
18	محمد بن علي بن سعد بن إسماعيل (النصري) لقب بالصغير	892-897هــ/1486-1492م

ملحق رقم (12)

جدول يوضح تاريخ سقوط أهم المدن الأندلسية

#	المدينة	تاريخ سقوطها
1	بمبلونة	130هــ/748م
2	برشلونة	374هــ/985م
3	سانتياغو	387هــ/997م
4	ليون	392هــ/1002م
5	سلمنقة	446هــ/1055م
6	قلمربة	456هــ/1064م
7	بربشتر	457هــ/1065م
8	مدريد	476هــ/1084م
9	طليطلة	478هــ/1085م
10	وشقة	489هــ/1096م
11	تطيلة	507هــ/1114م
12	سرقسطة	512هــ/1119م
13	قونقة	543هــ/1177م
14	شلب	585هــ/1179م
15	ماردة	619هــ/1222م
16	بطليوس	627هــ/1229م
17	ميورقة من جزر الباليار	628هــ/1230م
18	يابسة	632هــ/1235م
19	قرطبة	633هــ/1236م
20	طلبيرة	633هــ/1236م
21	دانية	636هــ/1238م
22	قرطاجنة	640هــ/1242م
23	دانية	641هــ/1243م
24	مرسية	641هــ/1443م
25	جيان	644هــ/1246م

#	المدينة	تاريخ سقوطها
26	لشبونة	645هـ/1247م
27	شاطبة	645هـ/1247م
28	إشبيلية	646هـ/1248م
29	لاردة	647هـ/1249م
30	ولبة	661هـ/1262م
31	لبلة	661هـ/1262م
32	قادس	661هـ/1262م
33	جبل طارق	702هـ/1310م
34	سبتة	818هـ/1415م
35	رندة	890هـ/1485م
36	مالقة	893هـ/1487م
37	وادي آش	894هـ/1488م
38	المرية	894هـ/1488م
39	غرناطة	897هـ/1492م

الفهـارس العامـّـة

وتشتمـل

- **أولاً: فهرس الآيات الكريمة.**
- **ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة.**
- **ثالثاً: فهرس الأعلام.**
- **رابعاً: فهرس الأماكن والمدن.**
- **خامساً: المصادر والمراجع.**
- **سادساً: فهرس الموضوعات.**

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾		
12	﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾	57	71
13	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِّ وَعَدُوَّكُمْ﴾	60	46
يوســـف			
14	﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾	70	28
15	﴿اسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	82	14
الرعــد			
16	﴿يُدبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾	2	18
الكهـــف			
17	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	79	28
الأنبيـــاء			
18	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾	63	29
الفرقـــان			
19	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا﴾	54	33
السجدة			
20	﴿يُدبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ﴾	5	18
فاطـــر			
21	﴿وَلَا يَحِيقُ المكر السَّيِّءُ إِلا بِأَهْلِه﴾	43	20
الصافـــات			
22	﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾	89-88	29
ص			
23	﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾	44	30

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	الحديـــد		
24	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	13	26

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الصفحة	الحديـــث	#
	خبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا، الموضع الذي به قريش، وخبرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي خبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا، الموضع الذي به رسول الله، ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله: نحن من ماء، ثم انصرف، فجعل الشيخ يقول: من ماء العراق أو ماء كذا"	
34	"وماذا عسى أن تفعل وأنت رجل واحد؟ فلو ذهبت فخذلت بين القوم فإن الحرب **خدعة**، فذهب فخذل بين قريش وبين بني قريضة، حتى اختلفت كلمتهم"	13
34	"أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر الأنصار أترجع بمن معك من قومك وتخذل بين الأحزاب؟ فأرسل عيينة إن جعلت لي النصف فعلت، ولكن الأنصار لم يقبلوا بذلك وقالوا ليس لهم عندنا إلا السيف وذلك لأنهم في الجاهلية لم يكونوا يعطونهم حبة من ثمارهم فكيف وهم قد أعزهم الله بالإسلام"	14
35	"أن النبي (ﷺ) لما تجهز لفتح مكة أخفى أمره ولم يخبر الجيش بوجهته وأخذ بالطرق الضيقة بين الجبال وكان من دعائه "اللهم خذ أبصارهم فلا يروني إلا بغتة"	15
36	"يا رسول الله أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال (ﷺ): بل الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله (ﷺ): لقد أشرت بالرأي"	16
41	"أفلحت الوجوه"	17
43	"ما جاء بك يا نعيم؟" قال: "إني جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت يا رسول الله، فوالله ما تأمرني بشيء إلا مضيت له"، قال (ﷺ): "ما استطعت أن تخذل الناس فاخذل"، قال يا رسول الله: "أفعل ولكن إئذن لي" قال عليه السلام: "قل ما بدا لك فأنت في حل"	18

ثالثاً: فهرس الأعـلام

القـائمـة مـرتبـة حـسـب الـترتيـب الـهجـائـي

رابعاً: فهرس الأماكن والمدن

القائمة مرتبة حسب الترتيب الهجائي

خامساً: المصادر والمراجع

- **أولاً- القرآن الكريم.**
- **ثانياً- المصادر العربية:**

ابن الأبار، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله القضاعي (ت:658هـ/1259م):

1. التكملة لكتاب الصلة، 4 أجزاء، تحقيق: عبد السلام الهراس، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة، 1415هـ/1995، د.ط).
2. الحلة السيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس (القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985م).

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت: 850هـ/1446م):

3. المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1986م).

الأبي، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت: 421هـ/1030م):

4. نثر الدرر في المحاضرات، تحقيق: خالد محفوظ (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م).

ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت: 741هـ/1340م):

5. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م).

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: 630هـ/1232م):

6. أسد الغابة في معرفة الصحابة، 6 مجلدات، تحقيق: علي محمد معوض وعادل، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1424هـ/2003م).
7. الكامل في التاريخ، 11 جزء، تحقيق: عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ).

الإدريسي، إسماعيل بن عباد بن العباس الأدريسي الطالقاني (ت: 385هـ/1164م):

8. المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1994م).

الأزدي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت: 403هـ/1012م):

9. تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق: عزت العفار الحسيني، (القاهرة، مطبعة المدني، ط2، 1408هـ/1988م).

الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت: 150هـ/767م):

10. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، (لبنان، بيروت، ط1، 2004م).

ابن الأزرق، أبو عبد الله (ت: 896هـ/1491م):

11. بدائع السلك في طبائع الملك، جزءان، تحقيق: علي سامي النشار (العراق، دار النشر وزارة الإعلام، ط1، د.ت).

الأزهري، محمد بن أحمد (ت: 360هـ/970م):

12. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، (بيروت، دار أحياء للتراث، ط1، 2001م).

ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت: 151هـ/768م):

13. سيرة ابن اسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، 3 أجزاء، تحقيق: محمد حميد الله (معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، د.ت، د.ط، د.م).

الأشبيلي، ابن الخراط (ت: 1185/581م):

14. والرشاطي، أبو محمد (ت: 542هـ/1147م): الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: إيبليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990م، د.ط).

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله مهران، المهراني (ت: 430هـ/1038م):

15. حلية الأولياء، 10 أجزاء (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، د.ت).

الأصفهاني: أبو عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفي أبو الفرج محمد بن نفيس الدين (ت: 597هـ/1200م):

16. جريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق: آذرتاس أذرنوس، محمد العروس الجيلاني بن الحاج (المجمع العراقي، دار النشر، 1955م، د.ط).

17. الأغاني، تحقيق: علي مهنا، وسمير جابر (لبنان، دار النشر، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت).

الاصطرخي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت: 346هـ/957م):

18. المسالك والممالك، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الأردن، عمان، الإصدار الرابع، 1429هـ.

الأنباري: محمد بن القاسم (ت: 328هـ/939م):

19. الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح العثامن (بيروت، مؤسسة الرسالة، دار النشر، ط1، 1992م).

الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (ت: 474هـ/1081م):

20. إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد الله محمد الجبوري (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1409هـ/1989م).

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ/870م):

21. الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار البشائر الإسلام، ط3، 1989م).

22. الجامع الصغير المختصر، تحقيق: مصطفى البغا (بيروت، اليمامة، دار النشر: دار ابن كثير، ط3، 1987م).

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ/1147م):

23. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، 1417هـ/1997م، د.ط).

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578هـ/1182م):

24. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم، تحقيق: عزب العطار، (القاهرة، دار النشر، 1955م/1374هـ، د.ط).

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي (ت: 449هـ/1057م):

25. شرح صحيح البخاري لابن بطال، 10 أجزاء، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ).

البغدادي، عبد القادر عمر (ت: 1093هـ/1682م):

26. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد الطريفي، أميل اليعوب (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

البغوي، الحسين بن مسعود (ت: 516هـ/1122م):

27. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد الشاويش (دمشق، المكتب الإسلامي، 1983م، د.ط).

البقاعي، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت: 855هـ/1451م):

28. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرازق غالب مهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، د.ط).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هــ/892م):

29. فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هــ، د.ط).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: 458هــ/1065م):

30. شعب الإيمان، تحقيق: محمد زغلول، (بيروت، دار النشر، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هــ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: 728هــ/1327م):

31. مجموع الفتاوى الكبرى، تحقيق: عبد الرحمن النجدي (دار النشر: مكتبة ابن تيمية، ط2، د.ت).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هــ/868م):

32. التاريخ في أخلاق الملوك (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: 816هــ/1413م):

33. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار النشر، دار الكتاب العربي، 1405هــ، د.ت).

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هــ/1209م):

34. النهاية في غريب الحديث والأثر، 5 أجزاء، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناجي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1399هــ/1979م).

ابن جزى، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي (ت: 741هــ/1340م):

35. القوانين الفقهية، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت: 370هــ/980م):

36. أحكام القرآن، تحقيق: محمد قمحاوي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هــ، د.ط).

ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت: 733هــ/ 1332م):

37. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام (قطر، الدوحة، دار الثقافة، ط1، 1408هــ).

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هــ/1014م):

38. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب، ط1، 1990م).

ابن حبيب، محمد البغدادي (ت: 245هــ/859م):

39. المتحف في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد فاروق (لبنان، بيروت، ط1، 1985م).

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هــ/1063م):

40. نقط العروس في تواريخ الخلفاء، جزءان، تحقيق: إحسان عباس (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987م).
41. جوامع السيرة، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الرابع، 1429هــ).
42. رسالة في حمل فتوح الإسلام، (تحقيق: إحسان عباس)، (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987م).
43. رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، جزءان، تحقيق: د. إحسان عباس، (لبنان، بيروت، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1987م).
44. جمهرة أنساب العرب، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م).

الحسني، زين الدين عبد الرحيم (ت: 806هــ/1403):

45. طرح الترتيب في شرح التقريب، تحقيق: عبد القادر علي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م).

الحمودي، محمد بن عبد الله بن إدريس (ت: 560هــ/1164م):

46. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989م).

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هــ/ 1229م):

47. معجم البلدان (بيروت، دار الفكر).

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت: 488هــ/1095م):

48. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 866هــ/1461م):

49. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال (لبنان، بيروت، دار النشر، دار الجليل، ط2، 1988م).
50. صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال (مصر، القاهرة، 1937م، د.ط).

ابن حيان، أبا مروان، حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هــ/1076م):

51. المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (مصر، القاهرة، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث).

أبو حيان، محمد بن يوسف (745هــ/1344هــ):

52. المعجم المحيط، إعداد: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هــ/1988م).

الخادمي، أبو سعيد محمد بن محمد (ت: 1156هــ/1743م):

53. بريقة محمودة، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

ابن خردابة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت: 300هــ/912م):

54. المسالك والممالك، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

الخزاعي، علي بن محمود (ت: 789هــ/1387م):

55. تخريج الدلات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1405هــ).

الخطابي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت: 388هــ/998م):

56. غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي (مكة، جامعة أم القرى، 1402هــ، د.ط).

ابن الخطيب، لسان الدين محمد السلماني (ت: 776هــ/1374م):

57. أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، (لبنان، بيروت، ط2، دار المكشوف، 1956م).

58. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: د. يوسف علي الطويل (لبنان، بيروت، دار النشر، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م).

59. الكتيبة الكامنة، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هــ).

60. الحلل الموشيه في الأخبار المراكشية، تصحيح البشير الفورتي (تونس، مطبعة التقدم الإسلامية، 1329هــ، د.ط).

61. اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (دار الآفاق الجديدة، لبنان، بيروت، ط2، 1978م)

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: 808هــ/1406م):
62. تاريخ ابن خلدون (بيروت، دار القلم، ط5، 1984م).
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681هــ/1282م):
63. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 7 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس (لبنان، بيروت، دار الثقافة، د.ط، د.ت).
ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت: 240هــ/854م):
64. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت، دمشق، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هــ).
الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: 255هــ/868م):
65. سنن الدارمي، تحقيق: فواز رمزي، خالد العلمي، (بيروت، دار الكتب العربي، ط1، 1407هــ).
ابن دريد، محمد بن الحسن (ت: 321هــ/933م):
66. الإشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، د.ت).
67. جمهرة الكلام واللغة، 13 جزء، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، ط1، 1429هــ).
ابن الدلائي: أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت: 478هــ/1094م):
68. نصوص عن الأندلس من كتاب ترجيح الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، (تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، إسبانيا، مدريد، د.ط، د.ت).
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هــ/1347م):
69. العبر في خبر من عبر، 5 أجزاء، تحقيق: صلاح المنجد (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، دار النشر، ط2، 1984م).
70. تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان، 52 جزء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هــ/1987م).
71. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هــ).
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت: 604هــ/1207م):
72. التفسير الكبير، 32 جزء (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هــ/ 2001م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 721هـ/1321م):

73. مختار الصحاح، جزء واحد، تحقيق: محمد وخاطر (لبنان، بيروت، 1415هـ/1995م، د.ط).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ/1790م):

74. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1421هـ/2000م).

الزبيري، المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت: 236هـ/850م):

75. نسب المصعب، تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف، د.ت، د.ط).

الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ (ت: 894هـ/1488م):

76. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، ط2، 1966م، د.م، د.ت).

الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله (ت: 772هـ/1370م):

77. شرح الزركشي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط).

الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: 556هـ/1161م):

78. الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة، تحقيق: محمد حاج صادق، (مصر، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت).

ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت: 395هـ/1004م):

79. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط2، 1999م).

السبكي، تاج الين بن علي بن عبد الكافي (ت: 771هـ/1369م):

80. طبقات الشافعية الكبرى، 10 أجزاء، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو (هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ، د.م).

السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: 902هـ/1496م):

81. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ/1985م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد منيع الزهري البصري (ت: 230هـ/844م):

82. الطبقات الكبرى، 8 أجزاء، (بيروت، دار صاد، د.ت، د.ط).

ابن سعد، علي بن إبراهيم الخير (ت: 571هـــ/1175م):

83. القرط علي الكامل (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، ط4، 1929م).

ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى المغربي الأندلسي (ت: 985هـــ/1286م):

84. المُغرب في حلي المغرب، جزءان، (ت: 685هـــ/1286م)، تحقيق: د. شوقي ضيف، (القاهرة، دار النشر، دار المعارف، 1955م، د.ط).

85. الجغرافيا (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الرابع، 1429هـــ).

السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم (ت: 1188هـــ/1774م):

86. غذاء الألباب شرح منظومة الأدباء، تحقيق: محمد الخالدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002م).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـــ/838م):

87. الاقبال لابن سلام، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هـــ).

88. غريب الحديث، تحقيق: محمد خان، (بيروت، دار النشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1396هـــ).

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد البار (ت: 489هـــ/1095م):

89. تفسير القرآن الكريم، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن غنيم (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1، 1418هـــ/1997م).

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت: 911هـــ/1505م):

90. اللمع في أسباب الحديث، تحقيق: يحيى إسماعيل أحمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1984م).

91. معجم مقاليد اللغة، تحقيق: محمد عبادة (القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2004م).

الشيباني، أبو عمر اسحاق بن حرار الكرماني (ت: 206هـــ/821م):

92. الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، المطبعة الأميرية، 1394هـــ/ 1974م، د.ط).

الشيباني، محمد بن حسن (ت: 198هـــ/813م):

93. شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، معهد المخطوطات، د.ت، د.ط).

أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: 235هـ/849م):
94. مسند أبي شيبة، تحقيق: عادل العزازي، أحمد المزيدي، (الرياض، دار النشر: دار الرياض، 1997م، د.ط).
الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: 476هـ/1083م):
95. المهذب في فقه الشافعي، (بيروت، دار الفكر، د.ت، د.ط).
الشيرازي، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت: 589هـ/1193م):
96. المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسي، (الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، دار النشر، ط1، 1987م).
ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي (ت: 594هـ/1198م):
97. المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م).
الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت: 942هـ/1535م):
98. سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، ط1، 1414هـ).
الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ/970م):
99. المعجم الأوسط، تحقيق: فاروق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني (د.م، د.ت، د.ط، د.ن).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/921م):
100. جامع البيان في تفسير القرآن: 10 مجلدات، تحقيق: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر (مصر، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1373هـ/1954م).
101. تاريخ الأمم والملوك، 5 أجزاء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ).
102. تاريخ الطبري، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط).
الطرطوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد (ت: 758هـ/1357م):
103. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد الحمداوي، (مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الأردن، عمان، الإصدار الرابع، 1429هـ).
الطرطوشي، أبو بكر بن الوليد الفهري (ت: 520هـ/1125م):
104. سراج الملوك، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1414هـ/1994م).

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (ت: 257هـ/871م):

105. فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م).

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت: 328هـ/939م):

106. العقد الفريد، 7 مجلدات، تحقيق: محمد التوبخي (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م).

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 543هـ/1148م):

107. أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان، بيروت، دار النشر، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت).

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة بن عبد الله الشافعي (ت: 571هـ/1175م):

108. تاريخ مدينة دمشق، 70 جزءاً، تحقيق: محب الدين ابي سعد عمر بن غراقة العمري، (لبنان، بيروت، دار الفكر، 1416هـ/1995م، د.ط).

العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/1448م):

109. فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ تحقيق: محب الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت).

110. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي البجاوي، (بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م).

111. تحفة الأشراف، تحقيق: (عبد الصمد شريف الدين، زهير الشاويش) (بيروت، دار النشر، المكتب الإسلامي، ط2، 1983م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد (ت: 395هـ/1004م):

112. الفرق، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هـ).

113. جمهرة الأمثال، مجلدان، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1988م).

114. ديوان المعاني، (بيروت، دار الجليل، د.ت، د.ط).

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت: بعد 712هـ/1312م):

115. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ج2، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، وليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م).

116. البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين، تحقيق: محمد الكتاني وآخرون، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ/ 1985م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 546هـ/1151م):

117. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1990م).

العكري، عبد الحي أحمد بن محمد (1089هـ/1678م):

118. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، (دمشق، دار بن كثير، ط1، 1406هـ).

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت: 855هـ/1451م):

119. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 175هـ/791م):

120. العين، 8 مجلدات، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، د.م، د.ط، د.ت).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: 770هـ/1368م):

121. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت: 276هـ/998م):

122. الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل منصور، (بيروت، دار النشر، دار الكتب العلمية، 1997م).

123. عيون الأخبار (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار 1429هـ).

ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت: 620هـ/1223م):

124. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (بيروت، دار الفكر، ط1، 1405هـ).

القرافي، أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت: 684هـ/1285م):

125. الفروق، تحقيق: خليل منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

القرشي، أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء (ت: 775هـ/1373م):

126. الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، جزءان، (باكستان، كرامش، دار النشر، فير محمد، ط1، 1332هـ).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ/1272م):

127. الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي، 20 جزء، (مصر، القاهرة، دار النشر، دار الشعب، د.ط، د.ت).

128. الإعلام في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، (القاهرة، دار التراث العربي، 1398هـ، د.ط).

القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت: 450هـ/1058م):

129. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل والمسائل المستخرجة، 20 جزء، تحقيق: محمد حجي وآخرون (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1408هـ/1988م).

130. المقدمات والممهدات، 3 أجزاء، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/1283م):

131. آثار البلاد وأخبار العباد، (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، ط4، 1429هـ).

القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي المصري (ت: 454هـ/1062م):

132. (تاريخ القضاعي)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله المصري، (مكة **المكرمة**، جامعة أم القرى، فهرسة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1415هـ/1994م).

ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت: 650هـ/1252م):

133. نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990).

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد العزاري (ت: 821هـ/1418م):

134. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار (دمشق، وزارة الثقافة، 1981م، د.ط).

135. مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت، مطبعة الكويت الحكومية، ط2، 1985م).

ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مزاحم الأندلس (ت: 367هـ/977م):

136. تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم البياري (القاهرة، دار الكتب المصري، ط2، 1989م).

ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت: 751هـ/1350م):

137. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، جزءان، تحقيق: علي بن حسن الأثري، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني (دار ابن الجوزي، د.م، د.ط، د.ت).

138. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار النشر: دار الجليل، 1973م، د.ط).

139. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد جميل غازي (القاهرة، مطبعة المدني، د.ت، د.ط).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: 774هـ/1373م):

140. التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد عزب (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1995م).

141. البداية والنهاية، 14 جزء، (بيروت، مكتبة المعارف).

142. السيرة النبوية لابن كثير، 4 أجزاء (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الرابع، 1429هـ).

143. تفسير ابن كثير (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هـ).

اللواتي، محمد بن عبد الله بن محمد (ت: 779هـ/1377م):

144. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، (بيروت، دار النشر: مؤسسة الرسالة، ط4، 1405هـ).

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت: 475هـ/1082م):

145. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ).

الماوردي: علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/1058م):

146. النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، (بيروت، دار النشر: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

147. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محي السرحان وحسن الساعاتي، (بيروت، دار النهضة العربية، 1981م، د.ط).

148. درر السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد (السعودية، الرياض، دار الوطن للنشر، ط1، 1997م).

ابن منكلي، محمد الناصري (ت: 778هـ/1376م):

149. **الحيل** في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: نبيل محمد أحمد، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 2000م، د.ط).

مجهول، (ت: 350هـ/961م):

150. أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989م).

مجهول، (ت: 84هـ/703م):

151. ذكر بلاد الأندلس، جزءان، تحقيق وترجمة: لويس مولينا (مدريد، المعهد ميغيل أسين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1983م، د.ط).

مجهول (ت: 846هـ/1442م):

152. نبذة العصر في أخبار ملوك بن نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسين إلى المغرب، تحقيق: الفريد البستاني (مصر، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2012م).

ابن مفلح، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت: 762هـ/1360م):

153. الفروع وتصحيح الفروع، تحقيق: حازم القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ، ط1).

المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله محمد بن أبي الحديد (ت: 655هـ/1257م):

154. شرح نهج البلاغة، 20 جزء، تحقيق: محمد عبد الكريم النحوي (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1998م).

المراكشي، عبد الواحد بن علي (647هـ/1249م):

155. المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: محمد العريان، محمد العلمي، (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1368هـ).

المرسي، علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ/1065م):

156. المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهناوي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م).

المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/957م):

157. مروج الذهب ومعادن الجواهر، جزءان، (بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، 1965م، د.ط).

158. التنبيه والإشراف (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، ط4، 1429هـ، عمان، الأردن).

مسلـــم، حجاج القشيري النيسابوري (ت: 206هـ/821م):

159. صحيح مسلم؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط).

ابن منصور، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي (ت: 562هـ/1166م):

160. الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1998م).

المطرزي، أبي الفتح، ناصر الدين بن عبد السيد (ت: 610هـ/1213م):

161. المغرب في ترتيب المعرب، جزءان (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الرابع، 1429هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م):

162. لسان العرب، (بيروت، دار صاد، ط1، د.ت).

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ/1631م):

163. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8 أجزاء، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت، دار النشر: دار صاد، 1388هـ/1968م، د.ط).

المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: 1031هـ/1621م):

164. التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق: محمد التايه (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1410هـ).

ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي الكناني (ت: 584هـ/1188م).

165. لباب الأداب (الأردن، عمان، مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الرابع، 1429هـ).

الناصري: أحمد بن خالد بن محمد السلاوي (ت: 1315هـ/1897م):

166. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى؛ 8 أجزاء، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري (الدار البيضاء، دار النشر: دار الكتب، 1997م).

ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي (ت: 814هـ/1411م):

167. تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، هذبه: صلاح الخالدي، (الأردن، دار النفائس، ط1، 1419هـ/1999م).

النحوي، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي (ت: 458هـ/1065م):

168. المخصص، 5 مجلدات، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (لبنان، بيروت، دار النشر، دار إحياء التراث الشعبي، ط1، 1996م).

النسفي: نجم الدين عمر بن محمد (ت: 537هـ/1142م):

169. طلبة الطلبة في الإصلاحات الفقهية، تحقيق: خالد العك، (عمان، دار النفائس، ط1995م).

النووي، أبو زكريا محيي بن شرف بن مري (ت: 676هـ/1277م):

170. صحيح مسلم لشرح النووي، 18 جزء، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).

171. تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مكتب البحوث للدراسات، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1332م):

172. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد حتحتة وجماعة (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ/828م):

173. السيرة النبوية لابن هشام، 4 أجزاء، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الجبل، ط1، 1411هـ).

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: 468هـ/1075م):

174. شرح ديوان المتنبي، (الأردن، عمان، مرك التراث للبرمجيات، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هـ).

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت: 207هـ/822م):

175. المغازي، تحقيق: محمد عطا (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م).

176. فتوح الشام، (بيروت، دار الجليل، د.ت، د.ط).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 292هـ/904م):

177. تاريخ اليعقوبي، جزءان، (بيروت، دار صاد، د.ت، د.ط).

178. البلدان (الأردن، عمان، مكتبة الجامع الكبير، الإصدار الرابع، 1429هـ).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت: 749هـ/1348م):

179. تاريخ ابن الوردي (ت: 749هـ) (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م).

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة:

آبادي: محمد شمس الحق عظيم:

1. عون المعبود في شرح سنن أبي داود (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1995م).

أرسلان، شكيب:

2. تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).
3. خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة (مصر، مطبعة المنار، ط3، 1925م).

أشباخ، يوسف:

4. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جزءان، ترجمة وتعليق، محمد عبد الله عثمان (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1996م).

ايوفنغ، واشنطن:

5. أخبار سقوط غرناطة، ترجمة: هاني يحيى نصري (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط2، 2000م).

بركات، وفيق:

6. فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي (منشورات جامعة حلب، ط1995م، د.م).

بروكمان، كارل:

7. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: بنيه أمين فارس، منير البعلبكي (بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1968م).

بك، آمين واصف:

8. معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد زكي باشا (مصر، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، د.ط).

بيضون، إبراهيم:

9. الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، ط 1399هــ/1978م).

توبويات، الغبكونت دوشا:

10. رواية آخر بني سراج، ترجمة: شكيب أرسلان (مصر، مطبعة المنار، ط3، 1925م).

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر:
11. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكمة، د.ط، د.ت).

جودة، صادق وآخرون:
12. تاريخ المغرب والأندلس (الأردن، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1997م).

جوليان: شارل أندري
13. تاريخ أفريقيا الشمالية، جزءان، تعريب: محمد مزالي، والبشير سلامة، (الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1993م).

الحجي، عبد الرحمن علي:
14. التاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة 92-87هـ/711-1492م (القاهرة، دار الاعتصام، ط1، 1983م).

حسن، حسن إبراهيم:
15. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (بيروت، دار الجيل، ط14، 1996م).

الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله:
16. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ما بعد الخلفاء الراشدين (مصر، الاسكندرية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2004م).
17. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ما بعد الخلفاء الراشدين (مصر، الاسكندرية، دار الدعوة، ط2004م).

خطاب، محمود شيت:
18. الرسول القائد (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1422هـ/2002م).

الخطيب، مصطفى عبد الكريم:
19. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ/1996م).

خفاجي، عبد المنعم، عبد العزيز شرف:
20. معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1992م).

الدغمي، محمد راكان:

21. التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية (القاهرة، بيروت، حلب، دار السلام للطباعة والنشر، ط2، 1985م).

دوزي، رينهرت:

22. المسلمون في الأندلس، 3 أجزاء، ترجمة وتعليق: حسن حبش (مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1995م).

23. ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل الكيلاني (مصر، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ط 1933م).

ديورانت، ول واريل:

24. دروس التاريخ، ترجمة: علي شلش (الكويت، دار سعاد الصباغ، ط1، 1993م).

الرفاعي، أنور:

25. الإسلام في حضارته ونظمه، (دار الفكر، سوريا، دمشق، د.ط، 1973م).

أبو رميلة، هشام:

26. علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، (الأردن، عمان، دار الفرقان، ط1، 1984م).

زبيب، نجيب:

27. الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، 3 أجزاء، (لبنان، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 1415هـ/1995م).

الزركلي، خير الدين:

28. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

السامرائي، خليل إبراهيم:

29. علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس بالدول الإسلامية (العراق، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام دار الحرية للطباعة، 1986م، د.ط).

السبتي، أبو الحسن علي بن أحمد الأموي:

30. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغنياء، تحقيق: محمد رضوان الداية (لبنان، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411هـ/1990م).

السلمي، عياض بن نامي بن عوض:

31. أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، جزء واحد (السعودية، الرياض، دار التدمرية، ط1، 1426هــ/2005م).

سوادي، عبد محمد:

32. طارق بن زياد (العراق، هيئة كبار التاريخ، ط1، 1988م).

شلبي، أحمد شلبي:

33. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، عشرة أجزاء، ط7، 1984م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني:

34. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 9 أجزاء، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هــ/1995م، د.ط).

شوقي، أبو خليل:

35. الحضارة العربية الإسلامية، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1994م).

عبد الواحد وآخرون:

36. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (لبنان، بيروت، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2000م).

عنان، محمد عبد الله:

37. دولة الإسلام في الأندلس، 8 أجزاء (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2001م، د.ط).

عنبتاوي، عدنان فائق:

38. حكايتنا في الأندلس (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 1989م).

عويس، عبد الحليم:

39. إحراق طارق بن زياد للسفن اسطورة لا تاريخ (القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1، 1995م).

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد:

40. معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، (القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1996م).

41. موسوعة تاريخ المغرب العربي، 6 أجزاء، (مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1994م).

فروخ، عمر:

42. العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط (بيروت، ط1، 1959م، د.ن).

الكلبي، زهير:

43. موسوعة خلفاء المسلمين، (بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1994م).

محمد، الأمين محمد، محمد علي الرحماني:

44. المفيد في تاريخ المغرب، (المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، د.ط).

محمود، منى حسن:

45. المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986م، د.ط).

مصطفى، نادية محمود وآخرون:

46. الدولة الأموية دولة فتوحات (القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417هـ/1996م).

مكي، محمود:

47. تاريخ الأندلس السياسي (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1999م).

مؤنس، حسين:

48. فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1959م).

نصر الله، سعدون عبان:

49. دولة المرابطين في المغرب الأندلسي (بيروت، دار النهضة العربية، 1985م، د.ط).

هلال، إبراهيم:

50. ولاية الله والطريق إليها، تقديم : ابن الخطيب (مصر، القاهرة، دار الكتب الحديثة، د.ط، د.ت).

هيكل، محمد خير:

51. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (لبنان، بيروت، دار البيارق، ط1، 1414هـ/1992م).

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت:

52. الموسوعة الفقهية الكويتية، 45 جزء (الكويت، دار السلاسل، ط2، 1404هـ).

رابعاً: الدوريات والرسائل العلمية:

اشتيوي، أشرف يعقوب:

1. الأندلس في عصر الولاة، رسالة ماجستير (فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2004م).

حسن، عامر أحمد عبد الله:

2. دولة بني مرين: تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا، رسالة دكتوراه، (فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2003م).

الخالدي، خالد يونس:

3. اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، 92-897هـ/ 711-1492م، رسالة دكتوراه منشورة، (فلسطين، غزة، دار الأرقم، ط1، 2000م).

دداش، سعد الدين صالح:

4. منع **الحيل** والأخذ بالأحوط عند المالكية وأثره في رعاية المقاصد الشرعية (العدد 20، مجلة الشريعة والقانون، ذو القعدة 1424هـ/ يناير 2004م).

أبو ريدة، جمال:

5. **الخدع** العسكرية في صدر الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة (فلسطين، غزة، الجامعة الإسلامية، 1430هـ/2009م).

أبو العراس، خميس:

6. الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير (الجزائر، باتنة، جامعة الحاج لخضر، قسم التاريخ، 1428هـ/ 2007م).

مصطفى، خزعل ياسين:

7. بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة، رسالة دكتوراه، (العراق، الموصل، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2004م).

سادساً: فهرس الموضوعات والملاحق

ABSTRACT

This study investigates a very important stage of Islamic history, i.e. the period of Islamic state in Al-Andalus which continued for more than 800 years. During that period Muslims showed bright models in all fields. This study comprises four chapters.

The first chapter focuses on definition of tricks linguistically and idiomatically. Then the chapter introduces the types of tricks used in wars and the legality of such tricks in accordance with the Holy Quran, the Prophet sayings, the fellows of the Prophet as a leader in the former's battles with non-believers, and the sayings of Muslim scholars in various countries and periods of time.

The second chapter discusses the military tricks used by Muslims during conquest and how 12.000 fighters could take over a whole country and declare Islam therein. Also this chapter introduces what the then-governors did, including military operations behind the Pyrenees mountains to secure the borders of Al-Andalus. This chapter shows the effect of tricks in achieving victory.

The third chapter tackles the issue of military trick used by Muslims during caliphate add how Muslims could solidify their existence in Al-Andalus after a period full of ethnic conflicts that outbroke in various places. This forced the leaders of Europe to seek satisfaction of Muslims through sending convoys.

The fourth chapter is dedicated for the role of Al-Amiriya state in enhancing the glory of Islam in Al-Andalus and the role of Almoravid dynasty during that time. This resulted in strengthening Al-Andalus and delaying its collapse for centuries. However, Al-Andalus collapsed later on and the Islamic rule ended therein.

The Islamic University – Gaza
Higher Studies Deanship
Faculty of Arts
Department of History and Archaeology

Military Tricks that Muslims used in Andalusia from Conquest till fall

(92-897 AH – 711-1492 AD)

<u>Prepared by:</u>

Imad Ali Diyab Al-Jaro

<u>Supervised by:</u>

Prof: Khalid Younis Al-Khaldi

This Study is a complementary requirement of master Degree in Islamic History – Faculty of Arts – Islamic University of Gaza

1435-2014